

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ^(٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣)

أما بعد : « فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » ^(٤) ، « وكل ضلالة في النار » ^(٥)

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠-٧١ .

(٤) رواه مسلم : ٥٩٢/٢ .

(٥) زادها النسائي ، وسندها صحيح ، انظر صحيح سنن النسائي : ٣٤٦/١ .

هذا وأن الله عز وجل بعث نبيه محمد ﷺ وأهل الأرض أحوج إلى رسالته من غيث السماء ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم حنادس الظلماء فضرورتهم إليها أعظم الضرورات وحاجتهم إليها مقدمة على جميع الحاجات هدى به العباد إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ، وتعظيمه ، وتوقيره ، وتبجيله والقيام بحقوقه وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه ، فشرح له صدره ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره هدى به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، وبصر به من العمياء ، وأرشد به من الغواية ، وفتح به أعينا عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

فلم يزل ﷺ - قائماً بأمر الله لا يرده عنه راد ولا يصدده عنه صاد إلى أن أشرقت الأرض بعد ظلماتها ، وتألقت به القلوب بعد شتاتها . فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على عباده المؤمنين ، استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، ففارق الأمة وقد تركها على المحجة البيضاء . فأول من سار على هذه المحجة أصحابه الكرام ففتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان ، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً وكان سندهم فيه عن نبيهم ﷺ عن جريرل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً ، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم وكذلك تابع التابعين والأئمة المرضين ، فاقترضوا آثارهم وكان دين الله سبحانه أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً كاسداً أو قياساً فاسداً . فخلف من بعدهم خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، حيث عارضوا النصوص الشرعية بالأقيسة الفاسدة

والآراء الكاسدة ، فقابلوا ألفاظها بالتحريف ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ،
ومعانيها تحريفاً وتأويلاً ، فكان لزاماً التصدي لهذه الآراء الباطلة والوقوف
في وجه هذا الزحف .

أهمية البحث

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في كونه يتحدث في أشرف العلوم إذ شرف العلم بشرف المعلوم فحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم الله فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب .

ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه .

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل ، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن يعث الرسل به معرفين وإليه داعين ، ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين ، وجعل مفتاح دعوتهم ، وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أحدهما : تعريف الطريق الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه .

والثاني : تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم .

فأعرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصول إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه فالله المستعان وعليه التكلان^(١) .

(١) استفدت في هذه المقدمة من بعض كتب ابن القيم وشارح الطحاوية .

أسباب اختيار البحث

من أسباب اختيار هذا البحث ما يأتي :

أولاً : ربما ظن البعض أن القياس الفاسد في مباحث العقيدة هدي في مبحث الأسماء والصفات فقط ، فأردت أن أبين في هذه الرسالة وجوده في مواضع كثيرة أرجوا أن يكون البحث قد أتى على كثير منها .

ثانياً : المسائل التي ذكر فيها القياس الفاسد متناثرة هنا وهناك فأردت أن أجمعها في مكان واحد حتى يسهل تناولها عند طلبها ، والله الموفق والمعين .

ثالثاً : أرجو أن يكون هذا البحث إصلاحاً لما وقع فيه النفاة للأسماء والصفات ورداً لأقيستهم الفاسدة والأرائهم الكاسدة .

منهج البحث

لقد سلكت في إعداد البحث ما يلي :
أولاً : قمت بعزل القياس الفاسد في مطلب والرد عليه في مطلب آخر .

ثانياً : عزوت الآيات إلى أماكنها وذلك بذكر السورة ورقم الآية في هامش البحث .

ثالثاً : لم أدخل في بحثي هذا إلا ما علمت صحته من الأحاديث النبوية والآثار المروية ، وهذه الأحاديث إما في الصحيحين وإما في غيرهما ، فأما التي في الصحيحين فلا كلام لي عليها ، وأما التي في غيرهما فأذكر تصحيح أهل العلم لها .

رابعاً : عند نقلي للنصوص اذكر رقم جزء الكتاب المستفاد منه وصفحته فقط أما بقية المعلومات عن الكتاب فمحلها فهرس المصادر والمراجع .

خامساً : ذيلت البحث بفهارس أربعة :

- ١- فهرس للآيات .
 - ٢- فهرس للأحاديث والآثار .
 - ٣- فهرس للمراجع .
 - ٤- فهرس للموضوعات
- هذا وقد سار البحث حسب الخطة الآتية .

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل على :

١- أهمية البحث .

٢- أسباب اختياره .

٣- منهج البحث .

٤- خطة البحث .

التمهيد ويشتمل على :

١- ما المراد بالقياس الفاسد .

٢- القياس الصحيح مطلوب شرعاً .

٣- أمثلة من أغلاط المشركين في أقيستهم الفاسدة .

٤- معنى الانحراف في العقيدة .

الباب الأول : القياس الفاسد وأثره على أصحابه في غير مبحث

الأسماء والصفات :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد على المتقدمين .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على إبليس .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسه الفاسد .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على المنكرين للنبوات .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المشركين .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على القبوريين .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المنكرين للبعث .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد على المتأخرين .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المتكرين لعذاب القبر .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على القائلين بعدم وجود الجنة
والنار الآن والقول بفنائهما .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : موقف السلف من هذا القياس .

المطلب الثالث : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على القدرية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الثالث : أمور أوجبها المعتزلة على الله بالقياس الفاسد .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الصوفية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

الباب الثاني : القياس الفاسد وأثره على أصحابه في مبحث الأسماء والصفات .

وفيه تمهيد وفصلان :

التمهيد ويشتمل على :

١- معنى القياس في اللغة والاصطلاح .

٢- ذكر الأقيسة المستعملة وبيان ما يجوز استعماله منها في حق

الرب تبارك وتعالى وما لا يجوز .

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد في مبحث الأسماء والصفات إجمالاً .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المشبهة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على الجهمية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المعتزلة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الأشاعرة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المفوضة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد في مبحث الأسماء والصفات

تفصيلاً في أشهر الصفات التي كثر فيها الكلام .

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على نفاة استواء الله على عرشه

وعلوه على خلقه .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على نفاة النزول .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على نفاة المحبة .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على نفاة الرؤية .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على نفاة الكلام .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث السادس : أثر القياس الفاسد على نفاة اليدين .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .
المبحث السابع : أثر القياس الفاسد على نفاة العينين .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث الثامن : أثر القياس على نفاة الوجه .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المبحث التاسع : أثر القياس الفاسد على نفاة القدمين .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

الخاتمة .

الفهارس .

هذه هي الخطة التي سار عليها البحث وقد اجتهدت في تجلية
مسائله وتوضيحها فما كان فيه من صواب فالفضل لله وحده فله الحمد
والمنة ، وما كان فيه من خطأ فإني أستغفر الله منه .

هذا وإنني أشكر الله تبارك وتعالى على نعمة التي لا تعد ولا تحصى
ثم أتوجه بالشكر للقائمين على هذه الجامعة الإسلامية زادنا الله وإياهم
تسديداً وهدى وأعاننا جميعاً على ما يحب ويرضى .
وأخص بالشكر فضيلة شيخني الأستاذ الدكتور / أحمد بن عطية
الغامدي ، المشرف على هذه الرسالة ، الذي أمدني بتوجيهاته السديدة ،
وإرشاداته القيمة ، فالله أسأل أن يجزيه خير الجزاء في الحياة الدنيا ويوم
المعاد ، وأن يجزي خيراً كل من أسهم في ظهور هذا البحث وتسديده ،
وأن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً لعباده ، وصلى الله وسلم على عبده
ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



تمهيد

ويشتمل على الآتي :

- ما المراد بالقياس الفاسد ؟
- القياس الصحيح مطلوب شرعاً .
- أمثلة من أغلاط المشركين
في أقيستهم الفاسدة .
- معنى الإنحراف في العقيدة .

تمهيد :

قبل الدخول في تفاصيل هذا البحث « القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة » يحسن أن يكون الكلام هنا على بعض المسائل فيها توضيح لعنوان الرسالة .

أولاً : ما المراد بالقياس الفاسد ؟

والجواب هو تلك الشبهة أو الشبهات العقلية التي تعارض بها النصوص الشرعية .

وقد عرف الإمام ابن القيم رحمه الله الشبهة بقوله : والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له ، فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه ، بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ، ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة ، فيان تداركها وإلا تابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكاً مرتاباً ...

وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها ؛ فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل ... فينظر الناظر فيما ألبسه من اللباس فيعتقد صحتها .

وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها ، فيكشف له حقيقتها^(١) .

وبعد هذا التعريف القيم للشبهة أذكر أقوال أهل العلم التي تشهد لهذا التعريف الذي اخترته للقياس الفاسد .

(١) مفتاح دار السعادة ١/٤٤٢ ، ٤٤٣ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات ؛ لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه ، فمن عرف الفصل بين الشئيين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد»^(١) .

وأنت ترى أيضاً في هذا النص بأن شيخ الإسلام ابن تيمية علل كون القياس الفاسد من باب الشبهات بأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه ، فالقياس إذاً تشبيه لكنه قد يكون صحيحاً وقد يكون فاسداً .

قال صاحب المحجة في بيان المحجة : « وأما التشبيه فهو مصدر شبه يشبه تشبيهاً ، يقال : شبَّهت الشيء بالشيء : أي مثَّلته به وقسَّته عليه إما بذاته أو بصفاته أو بأفعاله »^(٢) .

وكون القياس الفاسد شبهة تعارض بها النصوص نلحظه أيضاً في كلام ابن القيم رحمه الله إذ يقول عن قياس إبليس : وظن أن هذه الشبهة العقلية تنفعه في تأويله ، فجرى عليه ما جرى ، وصار إماماً لكل من عارض نصوص الوحي بتأويله الباطل إلى يوم القيامة ، ولا إله إلا الله كم لهذا الإمام اللعين من أتباع من العالمين ، وأنت إذا تأملت عامة شبه المتأولين التي تأولوا لأجلها النصوص وعطلوها رأيتها من جنس شبهته^(٣) .

(١) التدمرية : ١٠٦ .

(٢) المحجة في بيان المحجة ١/٣٠٦ .

(٣) الصواعق المرسله ١/٣٧١ .

ونلاحظه أيضاً في كلام الشهرستاني إذ يقول : واعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة شبهة إبليس (لعنه الله) ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم ~~عليه السلام~~ وهي الطين ^(١) .
وبهذا القياس الفاسد طُرد إبليس ولُعِن ؛ لأنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه فهل من معتر !

ثانياً : القياس الصحيح مطلوب شرعاً

عند ما أقول القياس الفاسد خرج بهذا القياس الصحيح فهذا مطلوب شرعاً فهو الميزان الذي أنزله الله ، وقد يمر شيء من هذا النوع في ثنايا البحث ليعلم أنه لا غبار على الأخذ بالقياس الصحيح .
وما جاء عن الأئمة من ذم للقياس إنما يحمل على القياس الفاسد الذي تعارض به النصوص .

ومن هذه الأقوال : قول ابن أبي زمنين .
« اعلم - رحمك الله - أن السنة دليل القرآن وأنها لا تدرك بالقياس » ^(٢) .

وقول أبي القاسم الأصبهاني : « ليس لنا مع سنة رسول الله ﷺ من الأمر شيء إلا الاتباع والتسليم ولا تعرض على قياس ولا غيره » ^(٣) .

(١) الملل والنحل ١/١٦٠ .

(٢) أصول السنة : ٣٥ .

(٣) انظر : المحجة في بيان المحجة ٢/٣٠٦ ، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص

الكتاب والسنة ١/٦٣ .

وقول الربھاري : واعلم - رحمك اللہ - أنه ليس في السنة قياس ، ولا تضرب بها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء بل هو التصديق بآثار رسول اللہ ﷺ بلا كيف ولا شرح ، ولا يقال : لم ؟ ولا كيف ؟^(١) .
 وقوله أيضاً : واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية من أنهم فكروا في الرب عز وجل فأدخلوا لم ؟ وكيف ؟ وتركوا الأثر ووضعوا القياس وقاسوا الدين على رأيهم^(٢) .

فأقوال هؤلاء الأئمة يتوجه إلى الأقيسة الفاسدة كما هو واقع معطلة الأسماء والصفات .

قال الإمام أحمد ويحيى بن معين : « وأما ما روي عن السلف في ذم القياس فهو عندنا قياس على غير أصل أو قياس يُرد به أصل » .
 ولذلك يقول ابن عبد البر عن هذا القياس المذموم :

إنه القياس على غير أصل والقول في دين اللہ بالظن ، ألا ترى إلى قول من قال منهم : أول من قاس إبليس ؛ لأن إبليس ردُّ أصل العلم بالرأي الفاسد ... وإذا صح النص من الكتاب والأثر بطل القياس والنظر ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْؤِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾^(٣) .

وأي أصل أقوى من أمر اللہ تعالى لإبليس بالسجود وهو العالم بما خلق منه آدم وما خلق منه إبليس ، ثم أمره بالسجود له فأبى واستكبر لعله ليست بمناعة من أن يأمره اللہ بما يشاء فهذا ومثله لا يحل ولا يجوز .

(١) شرح السنة : ٧٠ .

(٢) المصنوع نفسه : ١٠٠-١٠١ .

(٣) الأحزاب : ٢٦ .

وأما القياس على الأصول والحكم للشيء بحكم نظيره فهذا ما لا يختلف فيه أحد من السلف بل كل من روي عنه ذم القياس قد وجد له القياس الصحيح منصوصاً^(١) .

ومما ينبغي أن يعلم أن كلام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله يتضمن قياس التمثيل وهذا القياس وقياس الشمول لا يجوز استعمالهما في المطالب الإلهية - وسيأتي الكلام عليهما في الباب الثاني من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى - وإنما يستعمل في ذلك قياس الأولى .

وقوله : وأما القياس على الأصول والحكم للشيء بحكم نظيره فهذا ما لا يختلف فيه أحد من السلف .

أقول : سيمر بك بعض الأمثلة لهذا القياس الصحيح قريباً إن شاء الله تعالى .^(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً أقسام القياس :

أصل هذا أن نعلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد ، فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين ... وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله .

فالقياس الصحيح مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها ، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط .

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٩٤-٨٩٥ .

(٢) انظر ٥٥ ، ٥٨ .

وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فمثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه ، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لغيره .
 لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر ، وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد ، فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس الصحيح فإنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه ، ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر .
 وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف القياس علمنا قطعاً أنه قياس فاسد (١) .

فتأمل قول شيخ الإسلام : وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لغيره ، لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر - تجدد أن هذا الكلام ينطبق تمام المطابقة على قياس المنكرين لرسالة البشر وهو اجتماعهم مع رسل الله في البشرية ، وحيث إن البشرية قد منعت من رسالتهم فلتمنع أيضاً من رسالة الرسل ، فهؤلاء لم يظهر لهم الوصف الذي اختص الله به هؤلاء الرسل ، وهو اصطفاؤه لهم على الناس برسالته وبكلامه ووحيه وتخصيصهم بذلك ، فلا يقاس أحد من الناس بهم حيثئذ من هذه الجهة .

(١) القياس في الشرع الإسلامي : ٦-٧ .

أما مشابھتهم لهم من جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح من هذه الجهة قياس الرسل على غيرهم فيها ، وعليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾^(١) .

لكن الجاهليين لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاقد ولا عرفوا الجامع والفاقد .

ثالثاً : وهذه أمثلة من غلطهم في القياس :

١- قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾^(٢) .

قال الشوكاني : ثم ذكروا ما افتخروا به من الأموال والأولاد وقاسوا حالهم في الدار الآخرة على حالهم في هذه الدار على تقدير صحة ما أنذرهم به الرسل^(٣) .

وقد ردَّ الله عليهم مبطلاً هذا القياس بقوله : ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾^(٤) .

فأمر الله نبيه ﷺ بأن يجيب عنهم وقال : ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أي يسطه له ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي يضيق على من يشاء

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) سبأ : ٣٥ .

(٣) فتح القدير ٤/٤٦٤ .

(٤) سبأ : ٣٦ ، ٣٧ .

أن يضيقه عليه فهو سبحانه قد يرزق الكافر والعاصي استدراجاً له ، وقد يمتحن المؤمن بالتقتير توفيراً لأجره .

وليس مجرد بسط الرزق لمن له يدل على أنه قد رضي عنه ورضي عمله ، ولا قبضه عنه يدل على أنه لم يرضه ولا رضي عمله ، فقياس الدار الآخرة على الدار الأولى في مثل هذا من الغلط البين أو المغالطة الواضحة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا ، ومن جملة هؤلاء الأكثر من قاس أمر الآخرة على الأولى .

ثم زاد هذا الجواب تأييداً وتأكيداً : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا رَبَّنَا ﴾ أي ليسوا بالخصلة التي تقربكم عندنا قربي ^(١) .
٢ - ومن غلطهم أيضاً في القياس :

قياسهم المسيح عليه السلام على أصنامهم ، وكان هذا القياس منهم عند ما أنزل قوله : ﴿ إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرْدُونَ ﴾ ^(٢) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ^(٣) .

وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً ، وليس كذلك بل العلة أنه معبود ليس مستحقاً للشوَاب ، أو معبود لا ظلم في إدخاله النار ، فالمسيح والعزيز والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو من عباد الله الصالحين ، وهو مستحق لكرامة الله بوعده الله وعدله وحكمته فلا يعذب بذنب غيره ؛ فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى ^(٤) .

(١) فتح القدير ٤/٤٦٤ .

(٢) الأنبياء : ٩٨-٩٩ .

(٣) القياس لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٢٦٣ .

ولفظ الآية يرد هذا القياس فإنه قال : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فما لما لا يعقل ، ولم يقل : إنكم ومن تعبدون ، فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح والعزير ، وإنما ذلك للأحجار ونحوها التي لا تعقل .

والحاصل أن هذا قياس مع الفارق وذلك من وجوه :-

أحدهما : أن الملائكة والمسيح وعزيراً ممن سبقت لهم من الله الحسنى ، فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار فلا يعذبون بعبادة غيره مع بغضهم ومعاداتهم لهم .

فالتسوية بينهم وبين الأصنام أقبح من التسوية بين البيع والربا ، والميئة والذكي ، وهذا شأن أهل الباطل ، وإنما يسهون بين ما فرق الشرع والعقل والفطرة بينه ، ويفرقون بين ما سوى الله ورسوله بينه .

الثاني : أن الأوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة ، فإذا حصبت بها جهنم إهانة لها ولعابديها لم يكن في ذلك من لا يستحق العذاب بخلاف الملائكة والمسيح وعزير ؛ فإنهم أحياء ناطقون فلو حصبت بهم النار كان ذلك إيلاًماً لهم وتعدياً لهم .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزعمه فإنه لم يعبدهم في الحقيقة فإنهم لم يدعوا إلى عبادتهم ، وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهموا أن العبادة هؤلاء ، فإنهم عبدوا بزعمهم من ادعى أنه معبود مع الله وأنه معه إله^(١) .

(١) شفاء العليل لابن القيم ٨٣/١ .

رابعاً : معنى الانحراف في العقيدة :

الانحراف في العقيدة هو الميل والعدول بها عن وجهها الصحيح إلى غيره ، والمحرف هو الذي يغير الكلام عن موضعه إما في مبناه أو في معناه حتى يظن أنه حق .

وقد ذم الله تبارك وتعالى التحريف وأجمع أهل الأرض على اختلاف مللهم على تحريمه لكن هذا الإجماع لن يسلم لأهل ملة إلا لأهل الإسلام .

ومضى صدر الأمة وسلفها على ذلك ، ثم خلف بعدهم خلوف وانقح في الأمة داعي الهوى فلم يسلم إلا لأهل السنة والجماعة .
والعقيدة في الاصطلاح العام تطلق على حكم الذهن الجازم حقاً كان أم باطلاً .

فإن كان الحكم الذهني الجازم صحيحاً كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد المسلمين بوحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .
وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد النصارى بأن الله ثالث ثلاثة .

وتطلق العقيدة أيضاً على الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه ضميره ويتخذة ديناً يدين به بغض النظر عن صحته من عدمها .

والعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بكل ما جاء في القرآن
الكريم والسنة الصحيحة من أصول الدين وأموره وإخباره وما أجمع عليه
السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكمة والأمر والقدر والشرع^(١) .
ولعلي بهذه المسائل الأربع قد ألقيت الضوء على عنوان الرسالة ،
وما توفيقى إلا بالله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب .

* * * * *

(١) انظر تحريف النصوص ، للشيخ بكر أبي زيد : ٣٧-٥٥ ، ومباحث في عقيدة أهل
السنة والجماعة للدكتور ناصر العقبيل : ١٠،٩ .

الباب الأول : القياس الفاسد وأثره
على أصحابه في غير مبحث الإجماع
والصفات

وفيه فصلان :

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد على

المتقدمين

الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد على

المتأخرين

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد على المتقدمين

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على إبليس .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على المنكرين للنبوات .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المشركين .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على القبورين .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المنكرين للبعث .

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على إبييه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

يعتبر إبليس - الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات والسبب في شقاوة كثير من الناس - هو أول المتأثرين بالقياس الفاسد ، فكان من تأثره أنه عارض النص ، وهو أمر الله له بالسجود لآدم بقياسه الفاسد إذ قاس نفسه على عنصره وقاس آدم على عنصره فانتج من ذلك أنه خير من آدم ، وأن كونه خيراً من آدم يمنع سجوده له المنصوص عليه من الله ^(١) .

ولقد صور القرآن الكريم قياس إبليس الفاسد في آيات منها :

- ١ - قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ^(٢) .
- ٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ ^(٣) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ^(٤) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ^(٥) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ^(٦) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ^(٧) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ^(٨) .

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ١٨٨ ، وانظر : مذكرة في أصول الفقه للشيخ

الأمين الشنقيطي : ٣٤٢ .

(٢) الأعراف : ١١ - ١٢ .

(٣) الحجر : ٢٨ - ٣٣ .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴿٧٤﴾ (١)

٤ - وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ

﴿٧٥﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٦﴾ فَسَجَدَ

الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ

يَبْنَئُ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٩﴾

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٨٠﴾ (٢)

ففي هذه الآيات الكريمات يخبرنا تعالى عن تكريمه لأبينا آدم عليه السلام

حيث أمر الملائكة بالسجود فاستجابوا له لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم

ويفعلون ما يؤمرون - إلا إبليس فإنه خص نفسه بالامتناع عن السجود

لآدم بقياس فاسد هو قوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طِينٍ ﴾ .

قال الرازي : « ثم إن إبليس أخرج نفسه من هذا العموم بالقياس

وهو أنه مخلوق من النار ، والنار أشرف من الطين ، ومن كان أصله

أشرف فهو أشرف ، والأشرف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الأدنى ، والدليل

عليه أن هذا الحكم ثابت في جميع النظائر ولا معنى للقياس إلا ذلك » (٣)

(١) الإسراء : ٦١ .

(٢) ص : ٧٦-٧٧ .

(٣) تفسير الرازي ٣٣/١٤ .

وقال ابن القيم : « فإن الله لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين ^(١) :

إحدهما : قوله تعالى : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ فهذه الصغرى ، والكبرى محذوفة تقديرها : والفاضل لا يسجد للمفضول ، وذكر مستند المقدمة الأولى وهو أيضاً قياس حملي حذف إحدى مقدمتيه فقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ .

والمقدمة الثانية : كأنها معلومة ، أي ومن خلق من نار أفضل ممن خلق من طين ، فهما قياسان متداخلان ، وهذه يسميها المنطقيون الأقيسة المتداخلة .

فالقياس الأول هكذا : أنا خير منه وخير المخلوفين لا يسجد لمن هو دونه وهذا من الشكل الأول ^(٢) .

(١) القياس الحملي : هو قياس يتألف من ثلاثة حدود ، مقدمة صغرى ، ومقدمة كبرى ، ونتيجة .

فالمقدمة الصغرى : هي القضية التي تشتمل على الحد الأصغر .

والمقدمة الكبرى : هي القضية التي تشتمل على الحد الأكبر .

والنتيجة : هي القضية الجديدة التي نستفيدها من القياس .

مثاله : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف حادث ، فكل جسم حادث

صغرى كبرى نتيجة

ضوابط المعرفة للميداني : ٢٣٠ .

(٢) الشكل الأول : هو ما كان الحد الأوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى .

مثاله : كل إنسان حيوان ، وكل حيوان حساس ، فكل إنسان حساس .

انظر : آداب البحث والمناظرة للشيخ الأمين الشنقيطي ١/٦٥ ، وضوابط المعرفة للميداني : ٢٣٧ .

والقياس الثاني هكذا : خلقتني من نار وخلقته من طين ، والمخلوق من النار خير من الطين ، فنتيجة هذا القياس العقلي أنا خير منه .

ونتيجة الأول : ولا ينبغي أن أسجد له «^(١) .

ولسائل أن يسأل بعد هذا فيقول : هل كان بإمكان إبليس أن يقيس قياساً صحيحاً ؟

والجواب : نعم لقد كان ذلك ممكناً فإنه لو نظر في عنصر الملائكة الذي خلقوا منه وهو النور كما جاء ذلك في قوله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »^(٢) .

لكان له بهم قدوة فقد سجدوا لآدم مع أن مادتهم التي خلقوا منها خير من مادته .

لكنه كما قال الشوكاني رحمه الله : « ولو لا سبق الشقاوة وصدق كلمة الله عليه لكان له بالملائكة المطيعين لهذا الأمر أسوة وقدوة فعنصرهم النوري أشرف من عنصره الناري »^(٣) .

قال الشيخ الأمين^(٤) رحمه الله مبيناً إمكانية صحة القياس إذا لم يعتره الخلل من جهة الناظر فيه : « واعلم أن نفس القياس المنطقي في حد

(١) الصواعق المرسله ٣/٩٩٨-٩٩٩ .

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٤ .

(٣) فتح القدير ٢/١٩١-١٩٢ .

(٤) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب أضواء البيان ، الإمام الهمام ، زكي النفس ، رفيع المقام ، كريم السجايا ، عف المقال ، حميد الخصال ، ولد رحمه الله عام ١٣٠٥ هـ ، وتوفي عام ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة ودفن بها .

ذاته صحيح النتائج إن ركبت مقدماته على الوجه الصحيح صورة ومادة مع شروط إنتاجه فهو قطعي الصحة ، وإنما يعزبه الخلل من جهة الناظر فيه ، فيغلط ، فيظن هذا الأمر لازماً لهذا مثلاً .

فيستدل بنفي ذلك اللازم في زعمه على نفي ذلك الملزوم مع أنه لا ملازمة بينهما في نفس الأمر البتة ، ومن أجل غلظه في ذلك تخرج النتيجة مخالفة للوحي الصحيح لغلط المستدل .

ولو كان استعماله للقياس المنطقي على الوجه الصحيح لكانت نتيجته مطابقة للوحي بلا شك لأن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح»^{(١)(٢)} .

وهذا ما حصل لإبليس - لعنه الله - فقد غلط في قياسه فجاءت النتيجة مخالفة للوحي ؛ لأنه - ظن ظناً أurdاه - أن هناك تلازماً بين المادة الفاضلة - حسب زعمه - وهي النار ، والمفضولة وهي الطين .

مع أنه لا ملازمة بينهما ، فإنه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة أخرى أن يكون المخلوق منها أفضل من المخلوق من المادة الأخرى ؛ فإن الله سبحانه وتعالى لكمال قدرته يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من المادة الفاضلة ، ولهذا كان الرسل أفضل من الملائكة وإن كانت مادتهم نوراً ومادة البشر تراباً .

(١) آداب البحث والمناظرة ١/٦٠٥ .

(٢) المنطق وإن اشتمل على بعض الحق خاصة فيما يتعلق ببعض الصور الشكلية فلا يجوز أن يكون ذلك مبرراً لجواز الاشتغال به ، بل باطله أضعاف ما فيه من حق .

كلام العلماء عن قياس إبليس :

تحدث العلماء قديماً وحديثاً عن قياس إبليس ، فقال الحسن البصري^(١) : « قاس إبليس وهو أول من قاس »^(٢) .

وقال محمد بن سيرين^(٣) : « أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس »^(٤) .

قال ابن كثير رحمه الله مبيناً معنى كلام الحسن وابن سيرين رحمهما الله : « ومعنى هذا أنه نظر في نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع عن السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة ، والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار »^(٥) .

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله : « اعلم أن أول من قاس قياساً فاسد الاعتبار إبليس حيث عارض النص الصريح الذي هو السجود لآدم بأن قاس نفسه على عنصره وقاس آدم على عنصره فأتتج من ذلك

(١) هو الحسن بن يسار البصري ثقة فقيه مشهور ، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين رحمه الله رحمة واسعة . انظر : التقریب ١٦٥/١ .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٥٨-٥٩ ، وانظر : البغوي ١٥٠/٢ ، والقرطبي ١٧١/٧ ، قال ابن كثير في تفسيره : « إسنادهما صحيح » ١٤٩/٣ .

وقال الشوكاني عن قول الحسن : إسناده صحيح إلى الحسن . انظر : فتح القدير ١٩٣/٢ .

(٣) هو محمد بن سيرين الأنصاري البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر ، مات سنة عشر ومائة رحمه الله .

انظر : التقریب ٨٥/٢ .

(٤) المصادر السابقة .

(٥) البداية والنهاية ٧٨/١ ، وانظر : عقد المرجان للشبلي : ٢٠٨ .

أنه خير من آدم وأن كونه خيراً من آدم يمنع سجوده له المنصوص عليه من الله»^(١).

وقال الشيخ الدوسري رحمه الله^(٢) : « وأما إبليس فأبى واستكبر وكان من الكافرين ؛ لأنه جره أصله الشرير فعتا عن أمر ربه وجره الاستكبار ، والغرور من حيث طبعه إلى أن يقيس قياساً فاسداً قائلاً : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ووجه قياسه أنه عكس الأمر لفساد تصويره ذلك أن الطين خير من النار بكثير »^(٣).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله^(٤) : « وهذا من القياس الفاسد ؛ فإن عنصر النار مادة الشر والفساد والعلو والطيش والخفة ، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع ، وإخراج أنواع الأشجار والنباتات وهو يغلب النار ويطفئها ، والنار يحتاج إلى مادة تقوم بها والطين قائم بنفسه ، فهذا قياس شيخ القوم الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله قد تبين غاية بطلانه وفساده فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم فإنها كلها أعظم بطلاناً وفساداً من هذا القياس »^(٥).

(١) مذكرة في أصول الفقه : ٣٤٢ .

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسري ، من قبيلة الدواسر ولد في مدينة البحرين عام ١٣٣٢هـ ، وتوفي عام ١٣٨٩هـ رحمه الله ، له المؤلفات الكثيرة منها صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم .

(٣) صفوة الآثار ٨٢/٢ .

(٤) هو العلامة الورع الزاهد الفقيه الأصولي المحقق المدقق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي الشهير بعلامة القصيم ، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧هـ ، وتوفي بها عام ١٣٧٦هـ رحمه الله رحمة واسعة .

(٥) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٨/٧ .

ومن خلال كلام العلماء يظهر لنا بعض الرد على قياس إبليس
الفاقد الذي سيأتي متكاملًا في المطلب الآتي إن شاء الله .

المطلب الثاني : الرد على قياسه الفاسد

إبليس لعنه الله غير معني بهذا الرد ؛ لأنه لا يستفيد منه لسبق شقاوته ، لكن الأمر كما يقول عز الدين عبد السلام المقدسي ^(١) : « فإن إبليس وإن كان قد نفذ حكم الله فيه وجرى عليه قلم الشقاوة ببعده من الله ، لكن شياطين الإنس ، وأبالسة الجن أشد بأساً وأصعب مراساً ، وأقوى وسواساً من وسواس إبليس ، وأشد منه في التلبيس » ^(٢) .

فهذا بشار بن برد - فيما ينسب إليه - يقف في صف إبليس ليصحح له قياسه الفاسد فيقول :

الأرض مظلمة سوداء مقتمة والنار معبودة مذ كانت النار
فالييت كما ترى صريح في تفضيل النار على الطين فهي معبودة
لشرفها وعظمتها ، أما الطين فهو مظلم لا يسمو لدرجتها .
وأصرح منه قوله :

إبليس خير من أيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجار
إبليس من نار و آدم طينة والأرض لا تسمو سمو النار ^(٣)

وهذا أوان الشروع في الرد على قياس إبليس :

(١) هو عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غام بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري المقدسي ، المصري الشافعي أحد المرزبين في الوعظ والنثر والنظم ، توفي رحمه الله عام ٦٧٨ هـ .
انظر : البداية والنهاية ٢٨٩/١٣ ، وشذرات الذهب ٣٦٢/٥ .

(٢) تفليس إبليس : ٢٧ .

(٣) ديوان بشار بن برد : ٥٣٩ ، ومن نسب الأبيات إليه ابن القيم ، وابن كثير .

انظر : الصواعق المرسلة ١٠٠٠/٣ ، والبداية والنهاية ١٧٢/١٠ .

قال النهي : اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً ليقر فمات منها ، وقيل : كان يفضل النار ويتنصر لإبليس ، هلك سنة ١٦٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٥/٧ .

قياس إبليس ظاهر الفساد من عدة وجوه :

أولاً : إنه قياس في مقابلة النص والقياس إذا صادم النص وقابله كان قياساً باطلاً وهو فساد في الاعتبار وعدم استبصار ؛ لأن العمل بالنص مقدم على القياس ؛ لأن سهام القياس تصيب مرة وتخطئ أخرى ، وقد أخطأ إبليس في قياسه ، ففسد عليه عقله ، ودنياه وآخرته ^(١) .

ثانياً : إن قوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ كذب ، ومستنده في ذلك باطل ؛ فإنه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة تفضيل المخلوق منها على المخلوق من الأخرى ؛ فإن الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها ، وهذا من كمال قدرته سبحانه ، ولهذا كان محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح والرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة ، وإن كانت مادتهم نوراً ، ومادة البشر تراباً .

ثالثاً : كان مستنده في أن النار خير من التراب هو ما فيها من الإضاءة والخفة ، بخلاف التراب فإنه ثقيل مظلم .

ونسى الشيخ أبو مرة ما في النار من الطيش والخفة وطلب العلو والإفساد بالطبع حتى لو وقع منها شرارة صغيرة في مدينة عظيمة لأفسدها كلها ومن فيها .

رابعاً : إن الطين اشتمل على أصليين من الأصول الأربعة وهو الماء والتراب ، فكيف يكون أصل واحد خيراً من أصليين متكافئين ، وعلى تقدير تسليم التفاضل فالماء أفضل ؛ لأن سلطانه يقهر سلطان النار إذا التقيا .

(١) انظر : الصواعق المرسله ٣/١٠٠٢-١٠٠٤ .

خامساً : على تقدير صحة قياسه فالترجيح للسجود من وجهين :
أحدهما : أن مصلحة امتثال الأمر راجحة على الامتناع ؛ لأن
امتثال الأمر آمن من العقاب المترتب على المخالفة .
الوجه الثاني : أن الامتناع من السجود بهذا التعليل المذكور من
جهته يلزم منه تحطئة الأمر ونسبته إلى وضع الشيء في
غير موضعه وذلك في غاية الجناية على الإله الحكيم^(١) .
وهناك خمسة عشر وجهاً لبيان أفضلية التراب على النار أذكر طرفاً
منها ليتضح من خلالها فساد قياس إبليس اللعين :

أولاً : كل من رزقه الله أدنى بصيرة يدرك ما تلحقه النار من
الفساد على كل ما تأتي إليه بخلاف التراب .

ثانياً : يظهر الفرق جلياً بين النار والتراب ، فالنار فيها الخفة
والطيش ، أما التراب ففيه الرزانة والسكون والثبات .

ثالثاً : إن التراب سبب للخيرات فكل ما يوضع فيه مما فيه صلاح
للإنسان والحيوان من أنواع الجبوب فإنه يخرج منه لك أضعاف أضعاف ما
كان ، وعلى التراب تستقر مساكن الإنسان ، وهل توجد هذه الأشياء في
النار ؟

رابعاً : إن التراب ضروري للحيوان لا يمكن أن يستغني عنه البتة
ولا عن مكوناته ، والنار يستغني عنها الحيوان البهيم مطلقاً ، وقد يستغني
عنها الإنسان مدة طويلة .

(١) انظر : الصواعق المرسله ٣/١٠٠٢-١٠٠٤ ، وانظر كتاب : استخراج الجدال من
القرآن الكريم لابن الحنبلي : ٦٠-٦١ .

خامساً إن النار مفتقرة إلى التراب فلا بد أن تكون محمولة عليه ،
أما التراب فإنه غني عنها .

سادساً : ما أخبرنا الله به من خلق الجن من مارج من نار ، وهذا
المارج ضعيف يلعب به الهواء كيف شاء ، ولذلك غلب الهوى على
الشیطان فأسره وقهره بخلاف التراب فإنه قوي لا يلعب به الهواء ، لأجل
ذلك غلب آدم عليه السلام هواه وأسره وقهره فرجع إلى ربه فاجتباها واصطفاه .

سابعاً : من حكمة الله تبارك وتعالى أن جعل النار كامنة تظهر
عند الحاجة إليها ، فلو لا هذا الكمون لأفسدت الحرث والنسل وأين هذا
من التراب الذي أودع الله فيه الخير والبركة ، كلما أثير كثر خيره ؟!

ثامناً : إن الله تبارك وتعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع
من كتابه ، وأما النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلاً بل هي مذهب
للبركة ماحقة لها ، فأين المبارك في نفسه المبارك فيما وضع فيه من مزيل
البركة وماحقها ؟!

تاسعاً : إن الله عز وجل أودع في الأرض من المنافع والمعادن
والأنهار والعيون والزرور والثمار والرياض البهجة ما لم يودع في النار
شيئاً من ذلك ، فأني روضة وأي ثمرة لذينة ، أو نهر مطرد ، وزوجة
حسنة ، وقصر مشيد وريحانة تهتز وحدثت في النار ؟!

عاشراً : إن في الأرض مهبط وحي الله ، ومحل بيوته التي يذكر
فيها اسمه عموماً ، وبيته الحرام خصوصاً ، ولو لم يكن فيها إلا بيته الحرام
الذي جعله الله قياماً للناس مباركاً وهدى للعالمين لكفأها شرفاً وفضلاً
على النار ^(١) .

(١) انظر : بدائع الفوائد ٤/١٨٨-١٩٢ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد هذه الوجوه : فهذا وأمثاله مما يدل على ضعف مناظرة اللعين ، وفساد نظره وإدراكه ، وأن الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم ، فعارض حكمة الله وأمره برأيه الباطل، ونظره الفاسد ، فقياسه باطل نصاً وعقلاً ، وكل من عارض نصوص الأنبياء بقياسه ورأيه فهو من خلفائه وأتباعه ، فعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله التوفيق والعصمة من هذا البلاء الذي ما رمي العبد بشر منه ، ولأن يلقي الله بذنوب الخلائق كلها ما خلا الإشراف به أسلم له من أن يلقي الله وقد عارض نصوص أنبيائه برأيه ورأي بني جنسه .

وهل طرد الله إبليس ولعنه وأحل عليه سخطه وغضبه إلا حيث عارض النص بالرأي والقياس ، ثم قدم عليه ، والله يعلم أن شبه عدو الله مع كونها داحضة باطلة أقوى من كثير من شبه المعارضين لنصوص الأنبياء بأرائهم وعقولهم .

فالعالم يتدبر سر تكرير الله لهذه القصة مرة بعد مرة وليحذر أن يكون له نصيب من هذا الرأي والقياس وهو لا يشعر ، فقد أقسم عدو الله أنه ليفوين بني آدم أجمعين إلا المخلصين منهم ، وصدق تعالى ظنه عليهم وأخبر أن المخلصين لا سبيل له عليهم .

والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله .

والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء ، فيجرد عبادة الله عن عبادة ما سواه ، ويجرد متابعة رسوله وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره ، فليزن العاقل نفسه بهذا الميزان قبل أن يوزن قبل القسوم على الله ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على المنكرين للنبوات

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

الطاعنون في رسالة الأنبياء والمنكرون لها واقعون تحت تأثير قياس فاسد ، ولئن قاس إبليس نفسه على عنصره وقاس آدم على عنصره وأنتج ذلك أنه خير من آدم ، وأن كونه خيراً من آدم يمنع من سجوده له ، فهؤلاء المنكرون للنبوات والرسالات قاسوا الأنبياء والرسل على أنفسهم بجماع البشرية في كل ، فقالوا : أنتم بشر مثلنا وقد منعت البشرية من رسالتنا فلتمنع من رسالتكم^(١) .

وفي مشابهة هؤلاء لإبليس قال الشهرستاني : « ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات ، وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق ، فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبنزور وترجع حملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق ، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص ... »

ومن جادل نوحاً ، وهوداً ، وصالحاً ، وإبراهيم ، ولوطاً ، وشعياً ، وموسى ، وعيسى ، ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته ، وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم ووجد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم ، إذ لا فرق بين قولهم ﴿ أَبَشَرٌ مِّثْلُونَا ﴾^(٢) وبين قوله : ﴿ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾^(٣) «^(٤)» .

(١) انظر : أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها لعبد العزيز الربيع : ٨٦ .

(٢) التغابن : ٦ .

(٣) الإسراء : ٦١ .

(٤) الملل والنحل ١/١٨-١٩ .

قال شيخ الإسلام : « وجماع شبه هؤلاء الكفار أنهم قاسوا الرسول على من فرق الله بينه وبينه وكفروا بفضل الله الذي اختص به رسله فأتوا من جهة القياس الفاسد »^(١) .

وقال ابن القيم : « فاعتبروا صورة مجرد الآدمية وشبه المجانسة فيها، واستدلوا بذلك على أن حكم أحد الشبهين حكم الآخر ، فكما لا نكون نحن رسلاً فكذلك أنتم ، فإذا تساونا في الشبه فأنتم مثلنا لا مزية لكم علينا »^(٢) .

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا القياس في إحدى مسائل الجاهلية فقال : « المسألة الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم : ﴿ إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا ﴾^(٣) »^(٤) .

وقد ذكر الرب تبارك وتعالى هذا القياس الفاسد عند القوم في عدة آيات من كتابه العزيز على مر العصور قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا فِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ

(١) مجموع الفتاوى ١٧/١٢ .

(٢) إعلام الموقعين ١٤٩/١ ، وانظر : الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس للأمر

الصنعاني : ١٨ .

(٣) إبراهيم : ١٠ .

(٤) مسائل الجاهلية ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب القسم الأول :

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَتَيْنَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَنَا ﴿١﴾ .

ففي هذه الآيات الكريمات بيان للقياس للفساد الذي عارض به المكذبون الرسل عليهم الصلاة والسلام ، بدأ بقوم نوح وانتهاء بمن جاءوا من بعدهم من الأمم الذين لا يعلمهم إلا الله وهو قولهم : ﴿ إِنْ أَتَيْنَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَنَا ﴾ .

وقال تعالى في موضع آخر عن قوم نوح : ﴿ مَا نَدْرِكُ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا ﴾ (٢) .

قال ابن كثير : أي لست بملك ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا (٣) .

وقال تعالى أيضاً عن قوم نوح : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٤) .
أي هو بشر مثلكم يشاركم في البشرية ومع ذلك يريد الارتفاع عليكم بدعوى النبوة ، إن البشرية مانع من رسالة البشر فكيف أوحى إليه من دوننا (٥) .

وقال تعالى عمن جاء من بعد قوم نوح وهم قوم هود كما استظهره الإمام البغوي في تفسيره (٦) : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ

(١) إبراهيم : ٩-١٠ .

(٢) هود : ٢٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٤٧/٣ .

(٤) المؤمنون : ٢٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١٧/٥ .

(٦) معالم التنزيل ٣٠٨/٣ .

﴿٣٦﴾ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾
 وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٧﴾
 وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى عن من جاء من بعد قوم هود وهم قوم صالح : ﴿ قَالُوا
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿١﴾

وقال تعالى عنهم أيضاً : ﴿ أَبَشْرًا مِثْنَا وَ حِدَا تَبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَقِيَ ضَلَّلِلِ
 وَسُعُرٍ ﴾ ﴿٣٧﴾

وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ
 ﴾ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤﴾

وقال تعالى عن قوم موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ
 لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ ﴿٥﴾

وقال تعالى عن أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون : ﴿ قَالُوا مَا أَتَيْتُمْ
 إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ﴿٦﴾

(١) المؤمنون : ٣١-٣٤ .

(٢) الشعراء : ١٥٣-١٥٤ .

(٣) القمر : ٢٤ .

(٤) الشعراء : ١٨٥-١٨٦ .

(٥) المؤمنون : ٤٧ .

(٦) يس : ١٥ .

قال ابن كثير رحمه الله : « أي فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا يوحى إلينا مثلكم »^(١).

وهكذا نرى هذا القياس الفاسد تتوارثه الأمم المكذبة للرسول عليهم السلام جيلاً بعد جيل ، وقد كان له أبلغ الأثر في منعهم من الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٢).

لقد كان هذا القياس سبباً في شقاوة هؤلاء المكذبين فأهلكهم الله بأنواع من العذاب ، والحديث عن إهلاك هؤلاء الأمم يحتاج إلى بحث مستقل ، وقد طرد هؤلاء من رحمة الله كما فعل إبليس من قبل .

وهنا سؤال يطرح ، وهو متى يكون القياس هنا صحيحاً ؟

والجواب : يكون صحيحاً فيما هو من لوازم البشرية الضرورية ، قال الآلوسي رحمه الله : « بين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابهة من جهة البشرية ولوازمها الضرورية ، فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾^(٣) .

وبين الرسل والأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها :

أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالته وبكلامه ووحيه ، وخصهم بذلك ، فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما

(١) تفسير ابن كثير ٦٠٦/٥ .

(٢) الإسراء : ٩٤ .

(٣) الكهف : ١١٠ .

لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضوع .

فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاسد ، ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم ، وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم»^(١) .

وفي قول الألويسي رحمه الله : (ومن هو على شاكلتهم) نجد أن القياس الفاسد أخذ شكلاً آخر عند المشابهين لهؤلاء ، إذ كان الأولون يقيسون الرسل على أنفسهم ، لكن هؤلاء الذين يشاكلونهم ممن ينكرون النبوات يقيسون الخالق على المخلوق فيقولون : « ليس الخلق أهلاً أن يرسل الله إليهم رسولاً ، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلاً أن يرسل السلطان إليهم رسولاً »^(٢) .

وستبين لنا إن شاء الله تعالى خطأ هذا القياس من جهتين من جهة الخالق ومن جهة المخلوق ، والله المستعان .

(١) شرح مسائل الجاهلية للألويسي : ١٨-١٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣١/٦ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

يتضح مما سبق أن المنكرين للنبوات وقعوا في قياس فاسد من

جهتين:

١ - قياس الرسل على أنفسهم بجماع البشرية في كل .

٢ - قياس الخالق على المخلوق .

فأما الرد على الأولين فمن نفس بعض الآيات المتقدمة ففيها الرد

على قياسهم الفاسد .

فهذا هو القرآن الكريم يرد على هؤلاء المنكرين والمكذابين للرسل
قياسهم الفاسد وهو قولهم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الْإِنْسَانُ الْمُرْتَابُونَ ﴾ يرد عليهم بقوله
تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الْإِنْسَانُ الْمُرْتَابُونَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ﴾^(١) .

قال ابن كثير رحمه الله : « ﴿ إِنَّا نَحْنُ الْإِنْسَانُ الْمُرْتَابُونَ ﴾ أي :
صحيح إنا بشر مثلكم في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ،
أي بالرسالة والنبوة »^(٢) .

وقال ابن القيم : « وهذا من أبطال القياس فإن الواقع من

التخصيص والتفضيل يبطل هذا القياس »^(٣) .

وفي الآية الكريمة نوع من أنواع الجدل المصطلح عليها في علم

الجدل :

(١) إبراهيم : ١١ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٣/٤ .

(٣) إعلام الموقعين ١٤٩/١ .

وهو مجارة الخصم حتى يتبين تعثره ؛ بأن يسلم بعض مقدماته
حيث يراد تبكيته وإلزامه .

فهؤلاء المنكرون يقولون : أنتم بشر مثلنا ، ويجب الرسل نعم نحن
كذلك فهل يفهم من هذا الجواب أنهم يسلمون انتفاء الرسالة عنهم ؟
والجواب ليس الأمر كذلك بل كما يقول السيوطي رحمه الله : « فيه
اعتراف الرسل بكونهم مقصوريين على البشرية ، فكأنهم سلموا انتفاء
الرسالة عنهم ، وليس مراداً بل هو من مجارة الخصم ليعثر ، فكأنهم
قالوا : ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافي أن يمن
الله تعالى علينا بالرسالة » ^(١) .

وجاء في مناهج الجدل في القرآن الكريم : « فكأن الرسل عليهم
الصلاة والسلام قالوا في الرد على المنكرين لنبوتهم : ما ادعيتم من كوننا
بشراً حق لا ننكره ولكن دعواكم هذه لا تنتج عدم الرسالة ، ولا تنافي أن
يمن الله علينا بها ، بل البشرية شرط في الرسالة إلى عامة البشر ، فإن سنة
الله جرت بأن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم يعرفون قدره ،
ومكانته ، وصدقه وأمانته » ^(٢) .

وهذا الرد على المنكرين ملزم للقوم بدليل أنهم سكتوا ولم
يعارضوه بشيء بل لجأوا لمنطق القوة كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ نُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنْهَلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) .

(١) تهذيب وترتيب الإتيان في علوم القرآن لمحمد عمر : ٥١٥ .

(٢) مناهج الجدل للدكتور زاهر الألمي : ٧٧ .

(٣) إبراهيم : ١٣ .

وهناك أيضاً رد آخر على هؤلاء المنكرين بأسلوب آخر فهاهم
الرسل يردون على أصحاب القرية قياسهم الفاسد وهو قولهم ﴿ مَا أَتَمُّ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلَنَا ﴾ بقولهم : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(١) ، وذلك أن
الآية قررت العلم ، فكأن الرسل قالوا لهم : ولكن ما رأيكم إذا كان الله
يعلم بأننا رسله إليكم ، وأنتم تخالفون مقتضى هذا العلم ، أليس في هذا
حناية على الحقيقة ؟

وهذا رد ملزم بدليل أنهم سكتوا ولم يعارضوه بشيء بل لجأوا
لأسلوب آخر كما هو شأن المبطلين فقالوا : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

وهذا نوح عليه السلام يرد هذا القياس الفاسد وهو ما ذكره الله عنهم
بقوله : ﴿ وَمَا ذَرَيْنَا إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ بقوله : ﴿ يَنْقُومُ آرَاءُ يُتِمُّ بِكُمْ لِنَبِّئَنَّ
بِئِنَّةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآءَتْنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعَمَّيْتَ عَلَيْكُمْ أَلْزَمْتَهُمَهَا وَأَتَمَّتْ لَهَا
كُرْهُونَ ﴾ ^(٣) .

جاء في مناهج الجدل : ويتضمن الرد الكريم ما يلي :

١ - إن الاصطفاء بالرسالة من خصائص الله ، وأن الله يصطفي
برحمته من يشاء سواء كان من اصطفاه بشراً أو غير بشر ، فكيف
تحجزون رحمة الله وبأي دليل من العقل أو من الوحي وهل يمتنع على الله
أن يصطفي بشراً رسولاً ؟

(١) يس : ١٦ .

(٢) يس : ١٨ .

(٣) هود : ٢٨ .

٢ - كيف يستطيعون رد البينة التي أكرمني الله بها ؟
والبينة التي مكنه الله منها أمران : أمر فكري يتضمن الحقائق
الدينية المؤيدة بالبراهين العقلية .

وأمر مادي يتجلى بالمعجزة التي تشهد بصدقه ، وبهذا الرد المحكم
أسقط لهم حججهم الأولى^(١) .

وهنا سؤال يطرح وهو : إذا كان لا يصح في نظر هؤلاء المنكرين
أن يكون الرسول بشراً فما ذا يكون إذا ؟

والجواب : يجب أن يكون ملكاً وإذا لم يكن كذلك فليكن معه
ملك ليدل على صدق ذلك الرسول من البشر ، وقد أجاب القرآن عن
هذا الاقتراح^(٢) ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا
لَقُضِيَ الْأَمْرُ لَكُمْ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا الْجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبَسُونَ ﴿٣﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : «أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه
لجاءهم العذاب كما قال تعالى : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٤﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ
لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾ .

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم : ١٥٤-١٥٥ .

(٢) انظر : أضواء البيان ، للأمين الشنقيطي ٦/٢٨٢ ، ودعوة الرسل للعديوي : ٣٧٨ .

(٣) الأنعام : ٨-٩ .

(٤) الحجر : ٨ .

(٥) الفرقان : ٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا الْجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴾ أي لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكاً أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً لكان على هيئة الرجل ليتمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري » (١) .

فحكمة الله إذا تقتضي أن يبعث إليهم الرسل من جنسهم ، وهذا من لطف الله ورحمته بعباده ، ليفقهوا عنهم ، وليتمكنوا من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث إلى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

ولو كان جنس المرسل إليهم ملائكة فلا عجب أن يكون الرسول إليهم من جنسهم كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَتَمَشَّوْنَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٣) .

ثم أخير سبحانه وتعالى عن علمه بحال هؤلاء المكذبين أنه لو أنزل عليهم الملائكة تخيرهم بصدق الرسل ، أو كلمهم الموتى ، وعرضت عليهم الأمم أمة بعد أمة لتخيرهم بصدق الرسل فإنهم لا يؤمنون إلا أن يشاء الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى

(١) تفسير ابن كثير ٩/٣ .

(٢) آل عمران : ١٦٤ .

(٣) الإسراء : ٩٥ .

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
يَجْهَلُونَ ﴿١﴾ .

وأما الرد على الآخرين ، وهم الذين يقيسون الخالق على المخلوق ،
إذ يقيسون الله على السلطان في أنه لا يرسل رسولاً إلى ضعفاء الناس
فيقول شيخ الإسلام رحمه الله :

فهذا جهل واضح في حق المخلوق والخالق .

[أما في حق المخلوق] فإن أعظم ما تمجد به الملوك خطابهم

بأنفسهم ضعفاء الرعية ؛ فكيف بإرسال رسول إليهم ؟

وأما في حق الخالق فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها

وهو قادر مع كمال رحمته فإذا كان كامل القدرة ، كامل الرحمة ، فما

المانع أن يرسل إليهم رسولاً رحمة منه ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقال النبي ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » (٣) ، ولأن هذا من جملة

إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم .

(١) الأنعام : ١١١ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) أخرجه الدارمي ، وهو حديث صحيح . انظر : صحيح الجامع ٢٨٤/٢ .

كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(١) فَيَنْ تَعَالَى أَنْ هَذَا مِنْ مَنَّةِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

فإن كان المنكر ينكر قدرته على ذلك فهذا قدح في كمال قدرته ، وإن كان ينكر إحسانه بذلك فهذا قدح في كمال رحمته وإحسانه . فعلم أن إرسال الرسول من أعظم الدلالة على كمال قدرته وإحسانه والقدرة والإحسان من صفات الكمال لا النقص ^(٢) .

والذي ينبغي أن يتفطن له أن الآيات السابقة التي تدل على إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة ولا لحاجتهم إليها إنما كان لبعث رسول من البشر .

ولو قال قائل : إن الكفار كانوا يؤمنون بإمكان أن يرسل الله رسولا من البشر غير أنهم جحدوا ذلك بألستهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، وتمويهاً على الطغام من الناس ، وخداعاً لضعفاء العقول ، وتليساً عليهم خشية أن يسارعوا إلى مقتضى الفطرة ويستجيبوا للداعي الدين ، ومتابعة المرسلين ، لو قال ذلك قائل ما كان بعيداً عن الحقيقة ، ولا بجافياً للصواب ، فقد بدرت منهم البوادر التي تؤيد ذلك ، وتصدقه ، ونضحت ألستهم بما يرشد البصير إلى ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من الحقد والحسد والاستكبار أن يوتى الرسل ما أوتوا دونهم وينالوا الفضيلة وقيادة الأمم إلى الإصلاح ما لم ينل هؤلاء ^(٣) .

(١) آل عمران : ١٦٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣١/٦ .

(٣) انظر : مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي : ٥١ ، ٥٢ .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا

أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَغْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رَسُولَهُ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبِينَ

عَظِيمٍ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٣) أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو

مهيئٌ ولا يكاد يبين ﴾^(٤) فلولا ألقى عليه أسورة من ذهبٍ أو جاء معه الملائكة

مُتَّعِينَ ﴾^(٥) .

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٢) الزخرف : ٣١ .

(٣) الزخرف : ٥١-٥٣ .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاهم على المخبرتين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس القاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم القاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الخامس

تقدم في المبحث السابق قياس المنكرين لرسالة البشر ، وهنا قياس فاسد أخذ شكلاً آخر ، إذ كان قياس المنكرين لرسالة البشر هو القياس على أنفسهم ، أما في هذا الموضع فهو قياس الخالق على المخلوق .

وقد وقع هذا القياس في أعظم ما جاء به أولئك الرسل ، وهو الصّدّ عما أمر الله به من عبادته وحده ، والله درّ القائل : « ما أعجب

شأن أهل الضلال لم يرضوا للنبوة يبشر ورضوا للألوهية بحجر »^(١) .
ونذكر هنا بما تقدم من كلام ابن سيرين رحمه الله ، وهو قوله :

أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس *

فها هم المشركون يثبتون الشفعاء والوسطاء من الملائكة والأنبياء وغيرهم بينهم وبين الرب تبارك وتعالى ظناً منهم أنهم يشفعون عند الله قياساً على حال الناس عند كبرائهم وعظمائهم ، إذ من أراد أن يتقرب إلى ملك من الملوك العظماء فلا يحسن أن يأتي إليه أولاً بل ينبغي له أن يتقرب إلى حاشيته وهم يرفعون حوائجه ويقربونه إليه^(٢) .

وهذا القياس الفاسد ذكره الله تبارك وتعالى عنهم في قوله :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٣) .

(١) دعوة الرسل : ٦ ، وانظر : مختصر الصواعق المرسله ٧٧/١ .

* : تقدم ص : ٢٠ .

(٢) انظر : كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام : ٥٢٧ ، وانظر : تجريد التوحيد

المفيد للمقريزي : ٢٦ .

(٣) الزمر : ٣ .

جاء في تفسير السعدي رحمه الله عند هذه الآية : « أي لترفع حوائجنا لله وتشفع لنا عنده ، وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئاً ، أي فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص وتجراًوا على أعظم المحرمات وهو الشرك ، وقاسوا الذي ليس كمثلته شيء الملك العظيم بالملوك ، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطفون عليهم ويمهلون لهم الأمر في ذلك - أن الله كذلك، وهذا القياس من أفسد الأقيسة »^(١).

وقد سمى الله هذا القياس القبيح شركاً فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْتُونُ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٢).

وسماه كفراً فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣).

ويحسن هنا ذكر بعض أقوال أهل العلم حول هذا القياس :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم فتشفعون بها ويقولون : هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل إلى الله

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢١/٧ .

(٢) يونس : ١٨ .

(٣) آل عمران : ٨٠ .

بدعائهم وعبادتهم ليشفَعوا لنا كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب من غيرهم فيشفَعون عند الملوك بغير إذن الملوك» (١).

وهذا القياس لا شك أنه ناتج عن جهل المشرك بحق الرب تبارك وتعالى وما يجب له ويمتنع عليه (٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والوليّ»، وقال في موضع آخر: «وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأوثان» (٣).

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله: «قالت طائفة من السلف، كان أقوام يدعون الأنبياء كالمسيح وعزير، ويدعون الملائكة فأخبرهم الله أن هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه بالأعمال، ونهى سبحانه أن يضرب له مثل بالمخلوق فلا يشبهه بالمخلوق الذي يحتاج إلى الأعوان والحجاب ونحو ذلك» (٤).

وقال شارح الطحاوية - مبيناً أنواع التشبيه - : «فإن التشبيه نوعان: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله وأهله في الناس أقل من النوع الثاني الذين هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق كعباد المسيح، وعزير، والشمس، والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعجل، والقبور، والجنّ وغير ذلك وهؤلاء

(١) مجموع الفتاوى ١/١٥٠.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٢٢١، والضياء الشارق لابن سحمان: ٦٠٠.

(٣) إغاثة اللهفان ١/٢٢١-٢٢٨.

(٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي: ٢٩.

هم الذين أرسلت إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادة وحده لا شريك له» (١).

وجاء في كتاب الصراع بين الإسلام والوثنية : « الإنسان .. خلق مادياً حسياً أكثر منه علمياً معنوياً ، وقد سلخت هذه الجيلة الحسية الإنسانية بطوائف من البشر حتى قاسوا الله عز شأنه وسلطانه بزعمائهم وكبرائهم الظالمين الباغين ، فقد وجدوا ورأوا أن هؤلاء الكبراء الظالمين لا يستطيع الضعيف الفقير أن ينال رضاهم ، ولا عدلهم ، ولا رعايتهم ولا شيئاً مما بأيديهم إلا باتخاذ الوسائل والشفعاء لديهم ، وإلا يتيانهم من طريق المقربين لديهم الذين لهم سلطان ودلال عليهم .

ووجدوا أن من أراد إتيانهم وعدلهم ورضاهم من هؤلاء الضعفاء الفقراء بدون شفيع ، ووسيلة كبيرة مرهوبة فلن يصل إليهم ولن يلاقي إلا الحرمان والإقصاء ، والدفع ، والطرده .

وقد ظنوا حيثئذ لجلبتهم الحسية الناقصة أن الله أيضاً كذلك يؤتى ويطلب من طريق الوسائل والوساطات والشفعاء المقربين الممتازين وأنه بغير ذلك لا يمكن الوصول إليه ، ولا الظفر برضاه وقربه والحظوة عنده ، وبهذا صاروا إلى الشرك بالله ، وعبادة الأصنام والأوثان .

والغريب في هذا أنهم لم يقيسوا الله إلا بالظالم من خلقه ، فقد رأوا أن الظالمين من البشر لا تنال منهم الحقوق والحاجات ، والواجبات إلا بالوسائل والشفعاء .

(١) شرح الطحاوية ٢٥٩/١ .

وقد رأوا أيضاً أن العادلين المنصفين من البشر يعطون الحقوق
والواجبات من أنفسهم بلا وسيط ولا شفيع ، فشبهوا الله بالفريق الظالم
الجاهل من عباده»^(١).

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية للقاصي ٢/٢٠٦-٢٠٧ .

المطلب الثاني : الرد على قياصهم الفاسد

لا يكفي في الرد على قياس المشركين الفاسد صفحة أو صفحات بل مجلدات ، لأن الله سبحانه وتعالى سمى هذا القياس شركاً وكفراً ، والقرآن الكريم من أوله إلى آخره اشتمل على بيان التوحيد ودلائله وبطلان الشرك وقبحه فلو أراد شخص أن يكتب في ذلك باستقصاء وتوسع فإنه يلزمه الاستقلال بالموضوع لأهميته وضرورة التوسع فيه ، ولكن ما يذكر هنا من الرد ما هو إلا على سبيل المثال لا الحصر .

أولاً : الآيات التي تنفي هذا القياس [إثبات الشفعاء والوسطاء بين الرب

والعباد في مطالبهم]

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً

إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ

لَهُ قَوْلًا ﴾^(٤) .

(١) البقرة : ٢٢٥ .

(٢) يونس : ٣ .

(٣) النجم : ٢٦ .

(٤) طه : ١٠٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَفْعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ

مُسْتَفْعُونَ ﴾^(١) .

ففي هذه الآيات الكريمات بيان للشفاعة المثبتة ولكن بشروط :
أولاً : الإذن للشافع ، فالمشركون يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ،
فالآيات نفت أنه لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه في الشفاعة لكمال
سلطان الله تعالى ، فإنه كلما كمل سلطان الملك فإنه لا أحد يتكلم عنده
ولو كان كلاماً حسناً إلا بعد إذنه ، وكذلك يعتبر اللفظ في مجلس الكبر
إهانة له ودليلاً على أنه ليس كبيراً في نفوس من عنده .

ثانياً : نفت الآيات أيضاً الشفاعة إلا من بعد الرضا عن المشفوع له
ولا يرضى سبحانه وتعالى إلا عن أهل الإخلاص .

جاء في صفوة الآثار والمفاهيم : « أخبرنا أنه لا شفاعة عنده لأحد
إلا من استثناه الله تعالى بقوله : ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾ وهذا الاستفهام في آية
الكرسي استفهام إنكاري عظيم يعني من ذا الذي يشفع عنده منهم
فيحمله على ترك عقوبة مذنب من بين المذنبين لمجرد الشفاعة ، فهذا
خلاف مقتضى سنته وعدله وحكمته لأنه الخلاق العليم يعلم جميع أحوال
المذنبين وملابساتهم لا يحتاج إلى تعريف شفيح ، فإن الشفاعة يحتاج إليها
المخلوقون فيما بينهم من حاكم ومحكوم لضعف علم الحاكم وحاجته إلى
التعريف بالأحوال ، فقياس الله عليهم قياساً فاسداً مرفوضاً ، ولهذا أنكره
الله وشدد النكير وكرّره»^(٢) .

(١) الأنبياء : ٢٨ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٤٥٣/٣ .

وقد نفى سبحانه وتعالى الشفاعة للكافر والمشرک في مواضع من كتابه .

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَفْقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَالْنَا مِنْ شَفَعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴾ ^(٤) .

وهذه الآيات بيان للشفاعة المنفية التي تطلب من غير الله ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله بالأقوال الحكيمة الآتية فإن فيها توضيحاً وبياناً لفساد قياس المشركين :

أولاً : يقال لهم : إن قولكم : إن الأنبياء والصالحين والملائكة وغيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاه عظيم ومقامات رفيعة فهم يشفعون عند الله لمن طلب منهم ذلك كما يتقرب إلى الوجهاء والعظماء عند الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم - قول باطل لأنه تشبيه الله العظيم ملك الملوك بالملوك المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ سلطانهم ، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة :

١ - إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه .

(١) البقرة : ٢٥٤ .

(٢) الشعراء : ١٠٠ .

(٣) غافر : ١٨ .

(٤) المدثر : ٤٨ .

٢ - أو يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلا بد له من أنصار وأعوان لئلا يعجزه .

٣ - أو يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطبه من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمة في قضاء حوائج رعيته .

وهذه الوجوه الثلاثة منتفية في حق الرب سبحانه وتعالى ؛ لأن الله يعلم أحوال عباده فهو تعالى لا تخفى عليه خافية يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالخاص الملحين .

ولأن الله غني عن كل ما سواه ليس له ظهير ولا ولي من الذل بخلاف المملوك المحتاجين إلى ظهرائهم ، وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله سبحانه ليس له شريك في الملك .

ولأن الله هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته ^(١) .

ثانياً : قال ابن القيم رحمه الله مبيناً قبح قياس المشركين :

فالفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد والمالك والمملوك ، والغني والفقير ، والذي لا حاجة به إلى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه إلى غيره .

فالشفعاء عند المخلوقين : هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر المملوك والكبراء بهم ، ولو لا هم

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١/١٢٦-١٢٨ .

لما انبسطت أيديهم وألستهم في الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ؛ لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ، ويذهبون إلى غيرهم ، فلا يجدون بدءاً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا .

فأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير إليه بذاته وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون بقهره ، مصرفون بعشيته لو أهلكتهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلاهيته مثقال ذرة^(١) .

ثالثاً : جاء في معارج الألباب في مناهج الحق والصواب في بيان قبح قياس المشركين وكأن الرب سبحانه يخاطبهم .

فناداهم الرب العظيم شأنني أعظم وأجل من أن أقاس بغيري وأكرم من أن يفترى عليّ أو يقال بلا علم ولا حكمة ، ولا دلالة صحيحة ، وأكبر من أن يكون لأحد دوني في أمري ، بلا سلطان مني ولا هدى ، وحمائي أرفع من أن يدبره القصور والجهل ، وما ذكرتم هو عين الغلط والخطأ ... وذلك القياس في العلم والحكمة ... بجانب الصواب والصحة غاية المجانبة ... وتلك الطريقة التي سلكتم من اعتبار توسيط الأولياء والشفعاء هي نكته غريبة وآية بينة على ضعف هذا الاعتبار ، لأنني لا أنسى فأحتاج إلى تذكير ، ولا أعجز فأستعين بغيري ، ولست ببعيد أو غافل ، أو يفوت علمي وحكمتي وقدرتي شيئاً .

وأنا أرحم الراحمين ، وأكرم من منح ، وأغنى من أعطى ، ولا أمل حتى تملوا ، ولا أسأم ولا يشغلني شأن عن شأن ، ولا يقف إحساني على

(١) إغاثة اللفهان ١/٢٢١ .

ترغيب غيري إياي ، أو تحسينه لي أو تعريفه إياي باستحقاق المشفوع له وكيف؟! وأنا أعلم به وأدنى من حبل الوريد ... والركون في الوصول إلى على شفيح هو من محض إيجادي ... سفة بحتّ وضلالّ مبيّن^(١) .
رابعاً : جاء في تيسير الكريم الرحمن :

وهذا القياس من أفسد الأقيسة ، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلاً ونقلاً وفطرةً .

فإن الملوك إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم لأنهم لا يعلمون أحوالهم فيحتاجون إلى من يعلمهم بأحوالهم ، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء ، ويخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم مراعاة لهم ومداراة لخواطهم وهم أيضاً فقراء قد يمنعون لما يخشون من الفقر .

وأما الربّ تعالى فهو الذي علمه بطواهر الأمور وبواطنها الذي لا يحتاج إلى من يخبره بأحوال رعيته وعباده ، وهو تعالى أرحم الراحمين وأجود الأجودين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحماً لعباده بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم .

وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته وهو يريد مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم ، وهو الغني الذي له الغني التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه

(١) معارج الألياب للعلامة حسين بن مهدي النعمي : ٢٤٨-٢٥٠ ، وانظر : تجريد

التوحيد المفيد للمقريزي : ٤٨ .

فأعطى كلاً منهم ما سأل وتمنى ، لم ينقصوا من غناه شيئاً ، ولم ينقصوا
ما عنده ، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المحيط .

وجميع الشعفاء يخافونه فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه ، وله الشفاعة
كلها فهذه الفروق يعلم جهل المشركين به وسفههم العظيم وشدة
جراعتهم عليه ^(١) .

خامساً : جاء في صفوة الآثار والمفاهيم :

وتزيد الأمر إيضاحاً بضرب مثل ، وهو أن نفرض إماماً عادلاً
قضى بنفي رجل مفسد عن بلاده فاتاه شفيح وقال له : الأولى أن تكتفي
من التنفيذ بالإندار والتهديد ، وأن تجعله في بلادك تحت رقابة سلطتك
فذلك خير من نفيه لبلاد أخرى لا يجد فيها رادعاً فيزداد شره وفساده
فيقبل الإمام الشفاعة لما قال الشفيح من حسن التوجيه ، وبيان الحقيقة لمن
علمه قاصر .

فالشفاعة هنا جرت مجراها لجهل الحاكم بحقيقة الحال والاستقبال
وإصداره الأمور عن طيش ارتجالي بخلاف الله العليم الخبير المحيط علمه بما
كان وما يكون ، فإن طلب الشفاعة عنده من القياس الفاسد للخالق على
المخلوق ^(٢) .

ومن خلال هذه النقولات عن أهل العلم نجد أنها تنوعت عباراتها
في توضيح وبيان فساد قياس المشركين ، وهي في مجموعها وانفرادها ردّ
قوي على المشركين الأولين الذين لجأوا إلى غير الله وعبدوا معه غيره ،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢١/٧-٢٢ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٤٥٦/٣ .

وهي ردّ أيضاً على من أتى بعدهم ممن سار على شاكلتهم ، وهنا سؤال يطرح وهو ألم يكن بإمكان هؤلاء أن يقيسوا قياساً صحيحاً ؟
والجواب : نعم لقد كان ذلك ممكناً ، وهو قياس الأولى .
جاء في معارج الألباب :

إن الذي رسخ في فطركم ، وتمييزكم ، ومعارفكم ... أن من كان خبيراً بحال أحدكم وأرحم به من غيره ، وأقدر على تحصيل مطلبه ؛ وأكرم وأسمح وأرغب في المنّ والإعطاء لا سيما إذا كان يدعوكم إلى سؤاله ، ويحبه ويريده ، ويرتاح له ولا يتبرم به فهو الذي يكون أحرى بالمسألة وأولى بالطلب ، وأرجى لحصول المطلوب .

ولو سأل من لا يقدر ولا يعلم أمره ، أو لا يرحمه لعددهم سفيهاً أحق أو لا علم عنده في القضية ، فهذا هو الصحيح لا قياسكم القبيح .
فكيف يصلح توسط من يجهل ، وينسى ، ويميل ويضجر ، ويشغله شيء عن شيء إلى من يعلم السر وأخفى ، والجهر وما يخفى ، وخائفة الأعين وما تخفي الصدور ، ولا يضل ولا ينسى .

فمن الخليق أن يدعى ويخلص له العبادة ، والافتقار والضراعة ؟
أهو سوى من يجيبك في الخلوات ، والقلوات ، وساعات الليل والنهار ويعلم ذرات أحوالك ومناجاة أقوالك ، وخواطر بالك في كل لحظة وطرفة وجهه وخفية ، وسر وعلائية ... ويعلم ما هو لك أنفع وفيك أنجع ، ولا يفضل عنك ولا يسهر ، ولا يحتاج في نفعك ومسألتك إلى غيره من مشير أو ظهير ... فأين الشفيع منك ، ويعلم ما أنت فيه حتى تأتيك نتائج شفاعته فالله المستعان ^(١) .

(١) معارج الألباب : ٢٥٠-٢٥١ .

ثانياً : البراهين العقلية لإثبات ألوهية الله في القرآن :

لقد أنكر سبحانه وتعالى على ما فعله المشركون من اتخاذ آلهة من دونه آياتاً كانت هذه الآلهة ، سواء كانت أشجاراً أو أحجاراً أو ملائكة وأنبياء وصالحين أو غير ذلك مما يعبدون من دون الله ؛ لأنها عاجزة من كل الوجهه فهي لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً ، ولا حياة ولا موتاً ، ولا خفضاً ولا رفعاً ، ولا عطاء ولا منعاً ، وقد أوضح سبحانه وتعالى أن هؤلاء المعبودين من دونه قد توفرت فيهم أسباب العجز .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿٧٣﴾ .^(١)

نفى سبحانه في هذه الآية الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشركون ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشركٍ وهي الشفاعة بإذنه .

وهذه الآية تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها . فقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع .

إما مالك لما يريد عابده منه .

فإن لم يكون مالكاً كان شريكاً للمالك .

فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً .

(١) سبأ : ٢٢ - ٢٣ .

فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده .
 فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيّاً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى ما
 دونه .
 فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً للتوحيد ، والقرآن مملوء من أمثالها
 ونظائرها ^(١) .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا
 يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
 لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنْسِكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
 وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
 الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١٦﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
 وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا ﴿١٧﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا
 يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يُتَّبِعُوكُمْ

(١) انظر : تيسر العزيز الحميد : ٢٠٩ ، وفتح المجيد : ٢٨٢ ، والقول المفيد على كتاب

التوحيد لابن عثيمين ١ / ٣٤٠ .

(٢) فاطر : ١٣ - ١٤ .

(٣) المسائدة : ٧٦ .

(٤) الإسراء : ٥٦ .

(٥) الفرقان : ٣ .

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمْتُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمْتَلَكْتُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٤﴾ اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٧٥﴾

ثالثاً : ضرب الأمثال :

ضرب الله الأمثال ، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله ؛ فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به ^(٢) ، وهي من أقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز المعقول في صورة المحسوس ، وهذا من أحسن ما يرد به على المشركين في إبطال عقيدتهم وقياسهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة .

قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرْزَاقٍ حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

فهذان مثالان ضربهما الله تبارك وتعالى لنفسه ، ولما يعبد من دونه ، فلأوثان مثل السوء ، وله المثل الأعلى .

(١) الأعراف : ١٩١-١٩٥ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين ١/١٣٠ .

(٣) النحل : ٧٥-٧٦ .

قال ابن القيم : « هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس ، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه ، فإن القياس نوعان : قياس طرد يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه ، وقياس عكس يقتضي نفي الحكم لنفي علة الحكم فيه .

فالمثل الأول : ما ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه وللأوثان ، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبده سرّاً وجهراً وليلاً ونهاراً ، يمينه ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء لي ويعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين ؟!

ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقاً حسناً ، والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ، فهذا مما نبّه عليه المثل وأرشد إليه .

وأما المثل الثاني : فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبدونه من دونه أيضاً .

فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم ، لا يعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، قد عدم النطق القلبي واللساني ، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة ، ومع هذا لو أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة ، والله سبحانه حي قادر ، متكلم ، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد «^(١) .

(١) إعلام الموقعين ١/١٦١ ، بدائع التفسير ٤٣/٣ .

وقال ابن القيم أيضاً عند هاتين الآيتين : « يعني إذا كان لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر على شيء ، وغني موسع عليه ينفق مما رزقه الله ، فكيف تجعلون الصنم الذي هو أسوأ حالاً من هذا العبد شريكاً لله ، وكذلك إذا كان لا يستوي عندكم رجلان أحدهما أبكم لا يعقل ولا ينطق وهو مع ذلك عاجز لا يقدر على شيء وآخر على طريق مستقيم في أقواله وأفعاله وهو أمر بالعدل عامل به ؛ لأنه على صراط مستقيم ، فكيف تسرون بين الله وبين الصنم في العبادة ، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن وفي الحديث ، كقوله في حديث الحارث الأشعري « وإن الله أمركم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئاً وإن مثل من أشرك كمثله رجل اشترى عبداً من خالص ماله وقال له اعمل وأد إليّ فكان يعمل ويؤدي إلى غيره ، فأياكم يجب أن يكون عبده كذلك » (١) ، فالله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي يشترك هو وخلقها فيها لا شمولاً ولا تمثيلاً ، وإنما يستعمل في حقه قياس الأولى » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْتُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء ، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من

(١) صحيح الجامع : ١٧٢٠ .

(٢) مفتاح دار السعادة : ٤٨١/٢ ، بدائع التفسير ٤٥/٣ .

(٣) الروم : ٢٨ .

نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم ، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان ويحتج عليه بما هو في نفسه ، مقرر عندها معلوم لها ...

والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار ، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي ، فإن كان هذا الحكم باطلاً في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم ، إذ ليس عبيدكم ملكاً لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، وانتم وهم عبيدي ، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقني ، مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخالقي^(١) .

فهو يحتج سبحانه عليهم بما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكاً له ، فإذا كان أحدكم يستقبح أن يكون مملوكه شريكه ولا يرضى بذلك فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي ، وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر ، والسمع نبه العقول وأرشدتها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك^(٢) .

(١) إعلام الموقعين ١/١٥٩-١٦٠ ، وانظر : تجريد التوحيد المفيد للمقرئزي : ٤٩ .

(٢) مدارج السالكين ١/٢٤٠ .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على القبوليين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

إن المتركين بالقبور بجميع مظاهر التبرك يبررون أفعالهم عند القبور بشبهات واهية وحجج متهافئة منافية لما جاء عن الله وما بعث به رسول الله ﷺ وحسي هنا أن أتكلم عن إحدى هذه الشبهات ، وهي الأقيسة الفاسدة التي أثرت في مسلكهم وانحرفوا وراءها معارضين بها نصوص الشريعة والتبرك بالقبور يتجلى في المظاهر الآتية :

أولاً : دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم .

ثانياً : التمسح بالقبور وتقبيلها .

ثالثاً : إسراجها والعكوف عندها والمجاورة لها وسدانتها وتعليق الستور عليها وبناء المساجد والقباب عليها إلى غير ذلك .

رابعاً : أداء بعض العبادات عندها .

وقد وقع هؤلاء في القياس الفاسد في أغلب هذه المظاهر .

فبالنسبة لدعاء الموتى وطلب الحوائج منهم يقيسون ذلك على جواز الطلب من الأحياء .

جاء في البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهاية :

إن التوسل بالميت نظير التوسل بالحي ، وسؤاله قضاء الحوائج بواسطة دعائه من الله تعالى فأحد التوسلين كالأخر بجامع السؤال من المخلوق فإذا جاز بالنسبة إلى الأحياء جاز مطلقاً .^(١)

(١) البراهين الجلية : لمحمد حسن الموسوي : ٢٧ ، وانظر المقالات الوفية لحسن خزيبك : ١٩٩ ، وشواهد الحق للنبهاني : ١٢٦ ، وصيانة الإنسان للسهمواتي : ٢٢٣ ، والفجر الصادق : لجميل صدقي الزهاوي : ٥٩ ، وكشف الارتباب : لمحمد الأمين العاملي : ٣٠٤ ، والصراع بين الإسلام والثنية : ٥٧٦/٢ .

فالتوسل في عرف عباد القبور هو التوجه إلى الصالحين ودعائهم مع الله في الحاجات والملمات .

وقال بعض المتأخرين :

« إن الاستغاثة والتوسل إن كان المصحح لطلبها هو الحياة كما يقولون ، فالأنبياء أحياء في قبورهم وغيرهم من عباد الله المرضيين ولو لم يكن للفقيه من الدليل على صحة التوسل به ﷺ إلا قياسه على التوسل والاستغاثة به في حياته في الدنيا فإنه حي الدارين ، دائم العناية بأمتة متصرف بإذن الله في شؤونها » .^(١)

ومراده بالتوسل هنا هو مراد أسلافه

وهو أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به والاتجاه إليه فيما لا يقدر عليه إلا الله يسمى توسلاً وتشفعاً فراراً منه أن يسمى شركاً وكفراً ، ومن المعلوم عند ذوي العلوم والفهوم أن لفظ التوسل بالشخص فيه إجمال:

فمعناه في لغة الصحابة رضي الله عنهم : أن يطلب منه الدعاء والشفاعة في حياته فيكون التوسل به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه .

ومعناه في لغة المتدعة : هو دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعانة ، والاستشفاع بهم وطلب الحوائج ، وكشف الكربات ، وإغاثة اللفهات إلى غير ذلك من المطالب .

(١) مفاهيم يجب أن تصحح محمد علوي مالكي : ٩١ .

وكذلك من معانيه التوسل بحق العبد وجاهه وحرمة نبياً كان أو ولياً^(١).

وقال أيضاً في مفاهيمه :

« وفي الحديث ، التوسل برسول الله ﷺ قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه وأن المدار في صحة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل وأنه لا يشترط كونه حياً في دار الدنيا »^(٢).
وهكذا نجد هؤلاء المتعلقين بغير الله يسوغون مذهبهم بأقيسة فاسدة اتخذت أشكالاً متنوعة .

فمرة يقيسون الميت على الحي كما تقدم فيحوزون طلب الحاجات منه .

ومرة يقيسون زيارة الميت والاستفادة منه على زيارة الفقير للغني ونيله من بره .^(٣)

ومرة يقيسون الوساطة في العبادة على الوساطة في تبليغ الرسالة .
وفي هذا قالوا :

« إن مراعاة حسانب الله تعالى والمحافظة على توحيده إنما تكون بتعظيم من عظمه الله تعالى وتحقير من حقره الله تعالى ، وقد جعلهم الله سبحانه وتعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه ، فوسطانهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعاً له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه ، والاحتفاظ

(١) انظر الصواعق المرسله الشهامية للشيخ بن سحمان : ١٢ ، وانظر التوضيح عن توحيد الخلاف : ٣١٠ .

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح : ٥٠ .

(٣) انظر كشف ما ألقاه إبليس للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ٢٣٩ .

لأنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة
لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا» .^(١)

وهذا في الحقيقة هو قياس المشركين الأولين الذين زعموا أنهم لا
يصلون إلى مرادهم إلا بتوسيط الأكابر وقد تقدم الجواب عنه * .
بل قال من هو على شاكلتهم ، إن إطلاق الكفر بدعاء غير الله
غير مسلم لوجوه :

١- منها القياس على الحلف بغير الله من حيثية القول .

٢- القياس على الطيرة من حيثية الاعتقاد .

وكلاهما أي الحلف بغير الله والطيرة شرك وقد أول بالأصغر .^(٢)

وهذه الأقيسة هي فيما يتعلق بالمظهر الأول من مظاهر الشرك .

أما المظاهر الأخرى من التمسح بالقبور وإسراجها

فإنهم قاسوا التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود وعلى

التبرك بالنبي ﷺ ، وإسراجها على إسراج المساجد فالله المستعان وعليه

التكاليف^(٣) .

(١) شواهد الحق : ٥٢ .

٥ : ص : ٦٤ .

(٢) انظر النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين : لابن معمر : ١٠ .

(٣) انظر شفاء الصلور في الرد على الجواب المشكور : ٩ ، ١٠ ، ٨٧ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

يكون الرد على هذه الأقيسة بما يأتي :

أولاً : نقول لهؤلاء المحيزين للترك بالقبور في جميع مظاهره المتقدمة إن أقيستكم فاسدة وآراءكم كاسدة لأنها مصادمة لما جاء عن الله وفي سنة رسول الله ﷺ فليس فيهما ما يدل على مشروعية ذلك بل التحذير من ذلك وهو الوارد .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ

الله ﴾ (١) .

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (٢) .

فكل من دعا غير الله من الأموات والغائبين وطلب الحوائج منهم من تفريج الكربات وإغاثة اللهفات ، وإقالة العثرات فقد أشرك بالله ، وعمله مردود كما قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ (٣) .

وكل من تمسح بالقبور وقبلها وصلّى عليها وإليها أو بنى المساجد والقباب عليها وأسرجها فقد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب ووسيلة من وسائل الشرك .

(١) الشورى : ٢١ .

(٢) أخرجه البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣٠١/٥ ، ومسلم : ١٣٤٣/٣ .

(٣) الفرقان : ٢٣ .

والنهي عن هذه الأفعال جاء في أحاديث كثيرة منها :

١- حديث جندب رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك » ^(١) .

٢- وحديث عائشة رضي الله عنها « أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأيتها بالحبيشة فيها تصاوير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » ^(٢) .

٣- ومنها حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » ^(٣) .

٤- وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ^(٤) .
هذه بعض الأحاديث وقد عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين بمقتضاها ولم يثبت عن أحد منهم أنه ترك بها في أي مظهر من مظاهر التبرك .

(١) أخرجه مسلم : ٣٧٧/١ .

(٢) أخرجه البخاري مع شرحه فتح الباري : ٥٢٣/١، ٥٢٤ ، ومسلم : ٣٧٥/١ .

(٣) أخرجه مسلم : ٦٦٨/٢ .

(٤) أخرجه أبو داود : ٥٥٨/٣ ، والترمذي : ١٣٦/٢ وقال حديث حسن .

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله : هل يمكن بشراً على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلاً أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم ، فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك .^(١)

وليس الغرض من الزيارة الشرعية للقبور انتفاع الحي بالميت لأجل أن يسأله ويتوسل به كما يفعل أصحاب الزيارة البدعية بل الغرض منها تذكر الآخرة والدعاء للميت ، لأن الميت قد انقطع عمله فهو بحاجة إلى الدعاء له : وهذا الغرض الفاسد من زيارة القبور لم يقل به أحد من سلف الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

فأما أن يقصد بالزيارة سؤال الميت ، أو الإقسام به على الله ، أو استجابة الدعاء عند تلك البقعة ، فهذا لم يكن من فعل أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان وإنما حدث ذلك بعد ذلك^(٢) .

ثانياً : كلام لأهل العلم في إبطال هذه الأقيسة :

١ - جاء في مجموعة الرسائل والمسائل :

قياس الأموات من الأنبياء والصالحين في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله على الأحياء القادرين على الأسباب العادية المقدور عليها من

(١) إغائة اللفهان : ٢٠٢/١ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم : ٧٦٢/٢ .

أفسد القياس وأبطل إبطال وأحمل المحال لأن الله سبحانه فرق بين الأحياء
والأموات ولم يسو بينهما بقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ﴾^(١)^(٢) .

وجاء في تأسيس التقديس :

من سوى بين الحي والميت بقوله يطلب من الميت ما يطلب من
الحي فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما حتى المجانين يعرفون الفرق
بين الحي والميت^(٣) .

٢- وجاء في كشف غياهب الظلام :

وأما الإغاثة بالأسباب العادية ، وما هو في طوق البشر وقد رتهم
فهذا ليس الكلام فيه ، والأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية وما
هو في طوق البشر وقدرتهم ، والله سبحانه خلق في الحي اختياراً ومشية
بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف ، والميت ليست له قدرة الحي ولا
يكلف بل ينقطع عمله بموته ، وتطوى صحيفته ، ولا يسأل ولا يستفتى
ولا يرجع إليه في شيء مما للعباد عليه قدرة ، وسائر الحيوان يفرقون بين
الحي والميت .^(٤)

٣- ويمكن أن يقال لهم أيضاً :

إن الذي ثبت من التوسل بالحي هو التوسل بدعائه وشفاعته
والميت لا يمكن الاتصال به بوجه من الوجوه التي يزعمونها فلا يمكن أن

(١) فاطر : ٢٢ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام : ٨٣٧/٤ .

(٣) تأسيس التقديس : لأبي بطين : ٥٤ .

(٤) كشف غياهب الظلام لابن سحمان : ٣٠٣ .

يدعوا لمن طلب منه الدعاء ، ولا أن يشفع لمن أراد منه الشفاعة ، ولا أن يسمع لمن دعاه وناداه ...

أما الحي فيمكن دعاؤه والاستشفاع به بالمشاهدة ، ... فأني تمكن

التسوية بين الفريقين ، وأنى يقاس الميت على الحي لو كانوا يشعرون ؟

وأي عاقل يسمح لنفسه بأن يدعى أنه لا فرق بين الأحياء

والأموات وأنه يصح أن يقاس أحد الفريقين على الآخر ؟ وأي قياس هذا

الذي يقتضي بأن يكون الميت مثل الحي سواء ؟ فيطلب منه كل ما يطلب

منه ، ويرتجى لكل ما يرتجى ، ويدعى كما يدعى ، ويسأل كل ما يسأل.

فإذا جاز أن يقال للحي أعطني كذا أو اذهب إلى كذا أو اترك أمر

كذا ، أو قسم بأمر كذا ، جاز أن يقال للميت مثل ذلك سواءً ، إن هذا

بلاشك ضرب من ضروب الجنون والعتة ، ولو أن إنسانا قال لإنسان آخر

حي . ناولني كيت وكيت مما يقدر عليه الحي عادة لكان هذا القول قولاً

لا محذور فيه ومن قال ذلك لأحد الأموات كان مجنوناً بلاشك ، أو

مشرکاً غارقاً في الشرك فكيف يزعم عاقل مسلم أنه لا فرق بين

الأحياء والأموات ، ويزعم أن يقاس أحد الفريقين على الفريق الآخر قياس

صحيح سليم يكذب وينشر ، ويحاول إقناع المسلمين والعقلاء به !؟ .

ولا ريب أن شر ما في الدنيا من قياس ، وأن أكذبه وأبطله وأجهله

هو قياس الموتى على الأحياء ^(١) .

وهذا الكلام سيق للرد على أحد الشيعة الإمامية لأنهم وقعوا في

هذا القياس الفاسد ، والذي يدعو إلى الاستغراب أن الشيعة الإمامية الاثنا

عشرية ينكرون القياس بكل ضروبه وأنواعه ، ويعيبون الذين يقيسون ،

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية : ٥٧٧ - ٥٧٨ .

فما بالهم هنا يستحسنون ما قبحوا ، وما بال القياس كله يكذب ويقبح
إلا قياس الأموات على الأحياء .

٤- إن صاحب المفاهيم : لم يكف ... بتصحيح حديث موضوع
بل استخراج للحكم الوارد فيه علة ، ثم عدى العلة بالقياس إلى غير محل
الحكم وإلى غير زمان الحكم ، وتوضيح هذا .

أن في الحديث توسل آدم بالنبي ﷺ قبل وجوده . أي قبل حياته ...
ولا معنى لتوسله عن كان كذلك إلا جوازه في الحياة وقبلها وبعدها كذا
استنتاج الهوى وقياس الردى ، ثم إن تخصيص النبي ﷺ عند ... [صاحب
المفاهيم] بالتوسل لا معنى له حيث قاس كل من كان له عند الله القدر
الرفيع على النبي بجماع النبوة أو الولاية ، أو الكرامة وهذا هو عين
احتجاج أصحاب القبور المفتونين بعبادتها من دون الله عدوا بالقياس
دعاء الميت والطلب منه على طلب الدعاء من الحي وجادلوا في ذلك ،
فلما ظنوا أنه ثبت لهم مازعموه في حق النبي ﷺ قالوا لا معنى لاختصاص
النبي محمد ﷺ بالدعاء أو الاستشفاع أو نحوه من العبادات بل يعدى جواز
هذا الفعل إلى غيره ﷺ بجماع النبوة أو الكرامة .

فانظر هذا التحرؤ على أحكام الشرع ! تصحيح الموضوعات
وقياس فاسد لم يقل به عالم قط منذ بعث محمد ﷺ إلى انتهاء القرون
الثلاثة الأولى حتى ظهرت القرامطة الباطنية وأتباعهم .^(١)

٥- أما قول قائلهم : بقياس دعاء غير الله بالحلف بغير الله من
حيثية القول ، وأن الحلف بغير الله شرك وقد أول بالأصغر .

(١) هذه مفاهيمنا : ٣١-٣٢ .

فهذا كلام باطل ، ولا يخفى ما بينهما من الفرق فأى مشابهة بين من وحد الله وعبده ولم يشرك معه أحداً من خلقه وأنزل حاجاته كلها بالله ، واستغاث به في تفریح كرباته ، وإغاثة لهفاته لكنه حلف بغيره يمينا مجردة ، لم يقصد بها تعظيمه على ربه ، ولم يسأله ولم يستغث به - وبين من استغاث بغير الله وسأله جلب الفوائد وكشف الشدائد ، فإن هذا صرف مخ العبادة الذي هو لها وخالصها لغير الله ، وأشرك مع الله غيره في أحل العبادات ، وأفضل القربات التي أمر الله بها في غير موضع من كتابه ، وأخبر النبي ﷺ أن الدعاء « هو العبادة » (١) .

ويقال أيضاً : من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله تعالى بعث محمد ﷺ يدعو إلى التوحيد ، وينهى عن الشرك ، فكان أول آية أرسله بها ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا فَطَهْرٌ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاقْجِرْ ﴿٥﴾ ﴾ (٢) .

فأنذر عن الشرك ، واهجر الأوثان ، وكبر الله وعظمه بالتوحيد ، وهذا النهي كله ، قبل الحلف بغير الله ، فالاستعانة بأهل القبور ، واستنحادهم واستنصارهم لم ييح في شرائع الرسل كلهم .

وأما الحلف فكان الصحابة يحلفون بأبائهم ويحلفون بالكعبة وغير ذلك ولم ينهوا عن ذلك إلا بعد مدة طويلة ، فقال لهم النبي ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم » (٣) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه : ٢١١/٥ وقال حديث حسن صحيح .

(٢) المدثر : ١-٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٥٣٠/١١ ، ومسلم : ١٢٦٦/٣ .

ومن لا يميز الفرق بين دعاء الميت والحلف به لا يعرف الشرك الذي بعث محمد ﷺ للنهي عنه وقاتل أهله ، وأي جامع بين الحلف والاستغاثة فالمستغيث طالب سائل والحالف لم يطلب ولم يسأل .

فإن كان الجامع بينهما عند القائل باتحادهما ، أن كلا منهما قول باللسان فيقال له : والأذكار والدعوات وقول الزور ، وقذف المحصنات كل ذلك قول باللسان ، ولو قال أحد إنها ألفاظ متقاربة لعدّ من المجانين ، وأي مشابهة بين من جعل لله نداً من خلقه يدعو ويرجوه ويستنصر به ، ويستغيث به وبين من يدعوا الله وحده ، وأخلص له في عبادته ، فالأول أشرك مع الله في قوله وفعله واعتقاده بخلاف الحالف . بل لو اعتقد الحالف تعظيم المخلوق كالخالق لصار شركاً أكبر .
ومما يبين الفرق بينهما أيضاً :

أن النبي ﷺ نهى أحد أصحابه حديثي العهد الذي قال في حلفه :
واللات . فقال له النبي ﷺ : « من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله »^(١)
فأرشده النبي ﷺ إلى الكفارة من غير تغليظ شديد ، والذين قالوا :
اجعل لنا ذات أنواط ، غلظ عليهم التغليظ الشديد ، وحلف عليهم أن
طلبتهم كطلبه بني إسرائيل لموسى ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾^(٢) ،
سواء بسواء فهما متفقان معنى وإن اختلف اللفظ .

فإذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف حولها وتعليق الأسلحة بها للتبرك
اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف

(١) أخرجه البخاري انظر مع الشرح فتح الباري : ٦١١/٨ .

(٢) الأعراف : ١٣٨ .

حول القبر ودعائه في إنزال الفوائد والاستغاثة به في كشف الشدائد وأخذ تربته تيركاً .

ومما يبين الفرق بين دعاء الأموات والاستغاثة بهم وبين الحلف أن العلماء قسموا الشرك إلى أكبر وأصغر .

فيجعلون دعاء الأموات الشرك الأكبر في باب حكم المرتد ، ويجعلون الحلف بغير الله الشرك الأصغر في كتاب الأيمان ، فيفرقون بين هذا وهذا .

وأما قياسه دعاء غير الله على الطيرة من جهة الاعتقاد :
فيقال له وأين الجامع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة يدعو ويسأله قضاء حاجاته ، وبين من عبد الله وحده لا شريك له ، وأنزل حاجاته كلها بالله ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة ، والطيرة تقع من المؤمنين الموحدين كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا ... ولكن الله يذهب بالتوكل »^(١) .

وأما دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو دين أعداء الرسل من نوح عليه السلام إلى يومنا هذا والله المستعان .^(٢)
وأما قياسهم التمسح بالقبور وتقبيلها على استلام الحجر الأسود وتقبيله :

(١) رواه أبو داود : ٢٣٠/٤ ، والزمذني : ١٦٠/٤ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه : ١١٧٠/٢ .

(٢) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين : ٥٧-٦٦ بتصرف .

فقياس فاسد لا يصح ولو كان صحيحاً لورد به النقل عن سلف الأمة فمسح القبور وتقييلها يؤدي إلى الوقوع في الحمى ، والطرح في مهاوي الردى ، وما نقل عن الإمام أحمد أنه قال لا بأس به ، أي تقييل القبر ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله : أن بعض أصحاب الإمام أحمد استبعد صحة ذلك عنه .^(١)

وقال ابن قدامة رحمه الله :

ولا يستحب التمسح بجائط قبر النبي ﷺ ولا تقييله ، قال أحمد : وما أعرف هذا ، قال الأثرم : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ يقومون من ناحية فيسلمون .^(٢)

وأما قياس التمسح بالقبور على التبرك بالنبي ﷺ فباطل بل قياس الحي عليه في التبرك ، وإن مال إليه بعض الناس من المتأخرين هو فاسد أيضاً من وجوه :

منها : أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ لا في حياته ولا بعد موته .

ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأفضل الصحابة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم ، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد له بالجنة ، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة ، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وهم الأسوة ، فلا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة ، وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره .

(١) فتح الباري : ٤٧٩/٣ .

(٢) المغني : ٤٦٨/٥ .

ومنها : أن في المنع من ذلك سداً للريعة الشرك كما لا يخفى ^(١) .
قال الشاطبي رحمه الله :

إن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه ، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ فهو كان خليفته ولم يفعل به شيئاً من ذلك ولا عمر ﷺ وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به ... بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ فهو إذا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء . ^(٢)

ومن هنا نفهم أن للنبي ﷺ في حال حياته خصائص كثيرة لا يصح أن يشاركه فيها غيره ، ومما يؤكد هذا أنه لم يرد دليل شرعي على أن غير النبي ﷺ مثله في التبرك فيتبرك بآثارهم كشرب سؤرهم ، والتمسح بهم أو بثيابهم ، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمر حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين وقد أجمع العلماء على أنه إذا ثبتت الخصوصية في حق النبي ﷺ فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه ، إذ لو كان حكمه حكم غيره لما كان للاختصاص معنى . ^(٣)

(١) فتح المجدد : ١٨٨ ، وانظر تيسير العزيز الحميد : ١٣٤ .

(٢) الاعتصام : ٩-٨/٢ ، وانظر كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢/٢٥٠ ،

وانظر فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم : ١/١٠٣-١٠٤ .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد : ١٣٤ ، وأفعال الرسول ، للأشقر : ٢٧٧ .

وأما قياسهم إسراج القبور على إسراج المساجد فقياس فاسد لأنه في مقابلة النص الصحيح الصريح في النهي عن ذلك فإن النبي ﷺ : « لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »^(١) .

قال ابن قدامة رحمه الله : « ولو أبيع يعني اتخاذ السرج عليها لم يلعن النبي ﷺ من فعله ، ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة ، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام »^(٢) .

إن إسراج القبور يعظمها في أعين الواصلين إليها ويجعل القبور مواسم مخصوصة يجتمع عندها الزائرون ، فينبهر الزائر ويرى ما يملأ عينيه وسمعه من ضجيج الناس وازدحامهم وتكالبهم على قبر الميت ، والتمسح بأحجاره وأعواده ، والاستغاثة به والاتجاء إليه ، وسؤاله قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، مع الخضوع والاستكانة والتقرب إليه بنفائس الأموال والقربان ، فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة ، يظن الإنسان في بادي عمره وأوائل أيامه أن هذا من أعظم القربات وأفضل الطاعات ، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه ، وإذا سمع من يقول ذلك ضاق به ذرعاً لأنه يعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقد من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المحرمات ، مع كونه قد درج عليه الأسلاف ، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم ، فإنه يبقى المشرك على شركه واليهودي على يهوديته والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، حتى لو أراد من يتصدى

(١) تقدم تخريجه هامش : ٤ ، ص : ٦٨ .

(٢) المغني : ٤٤٠/٣ - ٤٤١ .

للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية ، فإنهم ينفرون منه ويعادونه ويمزقون عرضه بكل لسان ، فالله المستعان .^(١) انتهى ملخصاً .

(١) الدر المنضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشركاني ضمن الرسائل السلفية بتصرف

يسر : ١٧٢-١٧٣ .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المنكرين للبحث

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

المنكرون للبعث يستبعدون إعادة الأجساد بعد أن صارت إلى البلى وتفتت واختلطت بالتراب على وجه لا يتميز معه شخص عن شخص بل تمزقت كل ممزق وذهبت وتفرقت في مواضع لا تعلم ، وقد جرهم إلى هذا الاعتقاد قياس فاسد نتج عن معارضة عقولهم السخيفة لما أخبر الله به من تحقق وقوعه .

وذلك أنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم القاصرة العاجزة .

وفي مثل هذا يقول ابن القيم رحمه الله :

[وأما] معارضة خيره بالعقل فكما حكى سبحانه عن منكري

المعاد أنهم عارضوا ما أخبر به عنه بعقولهم .^(١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي : عند قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا آءَذَا

كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنًا آءَآلِ الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ .^(٢)

» يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث وتكذيبهم به واستبعادهم

بقولهم : ﴿ آءَآلِ كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنًا ﴾ أي أجساداً بالية ﴿ آءَآلِ الْمَبْعُوثُونَ

خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ أي لا يكون ذلك وهو محال بزعمهم فجهلوا أشد الجهل

حيث كذبوا رسول الله ووجدوا آيات الله وقاسوا قدرة خالق

السموات والأرض بقدرهم الضعيفة العاجزة فلما رأوا أن هذا ممتنع

عليهم لا يقدر على جعله جعلوا قدرة الله كذلك فسبحان من جعل خلقاً

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة : ٣/ ٨٩٦ ، وانظر درء تعارض العقل

والنقل : ٦٤/٧ .

(٢) الإسراء : ٤٩ .

من خلقه يزعمون أنهم أولوا العقول والألباب ، مثلاً في جهل أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها براهين وأعلاها ليرى عباده ماثم إلا توفيقه وإعانتة أو الهلاك والضلال» (١) .

وقال في موضع آخر عند قوله تعالى : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

« أي بعيد بعيد ما يعدكم به من البعث بعد أن تمزقتم وكنتم تراباً وعظاماً فنظروا نظراً قاصراً ورأوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن فقاسوا قدرة الخالق بقدرهم تعالى الله فأنكروا قدرته على إحياء الموتى وعجزوه غاية التعجيز ونسوا خلقهم أول مرة » .

وهذا القياس الفاسد الذي وقع في شراكه هؤلاء المنكرون للبعث هو المثل الذي قال الله عنه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٣) .

وهذا المثل وهو قياس قدرة الخالق على قدرة المخلوق لا ينبغي لأحد أن يضربه وقد فسر المثل بقوله : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ أي لا أحد يجيها بعدما بليت وتلاشت . (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : عن قول هذا المنكر للبعث إنه قياس حذف إحدى مقدمتيه لظهورها ، والأخرى سأل به كليه قرن معها دليلها ، وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله : ﴿ وَضَرَبَ

(١) تيسير الكريم الرحمن : ١٤١/٤ .

(٢) المؤمنون : ٣٦ .

(٣) يس : ٧٨ .

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن : ١٧٨/٦ .

لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿﴾ وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم فإن كونها رميمًا يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبنها على الحرارة والرطوبة وتفرق أجزائها واختلاطها ولنحو ذلك من الشبهات .

والتقدير : هذه العظام رميم ، ولا أحد يحيي العظام وهي رميم ، فلا أحد يحييها ، ولكن هذه السالبة كاذبة ومضمونها امتناع الإحياء . فبين سبحانه إمكانه من وجوه بيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه فقال : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ﴿﴾ وقد أنشأها من التراب ^(١) . وقد ذكر الرب تبارك وتعالى لنا القياس الفاسد عند المنكرين للبعث في عدة مواضع من كتابه العزيز .

فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ ^(٢) .

فالله عز وجل في هذه الآية الكريمة يخبرنا عن القولة الشنيعة التي تفره بها المنكرون للبعث ، وهي استبعادهم للحياة الثانية بعد أن صاروا إلى ما صاروا إليه من العظام النخرة البالية .

يقول ابن كثير رحمه الله : « يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعدة وقوع المعاد القائلين استفهام إنكار منهم لذلك ﴿ أَءِذَا كُنَّا

(١) درء تعارض العقل والنقل : ٣٣/١ .

(٢) الإسراء : ٤٩ .

عَظْمًا وَرَفْدًا ﴿ أَي تَرَابًا ... ﴿ أءَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ أَي يَوْمَ
القيامة بعدما بلىنا وصرنا عدماً لا نذكر» (١) .

وقد تكررت الآية نفسها في آخر السورة الكريمة لكن لسر من
أسرار التكرار في القرآن الكريم ، وهو أن الآية الأولى من كلامهم في
الدنيا حين جادلوا الرسول وأنكروا البعث ، والآية الثانية من كلام الله
حين جازاهم على كفرهم وقولهم وإنكارهم البعث فقال : ﴿ مَا أَوْسَيْنَهُمْ
جَهَنَّمَ كَمَا خَبِئَتْ زُدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا
كُنَّا عِظْمًا وَرَفْدًا أءَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (٢) (٣) .

ومن هنا نعلم أن أصحاب الأقيسة الفاسدة على خطر عظيم .
وقال تعالى في توضيح آخر من كتابه العزيز عن هذا القياس الفاسد
﴿ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِذِ الْخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا
مُتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَآت هِيَآت لِمَا
تُوعَدُونَ ﴾ (٤) .

وقد اشتملت هذه الآيات على ذكر قياسين فاسدين :
تقدم الكلام على أحدهما وهو أثر القياس الفاسد على المنكرين
للنبوات ، وأما الآخر فهو قياس هؤلاء المنكرين للبعث .
ومثل هذه الآيات قوله تعالى من السورة نفسها :

(١) تفسير ابن كثير : ٣١٦/٤ - ٣١٧ .

(٢) الإسراء ٩٧-٩٨ .

(٣) انظر أسرار التكرار في القرآن للكرماني : ١٢٩ .

(٤) المؤمنون : ٣٤-٣٦ .

﴿ بَلِّغُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
 أَعْنَا الْمَعْبُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ .

ففي هذه الآيات الكريمات استبعاد لوقوع البعث بعد أن صاروا إلى
 البلى ، وأن هذه الأخيار عن وجود حياة بعد الموت هي محال في نظرهم
 القاصر بل هي متلقاة عن كتب الأولين .

وقال تعالى أيضاً عن قياس المنكرين للبعث :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا نُنَاجِيهِ الْمَخْرُجُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
 وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءِذَا نُنَاجِيهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ .^(٢)

جاء في تفسيرها : أي هذا بعيد غير ممكن ، قاسوا كامل القدرة
 بقدرهم الضعيفة ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا ﴾ أي البعث ﴿ نَحْنُ وَءِذَا نُنَاجِيهِ مِنْ
 قَبْلُ ﴾ أي فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئاً ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾
 أي قصصهم وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق
 فيها.^(٣)

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِذَا نُنَاجِيهِ خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ
 هُمْ بَلْقَاءُ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) المؤمنون : ٨١-٨٢ .

(٢) النمل : ٦٧-٦٨ .

(٣) تيسر الكريم الرحمن : ٢٨٥/٥ .

(٤) السجدة : ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدَّبَكُم عَلَى رَجُلٍ يَتَّبِعُكُمْ إِذَا
مُرَقْتُمْ كُلُّ مِرْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ افترى على الله كذباً أم به جنة بل
الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والصَّلَل البعيد ﴿١﴾ .

ففي هذه الآيات الكريمة يخبرنا الرب تبارك وتعالى عن الكفار
المنكرين للبعث بأنهم يستبدلون حياة بعد الموت لأن ذلك غير ممكن في
نظرهم القاصر وقياسهم الخاسر .

وقال تعالى : ﴿ أَعَدَّامِتَنَا وَكَا تَرَابًا وَعِظَمًا أَعْدَاءَ الْمَبْعُوثُونَ ﴿٦﴾
أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿٨﴾ .

جاء في تفسيرها : « ومن العجب أيضاً قياسهم قدرة رب الأرض
والسماوات على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه ، فقالوا استبعاداً
وإنكاراً : ﴿ أَعَدَّامِتَنَا وَكَا تَرَابًا وَعِظَمًا أَعْدَاءَ الْمَبْعُوثُونَ ﴿٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا
الْأَوْلُونَ ﴿٧﴾ ولما كان هذا منتهى ما عندهم وغاية ما لديهم أمر الله رسوله
أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم فقال : ﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾ ستبعثون أئمت
وأباؤكم الأولون ﴿٧﴾ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿٨﴾ ذليلون صاغرون لا تمتنعون ولا
تستعصون على قدرة الله » ﴿٣﴾ .

ومثلها في السورة نفسها :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلِكَ لِمَنِ الْمُصَلِّينَ ﴿٥٢﴾
أَعَدَّامِتَنَا وَكَا تَرَابًا وَعِظَمًا أَعْدَاءَ الْمَدِينُونَ ﴿٤﴾ .

(١) سبأ : ٧-٨ .

(٢) الصافات : ١٦-١٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ١٨٢/٦ .

(٤) الصافات : ٥١-٥٣ .

لكن في الآيات السابقة كلام المنكرين للبعث في الدنيا وأما في هذه
الآيات فكلام أحد الفريقين لصاحبه عند وقوع الحساب والجزاء يقول إنه
كان لي قرين ينكر الجزاء وما نحن فيه فهل أنتم تطلعونني عليه ، ﴿ فَأَطَّلَعَ
فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ قَالَ تَا اللَّهُ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿^(١) ^(٢)

(١) الصافات : ٥٥-٥٦ .

(٢) انظر : أسرار التكرار في القرآن للكرماني : ١٧٩ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

أقام الرب تبارك وتعالى حججاً قوية وبراهين ساطعة في كتابه العزيز وقد سلك القرآن الكريم عدة مسالك في أحقية البعث بعد الموت وهي أقيسة صحيحة يقبلها العقل ويطمئن إليها القلب ومن هذه المسالك :

أولاً : قياس إحياء الناس بعد موتهم على إحياء الأرض بعد موتها قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَتَّبِعُنَّ بِدَيْرِ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(١) .

قال ابن القيم رحمه الله : فأخبر سبحانه أنهما إحياءات وأن أحدهما معتبر بالآخر مقيس عليه . ^(٢)

والمطر فيه أربعة أمور كل منها يدل على البعث :

الأول : إن الماء ثقيل بالطبع ، وإصعاد الثقيل أمر على خلاف الطبع فلا بد من قادر يقهر الطبع ويصعد ما من شأنه الهبوط والنزول ، فهذا القادر الذي قلب طبيعة الماء فهو قادر على أن يظهر الحياة والرطوبة من مادة التراب والماء .

الثاني : أن ذرات الماء اجتمعت بعد افتراقها فالقادر الذي جمعها بعد الافتراق قادر على جمع الأجزاء الترابية بعد افتراقها .

(١) الأعراف : ٥٧ .

(٢) إعلام الموقعين : ١٤٠/١ .

الثالث : تسيير الرياح فالذي قدر على تحريك الرياح التي تضم بعض تلك الأجزاء المتجانسة إلى بعض فهو يقدر ههنا أيضاً .

الرابع : إنشاء السحاب فإنه لحاجة الناس إليه ، وههنا الحاجة إلى إنشاء المكلفين مرة أخرى ليصلوا إلى ما استحقوه والعقاب أشد ^(١) .

وأنت إذا تأملت في هذه الأمور الأربعة وجدتها أقيسة صحيحة إذ هي قياس قدرته في كذا على قدرته على كذا من باب قياس الأولى أو حكمته في كذا على حكمته في كذا ، وليست هذه الأقيسة كأقيسة المنكرين للبعث إذهم يقيسون قدرة الخالق العظيم على قدرتهم القاصرة .

وقال تعالى : ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٣﴾ .

ففي هذه الآية قياس إحياء الناس من قبورهم بإحياء الأرض بعد موتها وذلك بإخراج نباتها بعد إنزال المطر عليها .

جاء في محاسن التأويل : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أي خروجهم أحياء من القبور شبه بعث الأموات ونشرهم بقدرته تعالى بإخراج النبات من الأرض بعد وقوع المطر عليها . ^(٣)

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية : « وهي الأرض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنتبت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها ، وذلك بعدما كانت لا

(١) التنبهات في إثبات بعثة الرسل واليوم الآخر : لرحمة الله بن خليل الهندي : ٦٦-٦٧

(٢) ق : ٩-١١ .

(٣) محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي : ١٥/١٥٥ .

نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك ،
كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما
أنكره الجاحدون للبعث» (١) .

وقال الشوكاني رحمه الله : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ مستأنفة لبيان
أن الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الإحياء الذي أحيا الله به
الأرض الميتة» (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ آتَيْنَاهُ الْآيَةَ نَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

ففي هذه الآية قياس من الأقيسة الصحيحة وهو من قياس الدلالة
وقد عرف ابن القيم رحمه الله قياس الدلالة وبين أن هذه الآية منه .
فقال : « وأما قياس الدلالة فهو الجمع بين الأصل والفرع بدليل
العلة وملزومها » .

فدل سبحانه عباده بما أراهم من الأحياء الذي تحققوه وشاهدوه على
الإحياء الذي استبعدوه وذلك قياس إحياء على إحياء واعتبار الشيء بنظيره ،
والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه ، وكمال حكمته ، وإحياء الأرض دليل
العلة (٤) .

(١) تفسير ابن كثير : ٣٩٨/٦ .

(٢) فتح القدير : ٧٣/٥ .

(٣) فصلت : ٣٩ .

(٤) إعلام الموقعين : ١٣٨/١-١٣٩ .

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن العظيم من ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ اَللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتَنفِيْرٌ سَحَابًا فَيُنْزِلُ فِيْهَا مِنَ السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرٰى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَافَةٍ فَاِذَا اَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ اِذَا هُمْ يَسْتَشِيْرُوْنَ ﴿٤٨﴾ وَاِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلِ اَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُنْتَلِسِيْنَ ﴿٤٩﴾ فَاَنْظُرْ اِلَى اٰثَارِ رَحْمَةِ اللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِيْ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا اِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِيْ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٥٠﴾ .

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَاَللّٰهُ الَّذِي اَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتَنفِيْرٌ سَحَابًا فَسُقْنٰهُ اِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاَحْيٰىنَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ النُّشُوْرُ ﴿٥١﴾ .

٣- وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُوْنَ ﴿٥٢﴾ .

قال ابن القيم رحمه الله : فدل بالنظر على النظر ، وقرب أحدهما من الآخر جداً بلفظ الإخراج ، أي يخرجون من الأرض أحياء كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي .^(٤)

قال شيخ الإسلام : وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الثانية بإحياء الأرض بعد موتها في غير موضع .^(٥)

(١) الروم : ٤٨-٥٠ .

(٢) فاطر : ٩ .

(٣) الروم : ١٩ .

(٤) إعلام الموقعين ١/١٣٩ .

(٥) تفسير سورة الإخلاص : ٤٠ .

ثانياً : من المسالك التي سلكها القرآن في إثبات البعث قياس الاعادة على

البداءة والنشأة الثانية على الأولى عن طريق قياس المساواة أو الأولى :

والآيات في هذا كثيرة جداً منها :

- ١- قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾^(١) .
- ٢- وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(٢) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) .

وفي هذه الآيات الاستدلال على البعث بقياس الأولى ، وفي قوله ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ يعني في نظر المخاطب لأنه لا يوجد بالنسبة لله تعالى شيء هو أسهل وشيء هو أصعب وإنما المقدورات عندنا نحن متفاوتة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقنا .^(٤)

٤- وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) .
قال ابن القيم رحمه الله : « فدلهم بالنشأة الأولى على الثانية ولو أنهم تذكروا لعلموا أنه لا فرق بينهما في تعلق القدرة بكل واحدة منهما »^(٦) .

(١) الأعراف : ٢٩ .

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) السورم : ٢٧ .

(٤) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم : ٣٠٢-٣١٥ .

(٥) الواقعة : ٦٢ .

(٦) إعلام الموقعين : ١/١٤١ .

وقد جمع الله بين النشأتين في الذكر في قوله: ﴿وَأَدَّ خَلْقَ الرُّوحَيْنِ

الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ﴿٤٧﴾﴾ (١)

٥- وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

٦- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ

ذَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٣)

ففي هذه الآيات دعا سبحانه وتعالى الإنسان أن ينظر في مبدأ

خلقه فإن ذلك يدل على دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إليه ، وقوله :

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الصحيح أن الضمير يرجع إلى الإنسان أي إن

الله على رده إليه لقادر يوم القيامة وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر ،

ومن قال إن الضمير يرجع على الماء أي أن الله على رجعه في الإحليل أو

في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر ، فقد أبعد وإن كان الله سبحانه

قادراً على ذلك ولكن السياق يأباه ، وطريقة القرآن هي الاستدلال بالمبدأ

والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه . (٤)

٧- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّصْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ

لَكُمْ وَنُقَرُّفِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٥)

(١) النجم : ٤٥-٤٧ .

(٢) العنكبوت : ٢٠ .

(٣) الطارق : ٥-٨ .

(٤) انظر إعلام الموقعين : ١٤٦/١ .

(٥) الحج : ٥ .

ففي هذه الآية يقول سبحانه : إن كنتم في ريب من البعث فليستم ترتابون في أنكم مخلوقون ، وليستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال ، إلى حين الموت ، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى ، فهما نظيران في الإمكان والوقوع ، فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها ، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها .^(١)

٨- وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾^(٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَهْمْتُم مِّنْهُ تُوقِفْتُونَ ﴿٨٠﴾^(٢)

فذكره مبدأ خلقه ليدله به على النشأة الثانية ، ثم أخبر أن هذا الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل ، بل لما نسي خلقه ضرب المثل فتحت قوله : ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ أطف جواب وأبين دليل وهذا كما تقول لمن جحدك أن تكون قد أعطيته شيئاً فلان جحدني الإحسان إليه ، ونسي الثياب التي عليه ، والمال الذي معه ، والدار التي هو فيها ، حيث لا يمكنه جحد أن يكون ذلك منك ، ثم أجيب عن سؤاله بما يتضمن أبلغ الدليل على ثبوت ما جحده فقال : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فهذا جواب واستدلال قاطع ثم أكد هذا المعنى بالإخبار بعموم علمه لجميع الخلق فإن تعذر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه أو قصور في

(١) إعلام الموقعين : ١/١٤٠ .

(٢) يس : ٧٧-٨٠ .

قدرته ، ولا تصور في علم من هو بكل خلق عليم ولا قدرة فوق قدرة من خلق السماوات والأرض وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون^(١) .
وأما قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَثْمَمْتُمُوهُ تَأْكُلُون ﴾ فما أحسنه من قياس ؟ فإن النار صاعدة بالطبع ولطيفة ونورانية وحارة يابسة ، والشجرة هابطة وكثيفة وظلمانية وباردة رطبة ، فإذا أمسك الله تلك الأجزاء النارية في داخل تلك الشجرة ، فقد جمع بين هذه الأشياء المتنافرة ، وإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن إبداع الحياة في بدن الميت ، لأن الحياة وإن لم تحصل إلا بالحرارة والرطوبة ، والتراب بارد يابس ، وبينهما مضادة ، لكن لاشك في أن الحرارة النارية أقوى في صفة الحرارة من الحرارة الغريزية ، ولما لم يمتنع توليد الحرارة النارية في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء مع كمال المضادة ، فكيف يمتنع تكون الحرارة الغريزية في جرم التراب .^(٢)

٩- وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِيتٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِكَ شَيْئًا ۝ ﴾^(٣) .

فتأمل تضمن هذه الكلمات على اختصارها وإيجازها وبلاغتها للأصل والفرع والعلة والحكم .

١٠- وقوله تعالى : ﴿ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ

جَدِيدٍ ﴾^(٤) .

(١) إعلام الموقعين : ١٤١/١ .

(٢) التنبهات في إثبات بعثة الرسل واليوم الآخر : ٦٧-٦٨ .

(٣) مريم : ٦٦-٦٧ .

(٤) ق : ١٥ .

« أي أعجزنا عن ابتداء الخلق وهو الخلق الأول فنعيا بالبعث وهو الخلق الثاني وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا أنه الخالق وأنكروا البعث »^(١) .
 فهذه عشر آيات تضمنت أبلغ الأدلة على أحقية البعث بعد الموت .

ثالثاً : من المسالك التي سلكها القرآن في إثبات البعث قياس الإعادة على

خلق السماوات والأرض .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَدَّاءَ الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾^(٢) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴿^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

قال ابن كثير رحمه الله : « يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السماوات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى »^(٤) .

(١) زاد المسير في علم التفسر لابن الجوزي : ٨/٨ .

(٢) الإسراء : ٩٨-٩٩ .

(٣) غافر : ٥٧ .

(٤) تفسر ابن كثير : ١٤٨/٦ .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) .
 وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) .
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

فإن من المعلوم ببدهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك . ^(٣)

فما أحسن هذا الاستدلال بالأقيسة الصحيحة .

فالتأمل في خلق السماوات يجد أن « بناءها أرفع من أساس بدن الإنسان ، وزينتها بالكواكب أكمل من زينة الإنسان بلحم وشحم وتأليفها أشد من تأليف الإنسان لأنها لا فروع لها بخلاف بدن الإنسان فإنه ذو مسامات ولاشك أن التأليف الأشد كالتسيج الأصفيق والتأليف الأضعف كالتسيج الأسخف ، والأول أصعب عند الناس وأعجب ، فمن قدر على الأول كان قادراً على الثاني بالطريق الأولى ، فكيف يجوز أن يظن أن الله لا يقدر على جمع أجزاء بدن الإنسان وتركيب الأعضاء مرة أخرى ؟ وإذا لم يستبعد منه الأعلى فكيف يستبعد منه الأدنى ؟ » ^(٤) .

(١) يس : ٨١ .

(٢) الأحقاف : ٣٣ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ٣٢/١ .

(٤) التنبهات في إثبات بعثة الرسل واليوم الآخر : ٦٨-٦٩ .

وأما الأرض فإننا نراها في زمان الربيع تقور عيونها وتربو تلالها وينحذب إلى أغصان الأشجار وعروقها ، ثم يُخرج أزهارها وأنوارها وثمارها ، وإن جُز من نباتها شيء أخلف مكانه آخر ، وإن قُطِع غصن من أغصان الأشجار أخلف ، وإن جرح التأم ثم إذا جاء الشتاء واشتد البرد غارت عيونها ، وجفت رطوبتها وفسدت بقولها ، ولو قطعنا غصنا من شجرة ما أخلف ثم إذا جاء الربيع الثاني تعود إلى تلك الحياة ، فإذا تعقلنا هذه المعاني في الأرض فلم لا نتعقل مثله في الإنسان الذي هو أشرف من الجمادات ؟ ^(١) .

ونتهي هذا المسلك بقول الله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَّاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ
وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝^(٢) .

يقول الألووسي : أي أغفلوا أو عموا فلم ينظروا حين كفروا بالبعث ^(٣) .

رابعاً : من المسالك التي سلكتها القرآن الكريم في إثبات البعث قياس الحياة

بعد الموت على اليقظة بعد النوم .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ۝^(٤) .

(١) المصدر نفسه : ٦٥-٦٦ .

(٢) ق : ٦-٨ .

(٣) روح المعاني : ١٧٥/٢٦ .

(٤) الروم : ٢٣ .

فإن الله عز وجل « جعل المنام بالليل ، والنهار للتصرف في المعاش وابتغاء فضله آيات لقوم يسمعون ، وهو سمع الفهم وتدبير هذه الآيات وارتباطها بما جعلت آية له مما أخبرت به الرسل من حياة العباد بعد موتهم وقيامهم من قبورهم كما أحياهم سبحانه بعد موتهم وأقامهم للتصرف في معاشهم »^(١) .

وتأمل أيضاً في إقسامه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴾^(٢) ، وذلك لما « في إدباره وإقبال النهار من أبين الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد ، فإنه مبدأ ومعاد يومي ، مشهود بالعيان ، بينما الحيوان في سكون الليل قد هدأت حركاتهم ، وسكنت أصواتهم ، ونامت عيونهم ، وصاروا إخوان الأموات إذ أقبل من النهار داعيه ، وأسمع الخلائق مناديه ، فانتشرت منهم الحركات ، وارتفعت منهم الأصوات ، حتى كأنهم قاموا أحياء من القبور يقول قائلهم : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور »^(٣) .

فهو معاد جديد بدأه وأعادته الذي يبدى ويعيد ، فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى الواحد القهار ؟ »^(٤) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً منها : قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾^(٥) .

(١) مفتاح دار السعادة : ٢٠٣ .

(٢) المدثر : ٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري أنظر مع الشرح فتح الباري : ١٣٠/١١ .

(٤) التبيان في اقسام القرآن : ٣٠٨-٣٠٩ .

(٥) يونس : ٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(١) .
وقاله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ
النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ^(٣) .

قال ابن القيم رحمه الله : فانظر [إلى هذه الآيات] وما تضمنته
من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته كيف جعل الليل سكناً
ولباساً يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى ، الحيوانات إلى بيوتها ،
والطير إلى أوكارها ، وتستجم فيه النفوس ، وتستريح من كد السعي
والتعب حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معاشها
وتصرفها ، جاء فائق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار يقدم جيشه بشير
الصباح فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق ، وكشفها عن العالم فإذا هم
مبصرون ، فانتشر الحيوان ، وتصرف في معاشه ومصالحه ، وخرجت
الطيور من أوكارها .

فيا له من معاد ونشأة دال على قدرة الله سبحانه على المعاد
الأكثر؟ وتكراره ودوام مشاهدة النفوس له بحيث صار عادة ومألفاً منعها
من الاعتبار به والاستدلال به على النشأة الثانية ، وإحياء الخلق بعد
موتهم ، ولا ضعف في قدرة القادر التام القدرة ، ولا قصور في حكمة

(١) القصص : ٧٣ .

(٢) الفرقان : ٤٧ .

(٣) غافر : ٦١ .

ولا في علمه يوجب تخلف ذلك ، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

وهذا أيضاً من آياته الباهرة أن يعنى عن هذه الآيات الواضحة البينة من شاء من خلقه فلا يهتدى بها ولا يبصرها كمن هو واقف في الماء إلى خلقه وهو يستغيث من العطش ، وينكر وجود الماء ، وبهذا وأمثاله يعرف الله عز وجل ويشكر ويحمد ويتضرع إليه ويسأل .^(١)

فهذه أربعة مسالك ذكرها القرآن العظيم فيها أبلغ الليل وأقوى برهان في الرد على المنكرين للبعث ، ولكن الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾^(٢) .

٥- وهناك مسلك خامس من المسالك التي سلكها القرآن في إثبات البعث وذلك بذكر من أماتهم ثم أحياهم فهي أحداث وقعت وشوهدت وهي براهين صادقه وآيات واضحة تدل على قدرة الله على إحياء الموتى وصدق ما أخبر به من تحقيق وقوعه .

وقد ذكرت سورة البقرة خمسة أحداث فيها إماتة وإحياء :

١- قصة قوم موسى عليه السلام عندما طلبوا منه أن يريهم الله جهرة : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٣) .

(١) مفتاح دار السعادة : ٢٢٢ ، وانظر الإفساد من مفتاح دار السعادة ٢/٣٥٢-٣٥٣ .

(٢) الإسراء : ٩٩ .

(٣) البقرة : ٥٥ - ٥٦ .

٢- قصة القليل الذي ضرب بعضو من أعضاء البقرة فأحياه الله :
 قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَإِذْ مَخَرَجْنَاكُمْ
 تَكْفُورًا ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوا بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّلُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿٧٣﴾ ^(١) .

٣- قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف :
 قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرُ
 الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴿٧٤﴾ ^(٢) .

٤- قصة الذي مر على قرية :
 قال الله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ
 أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا
 أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ
 إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظْمِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
 لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٥﴾ ^(٣) .

٥- قصة ابراهيم عليه السلام الطيور الأربعة :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ
 أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم
 اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز
 حكيم ﴿٧٦﴾ ^(٤) .

(١) البقرة : ٧٢-٧٣ .

(٢) البقرة : ٢٤٣ .

(٣) البقرة : ٢٥٩ .

(٤) البقرة : ٢٦٠ .

الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد على المتأخرين

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المنكرين لعذاب القبر .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على القائلين بعدم وجود

الجنة والنار الآن والقول بفنائهما .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على القدرية .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الصوفية .

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المنظرين لعضاب القبر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يخضع الأمور الغيبية لعقله البشري القاصر لأن العقل له حدود ينبغي أن لا يتجاوزها فمهما بلغ العقل من القدرة ووصل إليه من المعرفة فأمر الغيب وراء هذه الحدود ، وما سميت غيباً إلا لأنها غائبة عن الأعين لا تخضع لمقاييس العقل .
لكن أبى المنكرون لعذاب القبر إلا أن يخضعوا لهذه الأقيسة الفاسدة متأثرين بها غير ناظرين للنصوص التي تثبت عذاب القبر .
وهؤلاء هم الملاحدة ومن تذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة^(١) .

وقال الأشعري : « هم المعتزلة والخوارج »^(٢) .
وقد ذكر ابن حزم أن إنكار عذاب القبر هو قول من لقي من الخوارج^(٣) .
ومما ينبغي التفطن له أن أهل العلم منهم من يطلق نسبة إنكار عذاب القبر إلى المعتزلة جميعاً ، ومنهم من يقيده بنسبته إلى بعضهم أو أكثرهم .
قال الإيجي : « وأنكره ضرار بن عمرو وبشر المريسي وأكثر المتأخرين من المعتزلة »^(٤) .

(١) انظر التذكرة للقرطبي : ١٥٨/١ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٤٣٠ .

(٣) انظر الفصل لابن حزم : ٦٦/٤ .

(٤) المواقف : ٣٨٢ .

ولعل هذا القول بالتقييد أنسب لأنه يوجد في بعض كتب المعتزلة ما يدل على إثباتهم له .

قال الزمخشري : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ^(١) .

« ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر » ^(٢) .

وحكى القاضي عبد الجبار اتفاق الأمة على إثباته واتفاق المعتزلة

عليه إلا ما حكى عن ضرار بن عمرو من إنكاره . ^(٣)

والقياس الفاسد عند هؤلاء المنكرين أنهم يقولون :

« فإننا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى

عطارق من حديد ، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيراناً تأجج ، ولو

كشفنا حاله في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير ، ولو وضعنا على

عينه الزيتيق ، وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله ، وكيف يفسح

مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجد بحاله ونجد مساحته على حد ما

حفرناها لم تزد ولم تنقص ، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة

وللصورة التي تؤنسه أو توحشه » ^(٤) .

قال الإيجي عن هذا القياس الفاسد قياس الغائب على الشاهد :

ودليل مخالفتها للمعقول إنا نرى شخصاً يصلب ويقيى مصلوباً إلى

أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ولا مسألة والقول بهما مع عدم

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) الكشاف : ٤٣٠/٣ .

(٣) انظر المختصر في أصول الدين : ٣٣٥ ، وشرح الأصول الخمسة : ٧٣٠ .

(٤) الروح لابن القيم : ٣٠٧/١ ، ونظر التذكرة للقرطبي : ١٥٨/١ .

المشاهدة سفسطة ، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها وحواصلها ، وأبلغ منه من أحرق وذرى أجزاؤه في الرياح العاصفة شمالاً وجنوباً وقبولاً ودبوراً ، فإننا نعلم عدم إحيائه ومسأله وعذابه ضرورة^(١) .

وهذا الكلام الذي يحكيه الأبي عن المنكرين لعذاب القبر هو في الحقيقة بمنزلة إنكار البعث :

قال الجويني : وهذا من قائله ملزم بعدم الطمأنينة إلى الإيمان والركون إلى الإيقان وهو بمثابة استبعاد العظام البالية ، وتأليف الأجزاء المفترقة في أجواف السباع وحواصل الطيور ، وأقصى التخوم ومدارج الرياح إلى غير ذلك^(٢) .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :

هذه خلاصة شبهتهم الداحضة ، ومحصلة آرائهم الكاسدة ، وأفهامهم الفاسدة وأذهائهم البائدة ، ولاعجب ولا استغراب ممن ألد في أسماء الله وصفاته ، ووجد ما صرح به تعالى في محكم آياته ، ورد ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته وحكم العقل في الشرع ، وعارض الوحي الرحماني بالحروس الشيطاني ، وقدم الآراء السقيمة على السنن المستقيمة وآثر الأهواء الذميمة على المحجة القويمة .

فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التي لا يشاهدها ، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذي هو الجلد واللحم والعظم والعروق

(١) المواقف في علم الكلام : ٣٨٢-٣٨٣ .

(٢) كتاب الإرشاد : ٣١٨ .

والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلئ بكثرة الطعام والشراب فيه ، ويخلو بقلتهما عليه .

وماله لا ينكر ذلك وهو لا يقر بوجوده إلا مسموعاً متكلماً به مبصراً مشموراً ملموساً ، وماله لا ينكر ذلك وطريقته في النصوص أبداً تأويل الصريح وتضعيف الصحيح ، وأنها آحاد ظنية لا تفيد اليقين ، وليست بأصل يزعمه عند المحققين .

ولا ذنب للنصوص ، وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه ، وصرحت بنقيض دعواه وسدت عليه باب مغزاه ، وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه ، وهدمت عليه ما قد بناه ، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أو رسوله ﷺ ونادت عليه بأبلغ صوت ^(١) . ﴿ أَمْ لَّهُمْ شُرَكَوَا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

(١) معارج القبول : ٧١٣/٢-٧١٤ .

(٢) الشورى : ٢١ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

إن الله تبارك وتعالى قدير على كل شيء كما قال تعالى :
﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عِلْمًا ﴾^(١) .

فلا يعد في قدرته تبارك وتعالى ما أعترض به المنكرون لعذاب القبر
وسيكون الرد على هذا القياس من وجهين :

الأول : ذكر الأدلة من الكتاب والسنة التي تثبت عذاب القبر ،
وأن الأحاديث في عذاب القبر متواترة ، فلا اعتبار لهذا القياس الفاسد مع
هذه الأدلة .

الثاني : ذكر بعض أقوال أهل العلم التي فيها بيان لفساد هذا
القياس وتوضيح للأقيسة الصحيحة التي يمكن أن يستدل بها على ثبوت
عذاب القبر .

الوجه الأول : أدلة القرآن :

١ - قال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٢) .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : وهذه الآية نصها في عذاب
القبر بصريح الأحاديث ... وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين
فمن بعدهم وأن المراد بالثبوت هو عند السؤال في القبر حقيقة ، وأن من

(١) الطلاق : ١٢ .

(٢) إبراهيم ٢٧ .

أنكر ذلك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء^(١) .

ومما يدل على أن الآية في عذاب القبر :

ما أخرجه البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ ، وزاد شعبة : « يثبت الله الذين آمنوا نزلت في عذاب القبر »^(٢) .

٢ - وقال تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣) .

ففي هذه الآية الكريمة بيان للعذاب الذي ينال آل فرعون وأنه شديد وأشد فالشديد هو عذاب القبر وأشد منه عذاب النار يوم القيامة والعياذ بالله من ذلك .

قال ابن القيم : « فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره »^(٤) .

وقال القرطبي : « والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ »^(٥) .

(١) معارج القبول : ٧١٨/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٣٢/٣ .

(٣) غافر : ٤٦ .

(٤) السروح : ٣٣٧/١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٣١٨/١٥ .

وقال الشوكاني : « يدل دلالة واضحة على أن ذلك هو في البرزخ »^(١) .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾^(٢) .
قال الإمام البخاري: « قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ البسط الضرب »^(٣) .

وقال الحافظ ابن حجر : « وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا ، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله »^(٤) .

وقال شارح الطحاوية :

« واعلم أن عذب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ، ونسف في الهواء أو صلب أو أغرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور »^(٥) .

(١) فتح القدير : ٦٩٤/٤ .

(٢) الأنعام : ٩٣ .

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة : ٣٧٧/١ .

(٤) فتح الباري : ٢٣٣/٣ .

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز : ٥٧٩/٢ - ٥٨٠ .

وقال ابن القيم عند هذه الآية : « وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخرجت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : ﴿ الْيَوْمَ تُجْرُونَ ﴾ »^(١) .

وقال الشيخ حافظ الحكمي : « ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراي أهله صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقرير والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر ، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم .

فلا بد للمخالف من أحد أمرين : إما أن يقر بما أخرج الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل^(٢) هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون »^(٣) .

٤ - وقال تعالى : ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَجْعَتِهِمْ ﴾^(٤) .

(١) السروح : ٣٣٧/١ .

(٢) المراد بالتأويل هنا : ما ينتظره من العذاب .

(٣) معارج القبول : ٧١٨/٢ .

(٤) السجدة : ٢١ .

قال ابن القيم : وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر . ولم يكن هذا يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن لكن في فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر ، فإنه سبحانه أخير أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدل على أنه بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾ ولم يقل : (ولنذيقنهم العذاب الأدنى) فتأمله ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَذَرْتَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ ^(٢) يَوْمَ لَا يَغْنَىٰ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَتِيًّا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(٣) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٤) .

قال شارح الطحاوية : وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا أو المراد أعم من ذلك ^(٥) .

الوجه الثاني : الأدلة من السنة :

أما الأدلة من السنة على ثبوت عذاب القبر فكثيرة جداً بلغت حد التواتر .

(١) الروح : ٣٣٨/١ .

(٢) الطور : ٤٥-٤٧ .

(٣) شرح الطحاوية : ٥٧٣/٢ .

قال شارح الطحاوية : وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا تتكلم في كفيته إذ ليس للعقل وقوف على كفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما يحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا^(١) .

وقال السيوطي : قد تواترت الأحاديث بذلك ، ثم ذكر ستة وعشرين نفساً من الصحابة^(٢) .

وذكر الزبيدي أربعة وعشرين نفساً من الصحابة^(٣) .
فمن هذه الأحاديث :

١- ما رواه البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال نعم : عذاب القبر ، قالت عائشة رضي الله عنها ، فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر ، زاد غندر « عذاب القبر حق »^(٤) .

(١) شرح الطحاوية : ٥٧٨/٢ .

(٢) شرح الصنوبر بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي : ٤٩ .

(٣) نكتة اللآلي المنتثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي : ٢١٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٣٢/٣ .

٢- ومنها ما رواه البخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ومن فتنة الحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » ^(١) .

٣- ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « دخلت على عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال : صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم ، قالت فما رأيتك بعد صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر » ^(٢) .

٤- ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ... أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا

(١) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٢٤١/٣ .

(٢) أخرجه مسلم بشرح النووي : ٢٣٢/٢-٢٣٣ .

أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب
مطارق من حديد ضربة فيصيح يسمعا من يليه غير الثقلين» (١) .

٥- ومنها حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « مر
النبي ﷺ بجائط من حيطان المدينة ، أو مكة - فسمع صوت إنسانين
يعذبان في قبورهما . » (٢)

٦- ومنها حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « بينما النبي ﷺ في
حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ جادت به فكادت تلقيه وإذا
أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ... فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟
فقال رجل أنا ، فقال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الإشراك ،
فقال : إن هذه الأمة تتلى في قبورها ، فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن
يسمعا من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجه فقال :
تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال :
تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال :
تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا نعوذ بالله من الفتن
ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ
بالله من فتنة الدجال . » (٣) .

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ، انظر مع الشرح فتح الباري ٣/٣٣٢-٣٣٣ ، وصحيح

مسلم بشرح النووي ٧٢١/٥ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له : انظر مع الشرح فتح الباري : ٣١٧/١ ، ومسند بشرح

النووي ٥٨٨/١ .

(٣) أخرجه مسلم بشرح النووي ٧٢٠/٥-٧٢١ .

٧- ومنها حديث أبي أيوب قال : « خرج رسول الله ﷺ بعدما

غربت الشمس فسمع صوتاً فقال : يهود تعذب في قبورها »^(١) .

٨- ومنها حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا

قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما

المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما

كان يقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره

سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : ثم فيقول : أرجع

إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان : نعم كنومة العروس ، الذي لا يوقظه إلا أحب

أهله إليه ، حتى يعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال :

سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري ، فيقولان ، قد كنا نعلم أنك

تقول ذلك ، فيقال للأرض التمي عليه فتلتصم عليه فتختلف أضلاعه فلا

يزال فيها معذباً حتى يعثه الله من مضجعه ذلك . »^(٢) .

هذه بعض الأحاديث الثابتة الدالة على نعيم القبر وعذابه وهي

غيبض من فيض ، فلا عرة لقياس المنكرين الفاسد مع هذه النصوص .

ولقد جاءت أحاديث خاصة في ضمة القبر :

(١) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٢٤١/٣ ، ومسلم بشرح

النسوي : ٧٢١/٥ .

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني : ٣١١/١ وحسنه أيضاً في صحيح الجامع : ٢٥٩/١ ،

وسلسلة الأحاديث الصحيحة : ٣٨٠/٣ .

منها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم دفن سعد وهو قاعد على قبره : « لو نجأ أحد من ضمة القبر لنجأ سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم روخى عنه » (١) .

ومنها : حديث أنس ؓ أن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية فقال : « لو نجأ أحد من ضمة القبر لنجأ هذا الصبي » (٢) .

ومنها : حديث أبي أيوب ؓ « أن صيباً دفن فقال النبي ﷺ لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي » (٣) .

(١) رواه الطبراني في الكبير : ١٠٨٢٧/١٠ .

وانظر الفتح الرباني : ١٣٦/٨ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦/٣ ورجاله موثقون ، وهو في صحيح الجامع ١٧/٥ ، والأحاديث الصحيحة برقم ١٦٩٥ .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط :

وانظر الفتح الرباني : ١٣٦/٨ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧/٣ ورجاله موثقون ، وهو في صحيح الجامع ٧١/٥ ، والأحاديث الصحيحة : برقم ٢١٦٤ .
(٣) رواه الطبراني في الكبير : ٣٨٥٨/٤ .

وانظر الفتح الرباني ١٣٦/٨ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧/٣ ورجاله رجال الصحيح ، وهو في صحيح الجامع ٥٦/٥ والأحاديث الصحيحة : برقم ٢١٦٤ .

الوجه الثاني : من الرد على قياسهم الفاسد :

أقوال العلماء كالقرطبي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والحافظ ابن حجر رحمهم الله تعالى .

قال القرطبي : فلا يعد في قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز ، فإننا لو شئنا لأزلنا الزيتق عن عينيه ، ثم نضعه ونرد الزيتق مكانه ، وكذلك يمكننا أن نعمق القير ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود وكذلك يمكننا أن نوسع القير مائتي ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً والرب سبحانه أبسط منا قدرة وأقوى منا قوة ، وأسرع فعلاً وأحصى منا حساباً ... ولا رب لمن يدعى الإسلام إلا من هذه صفته ، فإذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ... بل لو كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمنع أن يأتيه الملكان ويسألاه من غير أن يشعر الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابهما ، ومثال ذلك :

نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ولا يشعر بذلك أحد ممن حولهما من المتبهين ، ثم إذا استيقظا أخطر كل واحد منهما عما كان فيه .

... وبالجملة فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم فليس تقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا ، وهذا مما لا خلاف فيه ولو لا خير الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك .^(١)

(١) التذكرة : ١٥٨/١ - ١٥٩ .

ومن خلال كلام القرطبي نفهم أنه كان بإمكان هؤلاء المنكرين لعذاب القبر ونعيمه أن يقيسوا قياساً صحيحاً بحال النائم ويزيد هذا وضوحاً ما جاء في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول :
« وإذا عرف أن النائم يكون نائماً وتقعده روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالاً وأموراً بباطن بدنه مع روحه ، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب مع أن جسده مضطجع ، وعينه مغمضة ، وفمه مطبق ، وأعضاؤه ساكنة ، وقد يتحرك بدنه لقوة الحركة الداخلة ، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه ، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره فإن روحه تقعد وتجلس وتسال ، وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببدنه مع كونه مضطجعاً في قبره ، وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه وقد يرى خارجاً من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به فيتحرك ويمشي ويخرج من قبره ، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم ، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضاً إذا قوى الأمر لكن هذا ليس لازماً في حق كل ميت كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازماً لكل نائم بل هو حسب قوة الأمر » .^(١)

وشيخ الإسلام هنا لا يمنع ولا يعترض على من يقول أنه قد يشاهد الميت في قبره وهو يعذب أو ينعم فانظر إلى كلامه السابق في قوله : وقد سمع غير واحد الخ ، وإلى ما سننقله عنه أيضاً في هذا الباب ، يتبين لك خطأ الذين يسارعون إلى إنكار شيء من هذا القليل .

(١) مجموع الفتاوى : ٥٢٥/٥ - ٥٢٦ .

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه المتقدم ما يدل على ما ذكره شيخ الإسلام وهو قوله عليه السلام: فليسوا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ، لكن الأمر كما يقول الشيخ ليس لازماً في حق كل ميت كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازماً لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر .

وقال ابن القيم : في رد قياس المنكرين الفاسد :

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك ، نموذجاً في الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجرى على روحه أصلاً والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه ، ويرى أنه أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، ويذهب عنه الجوع والظما ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسن فإذا كانت الروح تتألم وتتعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل أعظم فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والتعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً ، ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه ، وضيقه وسعته ، وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل

وأنه حتى لا مريية فيه وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه
أتى^(١) .

وقال أيضاً :

إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زرع
الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها ، وإنما هي من جنس نار
الآخرة وخضرتها وهي أشد من نار الدنيا فلا يحسى به أهل الدنيا فإن الله
سبحانه وتعالى يحسى عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحتته حتى
يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك .

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر
وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره وذلك في روضة من
رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره .

وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا الله من آيات
قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة
بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه ، فيفرش للكافر لو
حان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فإذا شاء الله
سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه من غيره إذ لو أطلع
عليه العباد لزالّت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس^(٢) .

وقال الحافظ ابن حجر :

إن ذلك غير ممتنع في القدرة ، بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه
يجد لذة والماء لا يدركه جليبه بل اليقظان قدرك الماء أو لذة لما يسمعه أو

(١) الروح : ٣١١/١ - ٣١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١٦/١ .

يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليه وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على
الشاهد و أحوال ما بعد الموت على ما قبله ^(١) .

وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى إمكان رؤية عذاب القبر
ونعيمه وسماعه وقد وقع شيء من ذلك في زمن النبي ﷺ ، فقد كشف الله
سبحانه وتعالى له بعض عذاب أصحاب القبور كما كشفه لغيره ، كما
تقدم في بعض الأحاديث السابقة ومن ذلك حديث ابن عباس وحديث
أبي أيوب .

ومن أقوال شيخ الإسلام في هذا الباب غير ما تقدم :

قوله : « وقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا أصوات
المعذبين في قبورهم وقد شوهد من يخرج ورأوهم يعيرونهم يعذبون في
قبورهم في آثار كثيرة معروفة » ^(٢) .

وقوله أيضاً : « قد يكشف لكثير من أبناء زماننا بقظة وناماً
ويعلمون ذلك ويتحققونه وعندنا من ذلك أمور كثيرة » ^(٣) .

وقال ابن القيم : فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع
أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك ^(٤) .

وقال : وهذه الأخبار وأضعافها وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها
الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونيمة عياناً ^(٥) .

(١) فتح الباري : ٢٣٥/٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢٩٦/٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٦/٤ .

(٤) الروح : ٣١٧/١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٢٥/١ .

وخلص القول إن ما ذكر من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها ، وقد
أجمع المسلمون على أن عذاب القبر حق ولا عيرة بقول من خالف^(١) .

(١) انظر الحجة في بيان المحجة : ٣٢١/١ ، ورسالة أهل التفر للأشعري : ٢٧٩ .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على القائلين
بعدم وجود الجنة والنار الآن وأنهما تفتيان

وفيه مظهران : ثلاثة مطالب

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : موقف السلف من هذا القياس .

المطلب الثالث : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

في هذا المطلب مسألتان :

الأولى : خلق الجنة والنار الآن .

الثانية : القول بفنائهما .

فقد وقع في هاتين المسألتين قياس فاسد من قبل الجهم وأتباعه .
ففي المسألة الأولى : ذهب الجهم وأتباعه من المعتزلة أن الجنة
والنار لم تخلقا الآن ^(١) .

والقياس الفاسد فيها هو قياس أفعال السرب على أفعال العباد
ومثال ذلك لو أن ملكاً من الملوك أو رئيساً من الرؤساء بنى مدينة من
المدن أو جزءاً منها وأعد لها كل ما يصلحها ويرغب فيها ثم عطّلها
عن الناس ولم يمكنهم من الانتفاع بها سنوات طويلة فإن فعله هذا يعد
عبثاً ولا يحسن منه هذا الفعل ، فكذلك الرب .

قال ابن القيم رحمه الله : « وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد
الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا
ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في
الأفعال ودخل التحهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات .

وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً
متطاولة ليس فيها سكانها .

(١) انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى ٨٣/١ ،
والإرشاد للحويضي : ٣١٩ ، والمواقف للإيجي : ٣٧٥ .

وقالوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس قروناً متطاوله لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه . فحجروا على الرب تعالى بعقوبهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالفهم فيها والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء»^(١) .

وفي المسألة الثانية : ذهب الجهم أيضاً ومن سار على نهجه إلى القول بفناء الجنة والنار لأنهما حادثتان وما ثبت حدوثه استحال بقاءه وأبديته .

قال ابن حزم : « وقاسوا فناء الجنة والنار على فناء الدنيا »^(٢) .

وقال الأشعري : « أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له وكذلك عذاب الكفار في النار .

وقال جهم بن صفوان : إن الجنة والنار تفتيسان وتبيدان ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه »^(٣) .

(١) حادي الأرواح : ٣٨ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٦١٥/٢ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام : ١٣٥٠/٧ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ٤٧٤ ، وانظر الأصول والقرع لابن حزم : ٤٣ .

وقال الشهرستاني : « قال الجهم إن حركات أهل الخلدتين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها إذ لا تتصور حركات لا تنتهي أخيراً لما لا تتصور حركات لا تنتهي أولاً »^(١) .

قال شيخ الإسلام وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا ينتهي من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدث ما لم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي^(٢) .

(١) الملل والنحل : ٨٧/١ .

(٢) حادي الأرواح : ٤٨٤-٤٨٥ .

المطلب الثاني : موقف السلف من هذا القياس .

لقد وقف أهل السنة والجماعة من هذا القياس الفاسد موقفاً حازماً فقد أنكروه أشد الإنكار ، وردوه بالحجج الدافعة .

قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله : والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ ... فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»^(١) .

وقال الأشعري : « قال أهل السنة والاستقامة هما مخلوقتان ، وقال كثير من أهل البدع لم تخلقا »^(٢) .

وقال ابن القيم : « لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن »^(٣) .

فهذه أقوالهم فيما يتعلق بالمسألة الأولى : خلق الجنة والنار الآن أما فيما يتعلق بالمسألة الثانية : وهي القول بفنائهما .

(١) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة : ٢٢٥/٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٤٧٥ .

(٣) حادي الأرواح : ٣٨ .

فقد صاح السلف بأصحاب هذا القول في أقطار الأرض
وكفروهم به كما ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة :
قالوا لقد كفرت الجهمية بعدة آيات في غير موضع من كتاب
الله:

منها : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الرَّقْمَاءُ مَالٌ مِنْ نَقَادٍ ﴾ ^(١) .
فمن قال تنفذ فقد كفر .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ أَكَلَهَا ذَاتِنُمْ وَظَلَمَهَا ﴾ ^(٢) .
فمن قال لا يدوم كفر .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴾ ^(٣) .
فمن قال إنها تنقطع فقد كفر .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْنُودٍ ﴾ ^(٤) .
فمن قال إنه منقطع فقد كفر ^(٥) .

قال ابن القيم :

« إن القول بفساد الجنّة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من
الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه إنما تلقوه
عن قياس فاسد » ^(٦) .

(١) ص : ٥٤ .

(٢) الرعد : ٣٥ .

(٣) الواقعة : ٣٣ .

(٤) هود : ١٠٨ .

(٥) انظر كتاب السنة : ٢٠ ، وحادي الأرواح : ٤٨٤ .

(٦) حادي الرواح : ٤٨٨ .

وقال ابن حزم :

« اتفقت الأمة كلها برها وفاجرها - حاشا جهم بن صفوان
السمرقندي وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف العبدي البصري -
على أن الجنة لا فناء لنعيمها والنار لا فناء لعذابها وأن أهلها خالدون
أبد الأبد فيها إلى مالا نهاية »^(١) .

(١) الأصول والفرع لابن حزم : ٤٣ .

المطلب الثالث : الرد على قياسهم الفاسد .

لقد عارض قياسهم الفاسد كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وسأذكر طرفاً من هذه الأدلة ليتبين لنا من خلالها بطلان ما ذهب إليه الجهم وأتباعه من القياس الفاسد والرأي الكاسد . وذلك في المسألتين:

١- عدم وجود الجنة والنار الآن .

٢- القول بفنائهما .

أما الأدلة على وجود الجنة والنار الآن من الكتاب والسنة فمنها :

أولاً : من القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَعْدَدْنَا لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْدَدْنَا لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٤) .

(١) آل عمران : ١٣٣ .

(٢) الحديد : ٢١ .

(٣) التوبة : ٨٩ .

(٤) التوبة : ١٠٠ .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٦) .

والآيات في بيان أن الله أعد الدارين وهما وأعد لأهلها من أصناف النعيم وأنواع العذاب - كثيرة جداً وهي لا تتفق وقياس الجهم وأتباعه ، ولم يعد لقياسهم الفاسد المتقدم : لو أن ملكاً اتخذ داراً وأعد منها ألوان الأطعمة ... الخ أي معنى فهو كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

(١) البقرة : ٢٤ .

(٢) آل عمران : ١٣١ .

(٣) النساء : ١٠٢ .

(٤) الأحزاب : ٨ .

(٥) الأحزاب : ٦٤ .

(٦) الإنسان : ٣١ .

ولا بأس بزيادة الأدلة ليقطع دابر هذا القياس الفاسد .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ .^(١)

فقد رأى النبي ﷺ سدره المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في قصة الإسراء وسيأتي الحديث إن شاء الله فيقال للجهم هذا هو الصادق المصدوق رأى الجنة فهي إذا معدة وليس إعدادها عبثاً .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ .^(٢)

وقال تعالى : ﴿ وَيُنَادِيكُمْ مِنْهَا أَنْتُمْ أَتُونَكَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ .^(٣)

وقال تعالى : ﴿ يَا آدَمُ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴿٢٢﴾ .^(٤)

(١) النجم : ١٣-١٥ .

(٢) البقرة : ٣٥ .

(٣) الأعراف : ١٩ .

(٤) الأعراف : ٢٧ .

فألله عز وجل خلق آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة وأخرجهما من الجنة ثم تاب عليهما ووعدهما أن يردهما إلى الجنة فيقال للجهنم أين كان آدم عليه السلام إذا لم تكن الجنة مخلوقة .
قال الآجري رحمه الله تعالى :

((اعلموا - رحمتنا الله وإياكم - أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام ، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان دل على ذلك القرآن والسنة ، فنعوذ بالله ممن كذب بهذا))^(١) .

ثانياً : الأدلة من السنة .

لقد جاء في السنة الصحيحة عدة أحاديث كلها تبطل قياس الجهنم الفاسد الذي يزعم فيه بأن خلق الجنة والنار الآن عبث .
فمن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - في الإسراء والمعراج - وفي آخره : ثم انطلق حتى أتى السدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنايد اللؤلؤ وإذا ترابها المسك)^(٢) .

(١) الشريعة : ٣٤٣ .

(٢) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٦/٣٧٥ ، ومسلم ١/١٤٥ -

ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال
الله عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِىَ لَهُمْ
مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ^(١) .

قال الإمام البخاري في صحيحه : (باب ما جاء في صفة الجنة
وأنها مخلوقة) .

قال الحافظ : « أي موجودة الآن وأشار بذلك إلى الرد على
من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة » ^(٢) .
ثم ساق الإمام البخاري رحمه الله عدة أحاديث :

منها : حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله ﷺ « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة
والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل
النار فمن أهل النار » ^(٣) .

ومنها : حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت
أكثر أهلها النساء » ^(٤) .

(١) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٣١٨/٦ ، ومسلم ٢١٧٤/٤ .

(٢) فتح الباري ٣٢٠/٦ .

(٣) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٣١٧/٦ ، ومسلم ٢١٩٩/٤ .

(٤) المصدر نفسه انظر مع الشرح فتح الباري ٣١٨/٦ ، ومسلم ٢٠٩٦/٤ .

ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت لمن هذا القصر ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ » ^(١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : معلقاً على ما ذكره البخاري في هذا الباب وأصرح مما ذكره في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها ... إلخ » ^(٢)

ثم يوب الإمام البخاري رحمه الله لما جاء في النار فقال :
(باب صفة النار وأنها مخلوقة) وساق عدة أحاديث :

منها : حديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » ^(٣) .

ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجلدون من الحر وأشد ما تجلدون من الزمهرير » ^(٤) .

(١) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٣١٨/٦ ، ومسلم ١٨٦٣/٤ .

(٢) انظر صحيح أبي داود ٨٩٨/٣ ، وصحيح سنن النسائي : ٧٩٧/٢ .

(٣) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٣٣٠/٦ .

(٤) المصدر نفسه ٣٣٠/٦ .

ومنها: حديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»^(١).

وأما المسألة الثانية: وهي القول بفنائهما:

فالأدلة من الكتاب والسنة كثيرة جداً في إبطال القياس الفاسد الذي أدى إلى القول بفنائهما فالقول بذلك يصادم هذه الأدلة فماذا يصنع الجهم وأتباعه أمام هذه النصوص؟

أولاً: من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلَالٌ﴾^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣).

(١) المصدر السابق ٦/٣٣٠.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) النساء: ١٢٢.

وقال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ نَبِّعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْهَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتُهُ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عِدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) المائدة : ١١٩ .

(٢) التوبة : ٢٠-٢٢ .

(٣) التوبة : ١٠٠ .

(٤) التغابن : ٩ .

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَعْنُ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٣﴾ .
وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعَصِ أَمْرًا لَمْ يَأْتِ بِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٤﴾ .

فهذه الآيات الكريمات تدل دلالة واضحة على خلود الدارين وأهلها في النعيم المقيم يحرون وفي العذاب يصرخون لا يفتر عنهم وهم فيه ملبسون .

قال الآجري رحمه الله : « فالقرآن شاهد أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً في حوار الله عز وجل في النعيم يتقلبون ، وأن أهل النار الذين هم أهلها في العذاب الشديد أبداً » (٥) .

(١) البينة : ٧-٨ .

(٢) النساء : ١٦٨-١٦٩ .

(٣) الأحزاب : ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الجن : ٢٣ .

(٥) الشريعة : ٣٥٤ .

ثانياً : من السنة الشريفة :

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد يأهل الجنة لا موت وبأهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » (١) .

وفي رواية أخرى لابن عمر (كل خالد فيما هو فيه) (٢) .

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت قال ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال : فيؤمر به ويذبح قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، قال ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَأَذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا » (٣) .

(١) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ١١/٤١٥ ، ومسلم ٤/٢١٨٩ .

(٢) رواه البخاري ، انظر مع الشرح الفتح ١١/٤٠٦ ، ومسلم ٤/٢١٨٩ .

(٣) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٨/٤٢٨ ، ومسلم ٤/٢١٨٨ .

ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه »^(١) .

ومنها : حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ينادي مناد : إن لكم أن تصحروا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) »^(٣) .

وهذه النصوص غيض من فيض فلا مجال لقياس الجهم الفاسد مع هذه النصوص .

(١) رواه مسلم ٢١٨١/٤-٢١٨٢ .

(٢) الأعراف : ٤٣ .

(٣) رواه مسلم ٢١٨٢/٤ .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على القدرية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الثالث : أمور أوجبها المعتزلة على الله بالقياس الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد وقع القدرية نفاة القدر في قولهم بأن العباد هم الخالقون لأفعالهم في قياس فاسد فهم يقولون كيف يخلق الكافر في الكافر ثم يعذبه عليه ؟ وكان حكمهم هذا مبنياً على قاعدة وضعوها وهي قياس الغائب على الشاهد فكان منهم أن قاسوا عدل الله تعالى على عدل الإنسان وقد جرهم هذا القياس إلى التأويلات المستكرهة ، والمخارج البعيدة كعادة أهل البدع في إخضاع النصوص الشرعية لأرائهم العقلية الفاسدة^(١) .

قال ابن قتيبة : ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر الله الذي هو سره بأرائهم وحملوه على مقاييسهم أرتهم أنفسهم قياساً على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق أن يجعلوا ذلك حكماً بين الله وبين العبد .

فقالوا : بالتخية والإهمال وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء وقادرين على ما لا يريد ، كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقالوا : كيف يضل ويعذب ويريد ويكره ويحول ويكلف وهل قصر فاعل هذا عن أفحش الظلم ؟^(٢) .

(١) انظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة : ٢٤ ، ومسألة القضاء والقدر لعبد الحليم

محمد قنيس : ٦٨ ، والمعتزلة بين القديم والحديث : ٥٨ .

(٢) الاختلاف في اللفظ : ٢٢ .

وقد كثرت أقوال أهل العلم في ذكر وقوع المعتزلة في هذا القياس الفاسد .

قال الأصبهاني : قال بعض العلماء عن تشبيه المعتزلة والجهمية ومن يذهب مذهبهم ، وأن أصحاب الحديث ليسوا بمشبهة - قالوا : إن الله تعالى لا يشاء المعاصي لعباده ثم يعاقبهم عليها لأن الحكيم العاقل من المخلوقين لا يجوز هذا ولأن هذا داخل في باب الظلم ، وكل مخلوق أتى مثل هذا سمي ظالماً فيقيسون أمر الله تعالى على أمر المخلوق ويشبهون الله بالمخلوق ^(١) .

وقال ابن القيم : وشرعوا له شريعة وضعوها بعقولهم وظنوا أن ما يحسن من خلقه يحسن منه وما يقبح منهم يقبح منه ... ولهذا كانوا مشبهة الأفعال ... وقالوا : إنه تعالى لو خص بعض عبيده عن بعض بإعطائه توفيقاً وقدرة وإرادة ولم يعطها الآخر لكان ظلماً للذي منعه . وقالوا : لو شاء من عباده أفعال المعاصي لكان ينزه عنه كما في الشاهد ولو شاء منهم الكفر والفسوق ، والعصيان ثم عذبهم عليه لكان ظلماً في الشاهد أيضاً ، فإن السيد إذا أراد من عبده شيئاً ففعل العبد ما أراد سيده فإنه إذا عذبه عبده الناس ظالماً له ، وجعلوا العدل في حقه تعالى من جنس العدل في حق عباده والظلم الذي تنزه عنه كالظلم الذي ينزهون عنه .

وجعلوا ما يحسن منه من جنس ما يحسن منهم ، وما يقبح منه من جنس ما يقبح منهم ، وقالوا : لو أراد الشر لكان شريراً كما في

(١) الحجة في بيان المحجة : ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

الشاهد فإن مرید الشر شریر ، وقالوا : لو ختم على قلوب أعدائه وأسماعهم وحال بينهم وبين قلوبهم واصلهم عن الإيمان ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، وجعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ثم عذبهم لكان ظالماً لهم ، لأن أحدنا لو فعل ذلك بعبد لكان ظالماً له فهؤلاء المشبهة حقاً في الأفعال ، فعلمهم تشبيهه ، وتوحيدهم تعطيل ، فجمعوا بين التشبيه والتعطيل ^(١) .

وقال ابن حزم : إن جمهورهم قالوا وجدنا من فعل الجور في الشاهد كان يسمى جائراً ومن فعل الظلم كان ظالماً ومن أعان فاعلاً على فعله ثم عاقبه عليه كان جائراً عابثاً .
قالوا : والعدل من صفات الله تعالى والظلم والجور منفيان عنه ^(٢) .

وقال شيخ الإسلام :

ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ^(٣) .

وقد ذكر الحافظ ابن رجب : أن النهي عن القدر يكون على وجوه منها : الخوض في القدر إثباتاً أو نفيًا بالأقيسة العقلية كقول القدريّة : لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالماً ^(٤) .

(١) طريق المجرتين : ١٥١-١٥٢ .

(٢) الفصل : ١٣٧/٣ .

(٣) الرسائل والمسائل : ٢٩٢/٥ .

(٤) فضل علم السنن عن علم الخلف لابن رجب : ٤٥ .

وختلاصة القول :

أن المعتزلة قد حددوا موقفهم من العدل الإلهي بناءً على فهمهم الخاص لعدل الرب تبارك وتعالى ، فنوه على أساس القياس على ما في عالم الشهادة ، لأن العدل لا يبد أن تبنى مسائله على ما نجده في الشاهد من قبح الفعل وحسنه ، فالعدل الإلهي لا يقتضي أن الله يقضي على عباده المعاصي ثم يعذبهم عليها فلا يجوز من الحكيم في فعله أن يقول لعبده افعل كذا وكذا فإذا نفذ العبد ما أمره به سيده يعود عليه السيد بالعقاب جزاءً على تنفيذ مراده ^(١) .

(١) انظر قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي : ٥٨ ، والمعتزلة بين القديم والحديث : ٦١ .

المطلب الثاني: الرد على قياسهم الفاسد

لقد أبعدت المعتزلة النجعة وقالت شططا ، حينما قالت : إن العباد يخلقون أفعالهم بناءً على القياس الفاسد المتقدم ذكره ولم يتبته هؤلاء إلى ما يحمله هذا القياس الفاسد في طياته من اللوازم الفاسدة فإن لازمه إن الله شاء الإيمان منه - على قولهم - والكافر شاء الكفر فوَقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى وهذا من أقبح الاعتقاد وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل^(١) .

كيف يزعم هؤلاء أنهم ينزهون الله عن الظلم وهم يصفونه بأقبح الظلم حيث قالوا : إنه يخلد في أطباق النيران من استنفذ عمره في طاعة الله إذا فعل قبل الموت كبيرة واحدة فإنها تحبط جميع تلك الطاعات وتجعلها هباءً منثوراً ويخلد في جهنم مع الكفار ما لم يتب منها^(٢) .

ولا بأس من وقفة لرد قياس المعتزلة الفاسد وذلك من وجوه :
الوجه الأول : ذكر بعض أقوال أهل العلم لبيان فساد قياسهم .
الوجه الثاني : ذكر بعض النصوص من الآيات والأحاديث التي عارضها هذا القياس الفاسد .

الوجه الثالث : الجواب عن تأويلهم للنصوص في هذا الباب .

(١) انظر شرح الطحاوية : ٣٢١/١ .

(٢) انظر طريق المحرتين وذب السعادتين لابن القيم : ١٥١-١٥٢ .

أولاً : أقوال العلماء في الرد على قياسهم الفاسد .

قال ابن تيمية رحمه الله : إنه ليس ما حسن منه حسن منا وليس ما قبح منه يقبح منا ، فإن المعتزلة شبهت الله بخلقه .
وذلك أن الفعل يحسن منا لجليه المنفعة ويقبح لجليه المضرة ويحسن لأننا أمرنا به ، ويقبح لأننا نهينا عنه ، وهذان الوجهان متفحيان في حق الله قطعاً^(١) .

وقال : هم مشبهة الأفعال يشبهون الخالق بال مخلوق والمخلوق بالخالق في الأفعال وهذا قول باطل كما أن تمثيل الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الصفات باطل^(٢) .

وقال في الرد على قول المعتزلي : « إن التعذيب على المقدر ظلم منه » .

فهذه دعوى مجردة ليس معهم فيها إلا قياس الرب على أنفسهم ولا يقول عاقل إن كل ما كان نقصاً من أي موجود كان ، لزم أن يكون نقصاً من الله بل ولا ينتج هذا من الإنسان مطلقاً ، بل إذا كان له مصلحة في تعذيب بعض الحيوانات وأن يفعل به ما فيه تعذيب له حسن ذلك منه كالذي يصنع القز ، فإنه هو الذي يسعى في أن دود القز ينجن ، ثم يسعى في أن يلقى في الشمس ليحصل له المقصود من القز ، وهو هنا له سعى في حركة الدود التي كانت سبب تعذيبه .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل : ١٨٣/٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٣١/٨ .

وكذلك الذي يسعى في أن يتوالد له ماشية وتبيض له دجاج ،
ثم يذبح ذلك ليتفتح به ، فقد تسبب في وجود ذلك الحيوان تسبباً
أفضى إلى عذابه لمصلحة له في ذلك ، ففي الجملة : الإنسان يحسن منه
إيلاء الحيوان لمصلحة راجحة في ذلك فليس جنس هذا مذموماً ولا
قبيحاً ولا ظلماً ، وإن كان من ذلك ما هو ظلم^(١) .

وقال الكرمي : في الرد على من استشكل خلق الفعل مع
حصول التوبة عليه وأنه من الظلم - قال : وأجيب أن هذا بمنزلة أن
يقال إن خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم ، أو خلق الحمى ثم
حصول الموت بها ظلم .

والظلم وضع الشيء في غير موضعه كما أن العدل هو وضع
الشيء في موضعه فكل نعمة من الله فضل وكل نقمة منه عدل لأنه
محسن للعبد بلا سبب تفضلاً وإحساناً ، ولا يعاقبه إلا بذنبه وإن كان
هو قد خلق الأفعال كلها لحكمة له في ذلك ، وإذا كان الإنسان قد
يفعل مصلحة اقتضتها حكمته ولا تحصل إلا بتعذيب حيوان ولا يكون
ذلك ظلماً منه فالله تعالى أولى أن لا يكون ذلك ظلماً منه^(٢) .

وقال ابن القيم : في الرد على قياسهم الفاسد :

« وهذا الأصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء وقالوا قياس
أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس ، وكذلك قياس
حكمته على حكمتهم ، وصفاته على صفاتهم .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل : ٥ / ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) رفع الشبهة والغرر عن محتج على فعل المعاصي بالقدر : ٥٣-٥٤ .

ومن المعلوم أن الرب تعالى علم أن عباده يقع منهم الكفر والظلم والفسوق ، وكان قادراً على أن لا يوجدهم ، وأن يوجدهم كلهم أمة واحدة على ما يحب ويرضى ، وأن يحول بينهم وبين بغي بعضهم على بعض ، ولكن حكمته البالغة أبت ذلك واقتضت إيجادهم على الوجه الذي هم عليه «^(١) .

وقال ابن قتيبة :

ونسوا ما يلزمهم في اختلاف الحكمين وأن من ملك البعض ليس كمن ملك الكل وأن الخلق كله لله يميت ويحيي ، ويفقر ويغني ، ويصح ويسقم ، ويتدنى بالنعيم من يشاء ويصطفى للرسالة من شاء ويؤيده بالتوفيق ويملاً قلبه بالنور ، ويعصمه من الذنوب ويجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة وأنه لو لم يرد المعصية لما هيأهم هيئة المعصية ، ولما ركب فيهم آلة الشهوة كما طبع الملائكة ولا سلط عليهم عدوهم ثم أمرهم بالاحتراس^(٢) .

ويرمى ابن قتيبة بهذا الكلام للفرق بين الخالق والمخلوق فكيف يقاس هذا على هذا فالله عز وجل له الملك كله يتصرف كيف يشاء سبحانه لا يسأل عما يفعل فله الحكمة البالغة .

وقال الكرميني :

وليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب ولا ما كان قبيحاً من العبد يكون قبيحاً من الرب فإنه سبحانه ليس كمثله

(١) شفاء العليل : ٢٠٧/٢ .

(٢) الاختلاف في اللفظ : ٢٢-٢٣ .

شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، لكن القدرية شبهت في الأفعال فقاسوا أفعال الله على أفعال خلقه وهو أفسد القياس .

وقال ابن حزم :

وليس الأمر كما ظنته عقولهم الحاكمة على الله تعالى في أنه لا يحسن منه تعالى إلا ما حسنته عقولهم وأنه يقبح منه ما قبحته عقولهم .
قال : والحق أن كل ما فعله الله سبحانه فهو حق وعدل أي شيء كان وإن كان منا جوراً وسفهاً^(١) .

(١) رفع الشبهة و الغرر عن يحتج على فعل المعاصي بالقدر : ٥٨ .

ثانياً : وأما الآيات فنذكر بعضها :

وآية واحدة كافية لإبطال قول المعتزلة بأن العباد خالقون لأفعالهم ، والمبني على قياسهم الفاسد .

قال تعالى : ﴿ اَللّٰهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) .

قال ابن القيم : وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته^(٢) .

وقال : وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ اَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهٖ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ

عَلَيْهِمْ قُلُوبًا اَللّٰهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٥) .

قال البيهقي :

« نفى أن يكون خالق غيره ، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق ، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف الآية » .

(١) الزمر : ٦٢ .

(٢) شفاء العليل : ١٥٤/١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٤٥/١ .

(٤) غافر : ٤٠ .

(٥) الرعد : ١٦ .

ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان ، فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقي الأفعال ، لكان خلق الناس أكثر من خلقه ، ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه «^(١) .

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَايِلَ تَقِيكُمْ أَحْرًا وَسَرَايِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ ﴾^(٢) .

فأخبر - سبحانه - أنه هو الذي جعل السرايل وهي الدروع والثياب المصنوعة ، ومادتها لا تسمى سرايل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعلمهم ، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيئاتها .

ونظير هذا قوله ﴿ وَآلَ اللَّهِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾^(٣) .

فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتقلة مجعولة له وهي إنما صارت بيوتاً بالصنعة الآدمية .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّهُمُ أَدْنَىٰ أُولَٰئِكَ سَلَاسِلٌ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ يَوْمَ الظُّلُمَاتِ أَنْ يَمْشَوْا عَلَىٰ أَسْوَاقٍ وَالسُّلْبُ هُنَّ حَتَايَ الْيَوْمِ الَّذِي كُنَّ يُرْتَدُّونَ عَلَيْهِمْ مُطْوًىٰ وَكُلُّهُمْ فِيهَا مٌرْتَدِّدٌ مُدْبِرٌ مِمَّا خَلَقُوا وَالسُّعْيُ أُولَٰئِكَ فِي شَأْنِ الْبَالِغِينَ ﴾^(٤) .

(١) الاعتقاد : ٥٩-٦٠ .

(٢) النحل : ٨١ .

(٣) النحل : ٨٠ .

(٤) يس : ٤١ .

فأخبر سبحانه انه خلق الفلك المصنوع للعباد ، وأبعد من قال
إن المراد بمثله هو الإبل فإنه إخراج المائل حقيقة ، واعتبار لما هو بعيد
عن المماثلة ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ۗ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۗ ﴾ ^(٢) .
قال البيهقي : « فأخبر أن قولهم وسرهم وجههم خلقه وهو
بجميع ذلك عليم » ^(٣) .

ومن الأحاديث التي ترد على المعتزلة حديث الحسن بن علي
رضي الله عنهما قال : « علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر
: اللهم أهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن
توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي
ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت وتعاليت » ^(٤) .
ففي هذا الحديث سؤال للهداية المطلقة التي لا يختلف عنها
الاهتداء وأن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بأنفسهم
وإنما كان من الله فهو الذي هداهم .

(١) شفاء العليل : ١٥٧/١ .

(٢) الملوك : ١٣-١٤ .

(٣) الاعتقاد : ٦٠ .

(٤) صحيح سنن أبي داود : ٢٦٧/١ ، وصحيح سنن الترمذي : ١٤٤/١ ،

وصحيح سنن النسائي : ٣٨٠/١ .

وعند القدرية أن الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهداية وإنما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار^(١) .

ومنها : حديث معاذ رضي الله عنه : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : « يا معاذ والله إنني لا حبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(٢) .
قال ابن القيم :

وهذه أفعال اختيارية وقد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لا معنى له عند القدرية فإن الإعانة عندهم الاقتدار والتمكين وإزاحة الأعذار وسلامة الآلة وهذا حاصل للسائل وللکفار أيضاً^(٣) .

ومنها : ما جاء في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد انقضاء صلاته : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »^(٤) .

(١) انظر شفاء العليل : ١ / ٢٨٦ .

(٢) رواه الإمام أحمد : ٥ / ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٣) شفاء العليل : ١ / ٢٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٢ / ٣٢٥ ، ومسلم بشرح النسوي

٢ / ٢٣٧ .

ففي هذا نفى الشريك عنه بكل اعتبار وإثبات عموم الملك له
بكل اعتبار وإثبات عموم الحمد وإثبات عموم القدرة وأن الله
سبحانه إذا أعطى عبداً فلا مانع له وإذا منعه فلا معطي له .
وعند القدرة أن العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطي من منعه
فإنه يفعل باختياره عطاءً ومنعاً لم يشأه الله ولم يجعله معطياً مانعاً
فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع معط (١) .

(١) شفاء العليل : ٢٨٨/١ .

ثالثاً : الرد على تأويل القدرية لبعض الآيات

لقد أول المعتزلة النصوص التي لا توافق مذهبهم وقد أجاب عنها أهل السنة فقالوا في قوله تعالى ﴿ اَللّٰهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) يعني مما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد فإضافتها إليهم ينفي إضافتها إليه وإلا لزم وقوع مفعولين بين فاعلين وهو محال .

قال أهل السنة : - جواباً على هذا التأويل - إضافتها إليهم فعلاً وكسباً لا ينفي إضافتها إليه سبحانه خلقاً ومشية فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها ، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة ولو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقته لا استحال وقوعها منهم إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله ولم يقدر عليه ولا خلقه .

ومن الآيات التي ضلت فيها القدرية بالتأويل الفاسد الآيات التي أضافت الهدى والضلال إلى الرب تبارك وتعالى فقد زعموا أن المراد من الهدى تسمية العبد مهتدياً ، وإضلاله تسميته ضالاً^(٢) .

وقد رد الإمام ابن القيم رحمه الله هذا التأويل فقال : وهذا مما يعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه وأنت إذا تأملتها وجدتها

(١) الزمر : ٦٢ .

(٢) انظر شفاء العليل : ٢١٧/١ ، وانظر قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي

للدكتور محمد السيد الجليند : ٢٩٨ .

لا تحتمل ما ذكره البتة ، وليس في لغة أمة من الأمم فضلاً عن أفصح اللغات وأكملها « هداة » بمعنى سماه مهتدياً « وأضله » سماه ضالاً وهل يصح أن يقال : « علمه » إذا سماه عالماً « وفهمه » إذا سماه فهماً وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١) .

فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمي من يشاء مهتدياً . وهل فهم أحد قط من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾^(٢) .

لا تسميه مهتدياً ولكن الله يسميه بهذا الاسم . وهل فهم أحد من قول الداعي : اهدنا الصراط المستقيم ، وقوله : اللهم اهدني من عندك ، ونحوه اللهم سمى مهتدياً . وهذا من جنابة القدرية على القرآن ومعناه نظير جنابة إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها^(٣) . وذهب بعضهم إلى أن المراد بالهداية هداية البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب فإن الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هؤلاء وهذا تأويل باطل ويرد على هذا التأويل بأن يقال إن الله قد أخبر أنه قسم الهداية إلى قسمين :

(١) البقرة : ٢٧٢ .

(٢) القصص : ٥٦ .

(٣) شفاء العليل : ٢١٧/١ - ٢١٨ .

قسم : لا يقدر عليه إلا الله عز وجل .

وقسم : مقدور للعبد .

قال تعالى عن القسم الأول : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّا لِلَّهِ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾^(٣) .

فحمل هذا على هداية الدعوة والبيان لا يصح فإن هذا يهدي

وإن أضله الله بالدعوة والبيان .

وأما القسم الثاني المقدور للعبد فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ثم ماذا يقول هؤلاء أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّهُ اللَّهُ عَلَى

عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ

اللَّهُ ﴾^(٤) هل يجوز حمله على معنى فمن يدعو إلى الهدى ويبين له

ما تقوم به حجة الله عليه ؟

وكيف يصنع هؤلاء بالنصوص التي فيها أنه سبحانه هو الذي

أضلهم أيجوز لهم حملها على أنه دعاهم إلى الضلال ؟

(١) القصص : ٥٦ .

(٢) النحل : ٣٧ .

(٣) الأعراف : ١٨٦ .

(٤) الجاثية : ٢٣ .

لاشك أن الجواب : أنهم سيقولون ليس هذا معناها ولكنهم
جأوا إلى تأويلات أخرى .

فقالوا : معناها الفاهم ووجدهم كذلك ، أو أعلم ملائكة
ورسله بضلالهم ، أو جعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها أنهم
ضلال ، ويرد على هذه التأويلات بما يلي :

أولاً : أن اللغة لا تحتمل ذلك وأن النصوص إذا تأملها المتأمل
وجدتها أبعد شيء من هذا المعنى .

ثانياً : أما قولهم : إنه علمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة فهذا
مما يدعو للتعجب من هؤلاء المحرفين ، فيقال لهم في أي لغة وأي لسان
يدل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ على معنى إنك لا
تعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها .

وفي أي لغة يفهم من قول الداعي : (اهدنا الصراط المستقيم)
علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها أننا مهتدون .

ثالثاً : وأما قولهم : بأن المعنى ألفاهم ووجدهم - فيقال لهم في
أي لسان وأي لغة وجدتم ، هديت الرجل إذا وجدته مهتدياً وختم
الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجاهه كذلك ؟

وهل هذا إلا افتراء محض على القرآن واللغة .^(١)

(١) انظر شفاء العليل : ٢١٨/١-٢١٩-٢٢٠-٢٢١ .

المطلب الثالث : أمور أوجبها المعتزلة .

هنا أمور أوجبها المعتزلة بقياس فاسد وهي امتداد لموقفهم من قضية العدل الإلهي وقد بنوا ذلك على أساس القياس على ما في عالم الشهادة .

منها : وجوب اللطف بالعباد على الله .

وهو فعل ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية من غير أن يضطره هذا الفعل إلى الطاعة ، فالمعتزلة يوجبون على الله بعثة الأنبياء قياساً على فعل المخلوقين ^(١) .

يقول القاضي عبد الجبار : « وصار الحال فيه كالحال في أحدنا إذا أراد من بعض أصدقائه أن يجيبه إلى طعام قد أتخذه وعلم من حاله أنه لا يجيبه إلى طعامه إلا إذا بعث إليه بعض أعزته من ولد أو غيره فإنه يجب عليه أن يعث حتى إذا لم يفعل عاد بالنقض على غرضه ، كذلك هاهنا » ^(٢) .

والحق في هذه المسألة أنه لا يجب على الله اللطف لأنه لا يصح أن يوجب أحد على الله تعالى شيئاً فلا يقاس فعله بفعل خلقه ، ولا شك أن الله لطيف بعباده ولكن ليس بالمعنى الذي يقصده المعتزلة فالله يرسل الرسل لهداية العباد ولكن ذلك بفضل منه ويحسن هنا أن أذكر الآراء في موقف العقل من حكم إرسال الله للرسل .

(١) انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله : ١١٣ .

(٢) شرح الأصول الخمسة : ٥٢١ .

فهذه المسألة تعتبر إحدى المسائل التي اختلفت فيها الأنعام
وتشعبت فيها الآراء وهذا تفصيلها :

أولاً : إرسال الرسل جائز عقلاً ولكن اقتضت حكمة الله
إرسالهم فصار ذلك واجباً أوجبه الله رحمة وتفضلاً لهذه الحكمة وهذا
مذهب أهل السنة وهو القول الوسط .

ثانياً : إن إرسالهم جائز عقلاً وهذا مذهب الأشعرية والفرق
بينهما أن السلف يثبتون الحكمة والأشاعرة ينفونها .

ثالثاً : أنه يجب على الله عقلاً أن يرسل الرسل وهذا قول
المعتزلة .

وقد استدل أهل السنة بما يأتي :

١- إن إرسال الرسل ليس بمحال في ذاته ولا يؤدي إلى محال ،
وكل ما كان كذلك فهو جائز .

٢- إن إرسال الرسل فيه رحمة بالعباد فأهل الأرض أحوج إلى
رسالتهم من غيث السماء ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم
حناس الظلماء ففي إرسالهم إليهم سدّ هذه الحاجة والله سبحانه
وتعالى كتب على نفسه الرحمة وراعى في أفعاله الحكمة تفضلاً منه
وإحساناً^(١) .

(١) انظر علم التوحيد للدكتور عبد العزيز الربيعة : ١٠٦-١٠٧ .

وأما الأشاعرة فيستدلون بما تقدم من أدلة أهل السنة ويقولون:
﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(١) ، ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْتَلُونَ﴾^(٢) .

وهذا مردود لأنه مبني على نفي الحكمة في أفعال الله سبحانه
والأدلة الصحيحة ، والعقل السليم والواقع المشاهد كلها تخالف ذلك .
وأما المعتزلة فيستدلون ويقولون : النظام المؤدى إلى صلاح
حال النوع الإنساني على وجه العموم في معاشه ومعاده لا يتم إلا
ببعثة الرسل ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى فهذا
الدليل يشتمل على مقدمتين :

الأولى منها مستقيمة لا اعتراض عليها فإن في بعثة الرسل
تكميلاً لجوانب كثيرة من جوانب النوع الإنساني .
وأما الثانية فقد أثبتت على قاعدة من الأمور التي يوجبونها
على الله وهي أنه يجب على الله فعل الأصلح لعباده .

فقالوا : يجب على الله تعالى اقتدار العبد وتمكينه ، وأن يفعل
معه أقصى ما يمكن في معلومه سبحانه مما يؤمن عنده المكلف ويطيع ،
وأنه سبحانه فعل مع كل أحد غاية مقدوره من الأصلح ، وليس في
مقدوره لطف لو فعله بالكفار لآمنوا جميعاً ، وإلا لكان تركه منه بخلاً
وسفهاً^(٣) .

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) الأنبياء : ٢٣ .

(٣) انظر علم التوحيد : ١٠٧-١٠٨ .

وهم يقررون هذه القاعدة إنما يعتمدون في ذلك على ما يشاهدونه مما يجري في محيطهم الدنيوي على خلق الله وعبيده .
 فقالوا : نحن نقطع بأن الحكيم لو أمر بطاعته وقدر على أن يعطي الأمور ما يصل به إلى الطاعة من غير تضرر بذلك ثم لم يفعل كان مذموماً عند العقلاء معدوداً في زمرة البخلاء .
 وكذلك من دعا عدوه إلى الموالاة والرجوع إلى الطاعة لا يجوز أن يعامله بالغلظة لأنه ينفر ولا يقبل ، وإنما يعامله بما هو أنجح في حصول المراد وأدعى إلى ترك العناد .
 وأيضاً فإن من اتخذ ضيافة الرجل واستدعى حضوره ، وعلم أنه لو تلقاه ببشر وطلاقة وجه دخل وأكل ، وإلا فلا ، فالواجب عليه أن يتلقاه بالبشر والطلاقة والملاطفة لا بأضدادها .
 فيقال لهؤلاء المعتزلة :

١- إن ما ذكرتموه إنما يكون من شأن حكيم محتاج إلى طاعة الأولياء أو رجوع الأعداء ، يتعزز بكثرة الأعوان والأنصار ، وتعظم لديه الأقدار ، لا في حكيم غنى كل الغنى عن مولاة الأولياء ، قادر كل القدرة على الانتقام من الأعداء ، لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معاداة من عاداه ^(١) .

٢- إنه يلزم على قياس قولكم وجوب الأصلح على الله عدم استحقاقه للشكر عليه لكونه مؤدياً للواجب عليه كمن يرد وديعة أودعها ، أو ديناً لزمه مع أنه سبحانه قد طلب من عباده أن يشكروه

(١) المصدر السابق : ١٠٨-١٠٩ .

على إحسانه إليهم في آيات كثيرة كما قال تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي
وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(١) .

وكما قال تعالى : ﴿ أَنْ أَشْكِرَ لِي وَلَوْلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾^(٢) .
٣- لو كان الأصلح واجباً على الله لكان الأصلح بحال الكافر
الفقير المبتلى بالآلام والأسقام أن لا يخلق أو يموت طفلاً ، أو يسلب
عنه عقله بعد البلوغ ولم يفعل شيئاً من ذلك بل خلقه وأبقاه حتى
فعل ما يوجب خلوده في النار .

ومن الأمور التي أوجبتها المعتزلة :

وجوب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية .

فعامة المعتزلة يرون أن الله يجب عليه أن ينفذ وعده وأن
المكلف ينال ما وعد به عن طريق الاستحقاق .

وفي الوعيد يرون أن الفاسق إذا مات عن كبيره لم يتب منها
فإنه يستحق الخلود في النار لأن الله توعدده بذلك ولا بد أن ينفذ
وعيده لكن عذابه يكون أخف من عذاب الكافر .

قال القاضي عبد الجبار : « وأما علوم الوعد : فهو أن الله
وعد المطيعين بالثواب ... وأنه يفعل ما وعد به لا محالة لا يجوز عليه
الخلف والكذب »^(٣) .

(١) البقرة : ١٥٢ .

(٢) لقمان : ١٤ .

(٣) شرح الأصول الخمسة : ١٣٦ .

ويقول الشهرستاني : حاكياً رأى المعتزلة في الوعيد :
« واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا عن غير توبة عن
كبيرة ارتكبها يستحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من
عقاب الكافر »^(١) .

ومما يعتمد عليه هؤلاء قياس فاسد مفاده أن إثابة المطيع واجبة
على الله لأنه حق للعبد في مقابلة عمله كما يكون بين المخلوقين
بعضهم مع بعض .

ووجوب العقاب على المعصية كذلك لأنه يؤدي ترك عقابه إلى
التسوية بين المطيع والعاصي ولا يخفى قبح هذا كما يستقبح الناس أن
يسوى السيد بين عبده المطيع وعبده العاصي^(٢) .

ويقال للرد على المعتزلة :

ليس اختلاف الوعيد قبيحاً ممن هو قادر على إيقاع ما توعد به
بل يعد جوداً وفضلاً .

وإنما القبيح الذي نزه الله نفسه عنه هو خلف الوعد ولذا لا
يجوز عليه تعالى خلف الوعد ، والفرق بينهما :

أن الوعيد حقه فأخلافه عفو وهبة وإسقاط لذلك الحق الذي
له وذلك موجب كرمه وجوده .

أما ما أوجب على نفسه بمقتضى وعده فالله لا يخلفه وإذا كان
المخلوق يقبح في حقه خلف الوعد فالله أولى بالتنزه عنه .

(١) الملل والنحل : ٤٥/١ .

(٢) انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله : ١١٩ - ١٢٠ .

ويستأنس لذلك بقول الشاعر في معرض التمدح :

وإني إن أو وعدته أو عدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي^(١)
والله عز وجل قد وعد عباده بالإثابة وأوجب ذلك على نفسه
لم يوجه غيره عليه تفضلاً منه على عباده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وأهل السنة متفقون
على أنه سبحانه خالق كل شيء ومليكه وأن ما شاء كان وما لم يشأ
لم يكن ، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً كما يكون للمخلوق على
المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو
المرسل إليهم الرسل وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح ، ومن توهم
من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما
يستحقه الأجير على من استأجره فهو جاهل في ذلك^(٢) .

وختلاصة القول :

إن اختلاف الوعيد لا يذم بل يمدح والله تعالى يجوز عليه
ذلك ولا يجوز عليه خلف الوعد والفرق بينهما : أن الوعيد حق
فإخلافه عفو وهبة وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه والوعيد حق
عليه أوجه على نفسه والله لا يخلف الميعاد .

والوعيد الذي يجوز إخلافه هو وعيد العصاة أما الوعيد الذي
توعد الله به الكافرين والمشركين فسينالونه حتماً وسيدخلهم الله في

(١) مدارج السالكين : ٣٩٦/١ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم : ٧٧٦-٧٧٧ .

النار خالدين فيها أبداً كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ
قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ (١) ،
وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ ﴾ (٢) .

(١) قى : ٢٨-٢٩ .

(٢) النساء : ٤٨ .

المطلب الرابع : أثر القياس الفاسد على الصوفية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد على الصوفية

الصوفية الاتحادية والصوفية القبورية واقعون في قياس فاسد فما

هو هذا القياس ؟

والجواب : أما الصوفية الاتحادية فيحتجون في جملة ما يذهبون

إليه على مذهبهم الفاسد وهو اتحاد الخلق بالخالق وإنه تعالى عين هذه

الموجودات بقياس فاسد ويذكرون لذلك مثلاً :

بالثلج : فالثلج مكون من عنصرين الثلجية والمائية فالعالم مثل

الثلج والحق سبحانه كالماء الذي هو أصل الثلج فإذا ما ذاب الثلج تبين

أن حقيقته ماءً وهذا الماء هو الخالق سبحانه فالخالق متحد بخلقه وسار

فيهم سريان الماء في الثلج تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

قال أحدهم : وهو الجيلي :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذي هو نابع

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع^(١)

ومن الأمثلة التي يذكرونها لبيان مذهبهم :

البحر : فيقول أحدهم وهو التلمساني إن العالم مثل الموج

والباري عز وجل كالبحر والموج ليس البحر^(٢) .

(١) الإنسان الكامل للجيلي : ٣٣/١ .

(٢) انظر الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشركاني : ١٤٦-

١٤٨ ، ومجموعة الرسائل والمسائل ١٨٤/١ .

وقال في ذلك شعراً :

فما البحر إلا الموج لاشيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

ومثاله :

البحر لاشك عندي في توحيده وإن تعدد الأمواج والزبد

فلا يفرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد^(١)

وهذا ابن الفارض يقيس ما يذهب إليه من الاتحاد والحلول على حالة الإنسان عندما ينظر في مرآة صقيلة فإنه لا يرى إلا نفسه ، وكذلك الصدى الذي يسمعه الإنسان الذي يرفع صوته عالياً في الوديان وبين الجبال والقصور ليس هو إلا صوتك فكذلك كل ما تراه وتسمعه في هذا الكون فهو أنت وأنت هو .

قال :

وشاهد إذا استحليت نفسك ما ترى بغير مرآة في المرائي الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس الأشعة

واصغ لرجع الصوت عند انقطاعه إليك بأكتاف القصور المشيدة

أهل كان من نا جاك ثم سواك أم سمعت خطاباً عن صدك المصوت^(٢)

وهذا آخر يقيس ما يذهب إليه من وحدة الوجود بظل الإنسان

فيقول :

وما أنا في طراز الكون شيء لأنني مثل ظل مستحيل^(٣) .

(١) الإلهادية عقيدة ابن عربي والاتحادية لمصطفى بن محمد بن سلامة : ٣٥ .

(٢) مصرع التصوف لرهان الدين البقاعي : ١١٤-١١٥ .

(٣) الإلهادية عقيدة ابن عربي والاتحادية : ٤٢ .

وسياتي إن شاء الله تعالى مقتطفات من كلام شيخ الإسلام في الرد على ما تضمنته أبيات ابن الفارض وصاحبه هذا .
وأما الصوفية القبورية :

فقياسهم الحياة البرزخية على الحياة الدنيوية فهو من جملة ما يعتمدون عليه في القول بحياة الأنبياء في قبورهم ، وظنوا أن إثبات القدر المشترك يستلزم طرد التشابه من جميع الوجوه .

ومما استدلوا به على حياة الأنبياء في قبورهم قياس حياتهم على حياة الشهداء بطريق الأولى كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(١) .

وأهل الحق لا ينازعون في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم حياة برزخية ، وإنما النزاع في قياس الحياة البرزخية على الحياة الدنيوية .

فحياتهم البرزخية ثابتة بالأحاديث الصحيحة لكن ليس في هذا ما يدل على أن حياتهم البرزخية مساوية لحياتهم الدنيوية من كل وجه حتى يقال بثبوت سائر الإدراكات لهم من السمع والبصر ، والعلم ونحو ذلك .

وقد كان لهذا القياس أثر في الانحراف في العقيدة .
من ذلك ترويج الشرك فاستحسنوا دعاء الموتى وطلب إغاثتهم وتفريج كرباتهم وتيسير معاملتهم إلى غير ذلك .

(١) آل عمران : ١٦٩ .

ومن ذلك أيضاً القول برؤية النبي ﷺ في اليقظة وما ترتب على ذلك
من أمور شنيعة ، فالله المستعان .

المطلب الثاني : الرد على قبايسهم الفاسد

إن من رزقه الله فطرة سليمة يدرك بدهاة قبح ما ذهب إليه القائلون بوحدة الوجود وبعده عن الإسلام لكن لا بأس بذكر بعض الوجوه في الرد على هؤلاء الملاحدة حتى يتبين لهم أنهم في ضلال مسين .

الوجه الأول :

إن أول سورة في القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة تدحض هذا المذهب الخبيث فقد اشتملت على أدلة كثيرة مبطللة لهذه المقالة فقد أثبت الله فيها حامداً ومحموداً ، ورباً ومربوباً ، وراحماً ومرحوماً ، ومالكاً ومملوكاً ، وعابداً ومعبوداً ، ومستعيناً ومستعاناً به ، وهادياً ومهدياً ، ومنعماً ومنعماً عليه ، وغاضباً ومغضوباً عليه بخلاف ما عليه القوم .

قال ابن القيم رحمه الله : « فليس عند القوم رب وعبد ولا مالك ومملوك ولا راحم ومرحوم ولا عابد ومعبود ولا مستعين ومستعان به ولا هادي ولا مهدي ولا منعم ولا منعم عليه ولا غضبان ولا مغضوب عليه بل الرب هو نفس العبد وحقيقته والمالك هو عين المملوك ، والراحم هو عين المرحوم ، والعابد هو نفس المعبود وإنما التغاير أمر اعتباري بحسب مظاهر الذات وتجلياتها فتظهر تارة في صورة معبود كما ظهرت في صورة فرعون وفي صورة عبد كما

ظهرت في صورة العبيد ، وفي صورة هاد كما في صورة الأنبياء
والرسل والعلماء والكل من عين واحدة بل هو العين الواحدة»^(١) .
ولو أراد الإنسان أن يستقص الأدلة من القرآن الكريم في
إبطال هذا المذهب فإنه يطول لأن القرآن كله يرد على هؤلاء .

الوجه الثاني :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على ابن
الفارض:

فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه في المرآة ، فالمرآة خارجة عن
نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه في غيره ، والكون عندهم ليس فيه
غير ولا سوى^(٢) .

ويقول في الرد على صاحبه :

(وهذا) يناقض الوحدة لأن الظل مغاير لصاحب الظل فإذا
شبه المخلوق بالظل لزم إثبات اثنين ، كما إذا شبهه بالشعاع فإن
شعاع الشمس ليس هو قرص الشمس وكذلك إذا شبهه بضوء
السراج^(٣) .

وقال في معرض الرد على أحد النصارى الذين يقيسون الحلول
والاتحاد على هذا ويشبهونه به :

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية : ١٦٢/١ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل : ١٠٠/١ .

(٣) المصنوع نفسه : ١١٩/١ - ١٢٠ .

إذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار ،
والخالق بالنار والشمس ، فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره ، فإن كل
ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فما الفرق بين
المسيح وبين إبراهيم وموسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين سائر المخلوق
على هذا ؟

وجعلت أردد عليه هذا الكلام ... حتى فهمه فهماً جيداً وتبين
له ... أن قولهم باطل لا حقيقة له ، وأن ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في
حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره ، وعلى التقديرين
فتخصيص المسيح بذلك باطل^(١) .

الوجه الثالث :

إن قياسكم وحدة الوجود على الثلج أو موج البحر قياس فاسد
إذ هو قياس مع الفارق .

فإن أجزاء هذه الأشياء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف
سائر الموجودات في هذا الكون فإن كل موجود مستقل عن الآخر
فإذا كان الإنسان مثلاً منفصلاً عن الإنسان الآخر فلا يقول عاقل
يدرك ما يقول أن بينهما اتحاداً ذاتياً ، وكذلك الإنسان منفصل عن
سائر المخلوقات .

فإذا كان هذا الاتحاد الذاتي ممتنعاً بين المخلوق والمخلوق فهو
بين الخالق والمخلوق ممتنع من باب أولى .

(١) المصدر السابق : ١٢٠/١ .

الوجه الرابع :

اللوازم الفاسدة التي تلزم قوهم :

- ١- يلزم منه أن لا يكون الله رب العالمين ولا مالك الملك لأنه لا يكون رب نفسه ولا يكون مالكاً مملوكاً إذ ليس هناك أحد سواه .
- ٢- كما يلزم منه أنه لم يرزق أحداً شيئاً ولا هدى أحداً ولا علم أحداً علماً فلم يصل إلى أحد منه خير ولا شر ، إذ هو الرازق المرزوق والهادي المهدي ، والعالم المعلم ، إذ ليس في الوجود سواه^(١) .
- ٣- كما يلزم منه تصحيح دعوى من ادعى الألوهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر ، وتصويب عبدة الأوثان وتخطئة الأنبياء في الإنكار عليهم^(٢) .
- ٤- ويلزم منه أن الله هو الذي يصوم ويقوم ويركع ويسجد ويموت وتصيبه الأمراض وتتسلط عليه الأعداء فهو الموصوف بكل نقص وعيب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .
- ٥- إن في هذا القول إنكاراً لأن يكون الله خلق شيئاً من هذه المخلوقات لأنها ليست سواه .

(١) انظر المصدر السابق : ١٢٧/١ .

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ١٨١/١ ، والصورم الحداد للشوكتاني : ١١٠ ، هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الركييل : ٩٦ .

(٣) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ١٢٧/١ ، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً لصديق سليم صادق : ٥٩٥-٥٩٦ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما تم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه الأنفس المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائة العقول وذلك من أظهر الكفر عند جميع الملل »^(١) .

٦- أنه لو كان الوجود وحدة واحدة وأن الخالق عين المخلوق لما كان لأوامر الشريعة ونواهيها معنى إذ الأمر هو المأمور وهو الأمر الذي أمر به وهذا لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل^(٢) .

٧- أنه يلزم من هذا القول أن تكون الكلاب والحمير والخنزير آلهة تعبد إذ ليس في الوجود أحد سوى الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .

٨- ولأن اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فإن العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل وصفات الرب تعالى لازمة للقدم والغنى والعزة^(٤) .

٩- لقد نتج عن اعتقادهم في وحدة الوجود نتائج خطيرة

منها:

١- التسوية بين الأديان والمؤمنين والكافرين :

(١) المصدر نفسه : ١٣٣/٢ .

(٢) انظر الله ذاتاً وموضوعاً لعبد الكريم الخطيب : ٢١٩ .

(٣) انظر المصدر نفسه : ٢٠٥ .

(٤) انظر مجموعة الرسائل والمسائل : ١٢٧/١ .

فالأديان كلها واحدة سماوية كانت أو وثنية وأن الكل مهتدون
سائرون على صراط مستقيم وبهذه النتيجة لا يعرفون معروفاً ولا
ينكرون منكراً ويظهر هذا في قول زعيم وحدة الوجود ابن عربي في
قوله في تفسير قوله تعالى :

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١)

« فكل ما شئ فعلى صراط الرب المستقيم فهو غير مغضوب
عليهم من هذا الوجه ولا ضالون »^(٢) .

ومن شعره :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن^(٣) .
ويقول الحلاج :
« الكفر والإيمان يفرقان من حيث الاسم فأما من حيث
الحقيقة فلا فرق بينهما »^(٤) .

(١) هود : ٥٦ .

(٢) الفصوص : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٣٥٢/١٤ .

٢- وقد نتج أيضاً عن قولهم بوحدة الأديان مولاة الكفار وعدم جهادهم وهذا خلاف ما أرشد إليه القرآن من وجوب موالاته المؤمنين ومعادات الكافرين والبراءة من الشرك والمشركين .

كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ^(٢)

(١) المتحنة : ٤ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

وأما الرد على الصوفية القبورية ومن واقفهم :

فيقال لهم :

١- إن وصف الأنبياء بالحياة البرزخية في بعض الأحيان لا رفع عنهم وصف الموت كما أن وصف الحي بالموت أحياناً لا يرفع عنه اسم الحياة كالنائم .

قال ابن رجب رحمه الله :

« فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا ،
وكالحياة الآخرة بعد البعث وإنما فيها نوع اتصال الروح في البدن
بميت يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما
وليس هو حياة تامة حتى يكون انفصال الروح به موتاً تاماً وإنما هو
شبه بانفصال روح النائم عنه ورجوعها إليه فإن ذلك يسمى موتاً
وحياة كما كان يقول : رسول الله ﷺ إذا استيقظ : (الحمد لله
الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) (١) .

وسماه الله وفاة ... ومع هذا فلا ينافي ذلك أن يكون النائم حياً
وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها عنه لا توجب أن يصير
حياً حياة مطلقة» (٢) .

(١) أخرجه البخاري : انظر مع الشرح فتح الباري : ٧٠/٥ .

(٢) أهوال القبور : ١٨٠ .

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله :

« وليعلم أن رد الروح للبدن وعودها إلى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تنزيل عن الميت اسم الموت »^(١) .

٢- إن القول برؤية النبي ﷺ يقظة يلزم منه :

« أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها ، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين ، وأن يحيي الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ، ويلزم من ذلك أن يخلوا قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل »^(٢) .

٣- إن القول برؤية النبي يقظة وما نتج عنه من لوازم فاسدة هو أيضاً مخالف لما جاء في الأحاديث التالية منها :

١- قوله ﷺ : « إن الله حرم على الأرض أن تآكل أجساد

الأنبياء »^(٣) .

(١) الصارم التنكي في الرد على السيكي : ٢١٣ .

(٢) فتح الباري : ٣٨٤/١٢ .

(٣) رواه أبو داود ١٠٤٧ ، وابن ماجه : ٣٤٥/١ وصححه الألباني .

فهذا الحديث يدل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يفارقون قبورهم .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

« ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب »^(١) .

ومنها : إخباره ﷺ بأنه « أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة »^(٢) .

فلو كان الأنبياء يخرجون من قبورهم لكان معنى هذا أنها تنشق عنهم الأرض قبل يوم القيامة وهذا خلاف الحديث مع لوازم أخرى ذكرها ابن القيم فقال في معرض الرد على من يظن أن في رؤية النبي ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج ، ما يدل على رؤيتهم خارج قبورهم « وأما إخبار النبي ﷺ عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم ، ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا : هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم ، والأجساد في الأرض قطعاً إنما تبعث يوم بعث الأجساد ولم تبعث قبل ذلك إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة ، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور ، وهذه موتة ثالثة ،

(١) الروح : ٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري ٧٠/٥ .

وهذا باطل قطعاً ، ولو كانت بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم الله إليها ، بل كانت في الجنة» (١) .

٤- وأما الجواب عن الحديث الذي يستدلون به وهو قوله ﷺ:

« من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » (٢) .

فهذا ليس نصاً صريحاً في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وإنما

المراد به :

١- أنه يراه يقظة في الآخرة .

٢- أو أن المراد به من آمن به في حياته .

فعلى الأول ففيه بشارة لرائيه بأنه يموت على الإسلام وذلك أنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه الا من تحقق موته على الإسلام حقق الله لنا ولأحبائنا وللمسلمين المتبعين ذلك بمنه وكرمه .

والثاني : فيه بشارة لكل من آمن به ولم يره أن يوفقه الله للهجرة إلى رسول الله ﷺ والتشرف بلقائه ويكون الله قد جعل رؤيته في المنام علماً على رؤياه في اليقظة (٣) .

(١) الروح : ٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٨٣/١٢ ،

ومسلم : ١٧٧٥/٤ .

(٣) انظر فتح الباري ٣٨٥/١٢ ، الصواعق المرسله الشهائية : ٩٩ - ١٠٠ ،

ومشتمى الخارف الجاني : ٥٤-٥٥ .

٥- وأما الجواب عن استدلالهم بقياس رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته على رؤيته ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج يقظة في الدنيا فهو قياس فاسد من وجوه :

أولاً : إنه قياس مع الفارق فإن الذي أخبرنا بأنه اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء هو الصادق المصدوق ﷺ أما من جاءنا بخبر وقوع رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته فهم مجموعة من أهل التصوف ليس لهم أي دليل .

ثانياً : إن الإسراء والمعراج كان معجزة للنبي ﷺ لا يقاس عليه غيره .

ثالثاً : إن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا أمر من أمور الاعتقاد لا يجوز فيها القياس لأنها توفيقية .

٦- وأما قياس اجتماعهم بالنبي ﷺ بعد موته يقظة على اجتماع روح الحي بروح الميت في النوم وأن الذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة بجامع القدرة على ذلك فهذا قياس فاسد لأن الرؤية في النوم قد جاءت بذكرها الأحاديث الصحيحة بخلاف رؤية اليقظة فقد دل الشرع والعقل على خلافها فلا يصح قياس ما دل الدليل على منعه على ما دل الدليل على إثباته .

وأما كون القدرة سالحة لذلك فلا شك أن الله على كل شيء قدير وأن الذين ينكرون رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا هم من

أعلم الناس بقدرة الله ، وإنما بنوا ذلك على أساس أن المسألة من
المسائل الاعتقادية التي تحتاج إلى دليل^(١) .

(١) انظر التيجانية لعلي بن محمد الدخيل الله : ١٣٣-١٣٥

الباب الثاني : القياس الفاهم وأثره
في مبحث الإحماء والصفات

وفيه تمهيد وفصلان :

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد في مبحث
الأسماء والصفات إجمالاً .

الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد في
مبحث الأسماء والصفات تفصيلاً .

التمهيد ويختتم على ما يلي :

١ - معنى القياس في اللغة والإصلاح

٢ - ذكر الأقيسة المستعملة وبيان ما يجوز استعماله منها في حق

الرب تبارك وتعالى ومالا يجوز .

التمهيد :

قبل الحديث عن القياس الفاسد في مبحث الأسماء والصفات يحسن أن يكون الكلام هنا عن القياس من وجهين :

أولاً : بيان معنى القياس في اللغة والاصطلاح .

ثانياً : ذكر الأقيسة المستعملة وبيان ما يجوز استعماله منها في حق

الرب تبارك وتعالى وما لا يجوز ، وقد تقدم التعريف بالقياس الفاسد من وجه عام ليشمل جميع مباحث الرسالة .

فأقول وبالله التوفيق :

القياس في اللغة : التقدير والتسوية .

قال في اللسان : « قاس الشيء يقيسه قياساً وقياساً واقتاسه وقيسه

إذا قدره على مثاله »^(١) .

وكما يطلق القياس على التقدير يطلق على المساواة لأن تقدير

الشيء بما يمثله تسوية بينهما .

قال الأمدى : « القياس في اللغة التقدير ، ومنه يقال : قست

الأرض بالقصة ، وقست الثوب بالذراع أي قدرته بذلك وهو استدعي

أمرين يضاف أحدهما إلى الآخر بالمساواة ، فهو نسبة وإضافة بين شيئين

وهذا يقال : فلان يقاس بفلان أولاً يقاس به ، أي يساويه أولاً

يساويه »^(٢) .

(١) تهذيب لسان العرب : ٤٣٣/٢ .

(٢) الأحكام : ٣/٢ .

وهذا المعنى اللغوي للقياس ملحوظ في المعنى الاصطلاحي للقياس وهو « حمل فرع على أصل في حكم يجمع بينهما »^(١) .

فإذا رجعنا إلى هذا التعريف وجدناه يشتمل على فرع يلحق بالأصل وعلى المشابهة بين الملحق والملحق به وهي العلة التي لا يتم القياس إلا بها وهذا غير جائز في حق الله تبارك وتعالى ، لأنه تعالى منزّه أن يكون أصلاً في حكم يلحق به غيره كما ينزه أن يكون فرعاً لغيره يشترك معه في العلة إذ ليس كمثله شيء .

ورحم الله الحافظ ابن منده حيث ذكر فصلاً في كتابه التوحيد فقال فيه : « ذكر ما مدح الله عز وجل نفسه من الوجدانية ، وانتفائه من المثل والتقدير واستدراك صفاته عز وجل بالمعقول »^(٢) .

وساق ابن منده تحت هذا الفصل قول الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٤) .

ومن الأثر قوله ﷺ : (لا يزال الناس يستفتون حتى يقول أحدهم

هذا الله خلق الخلق فمن خلقه)^(٥) .

فالمشابهة بين الخالق والمخلوق لا تنقدح إلا في ذهن من لم يقدر

الله حق قدره كما في آية الزمر التي استشهد بها ابن منده ، وهي قوله

(١) مذكرة في أصول الفقه للأمين الشنقيطي : ٢٩١ .

(٢) كتاب التوحيد : ١٦/٣ .

(٣) الشورى : ١١ .

(٤) الزمر : ٦٧ .

(٥) رواه البخاري : انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٣٦/٦ ، ومسلم : ١١٩/١ .

تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ فأين المشابهة بين من يقبض الأرض
ويطوي السماوات بيمينه وبين العاجز المسكين ، إذا فليس للعقل مجال في
إدراك كيفية صفات الخالق جلا وعلا الذي ليس كمثله شيء لأن مدار
إدراك العقول هي للأمور التي تتماثل فيقاس هذا على ذاك لأن بينهما
علاقة تربط أحدهما بالآخر .

والحديث الذي أورده ابن منده فيه نهى عن لقياس الفاسد إذ
مقتضى الحديث هذا الله خلق ، أي أن هذه المخلوقات المشاهدة أماننا
خلقها الله لأننا نشاهد ذلك يتحدد أماننا كل وقت بوجود أبنائنا وما
نشاهده من خلق الحيوانات وغيرها .

وقوله فمن خلقه ؟ فهذا قياس بالعقل للخالق سبحانه على المخلوق
وهذا محل الشاهد ، فالعقل قاصر لم يعرف إلا هذا العالم المخلوق المشاهد
فأراد أن يقيس الخالق عليه .^(١)

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام قيم حول الأقيسة يقول
فيه :

« والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه فإن الله
لا مثيل له بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس
تمثيل ولا في قياس شمول تستوى أفراده ولكن يستعمل في حقه المثل
الأعلى »^(٢) .

(١) انظر حاشية كتاب التوحيد لابن منده : ١٧ / ٣ - ١٨ .

(٢) التدمرية : ٥٠ ، وانظر بيان تلبس لجهمة : ١ / ٣٢٧ .

ففي كلام شيخ الإسلام بيان للأقيسة المستعملة وبيان ما يجوز منها في حق الله تبارك وتعالى ومالا يجوز وإليك بيانها .

أولاً : الجائز منها :

فأما الجائز من هذه الأقيسة فهو قياس الأولى : وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به من المخلوق ، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق فإنما استفادته من خالقه فهو أحق به منه وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه ^(١) .

ومما يدل على صحة استعماله :

أن هذا القياس هو الذي جاء التعبير عنه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣)

وقد جاء في تفسير المثل الأعلى أقوال منها :

١- أن المثل الأعلى هو كلمة الإخلاص لا إله إلا الله .

٢- أنه الإخلاص والتوحيد .

(١) انظر بيان تلبس الجهمية : ٣٢٧/١ ، وانظر التحفة المهديّة : ١٣٠ ، وشرح العقيدة

الواسطية للهراس : ٧٤٠ ، وشرح الطحاوية : ٨٨/١ .

(٢) النحل : ٦٠ .

(٣) الروم : ٢٧ .

٣- ما ضرب به الله لنفسه من الأمثال كقوله تعالى : ﴿ اِنَّ لِلّٰهِ نُورًا

السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ ﴾^(١) .

٤- انه هو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله إلا الله .

٥- أنه الصفة العليا والمثل كثيراً ما يرد بمعنى الصفة^(٢) .

وهذا القول الأخير يشمل الأقوال كلها :

قال شارح الطحاوية : ووفق بين أقوالهم بعض من وفقه الله وهداه فقال : « المثل الأعلى يتضمن : الصفة العليا ، وعلم العالمين بها ، ووجودها العلمي ، والخير عنها وذكرها ، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكره »^(٣) .

وقد اعتبر ابن القيم رحمه الله هذه الأقوال بمثابة المراتب للصفة العليا فكل قول من الأقوال السابقة هو تعبير عن مرتبة من مراتب المثل الأعلى وهي :

« أولاً : ثبوت الصفات العليا لله سبحانه في نفس الأمر ، علمها العباد أو جهلوها وهذا قول من فسرها بالصفة .

ثانياً : وجودها في العلم والتصور ، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف أنه ما في قلوب عابديه وذاكره من معرفته وذكره ومحبه وإجلاله وتعظيمه ، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه بل يختص به في قلوبهم كما اختص به في ذاته وهذا معنى قول

(١) النور : ٣٥ .

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسله : ١٦١/١ .

(٣) مختصر الصواعق المرسله : ١٦١/١ ، وشرح الطحاوية : ١٢٠/١ .

من قال من المفسرين ، أهل السماء يحبونه ويعظمونه وأهل الأرض يجلونه ويعظمونه وإن أشرك به من أشرك وعصاه من عصاه ووجد صفاته من جردها فكل أهل الأرض معظّمون له مجنون له خاضعون لعظمته قال تعالى : ﴿ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَسِيْبُونَ ﴾ (١) .

ثالثاً : ذكر صفاته والخير عنها وتنزيهاها عن النقائص والعيوب والمثيل .

رابعاً : محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه « (٢) .

ويتخرج على هذا الأصل عدة أمور :

أولاً : إثبات صفات الكمال فكما أن السمع والبصر والمحبة وغيرها من الصفات تعتبر كمالاً في المخلوق المربوب فالرب أولى بالاتصاف بها مع الفرق بين النسبتين نسبتها للخالق ونسبتها للمخلوق .

ثانياً : أنه كما يدخل في معنى القياس الأولى إثبات صفات الكمال فكذلك يدخل فيه نفي صفات النقص والعيوب .

ثالثاً : أنه يشترط في الكمال الثابت بقياس الأولى ما يأتي :

- ١- كونه كمالاً وجودياً إذ لا كمال في العدم المحض .
- ٢- أن يكون لا نقص فيه بوجه من الوجوه فإن كان فيه نقص لم ينسب إلى رب العالمين كالنوم والأكل فإنه كمال في الإنسان لكنه لا ينسب إلى الله لما يستلزمه من عدم كمال الحياة .

(١) الروم : ٢٦ .

(٢) مختصر الصواعق : ١٦١/١ .

رابعاً: إن الأمور السلبية المستلزمة لأمر وجودية داخلية في مسمى
المثل الأعلى كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ
وَلَا نَوْمٌ﴾^(١).

خامساً: يرد بهذا الأصل على نفاة الصفات أو بعضها فإن ما نفوه
من الصفات كمال في المخلوق لا نقص فيه البتة وسلب الخالق سبحانه
وتعالى من كمال هو معطيه من أعظم الظلم^(٢).

ثانياً: وأما غير الجائز منها فقسمان:

١- قياس التمثيل، ٢- وقياس الشمول.

فقياس التمثيل هو القياس الأصولي: وهو إلحاق الفرع بالأصل في
الحكم بجامع الوصف المشترك بينهما.

فمثاله في قول النفاة: لو كان الله متصفاً بالصفات لكان جسماً
قياساً على المخلوق فقد قاسوا الخالق على المخلوق وحكموا بالمماثلة
لاشتراك الخالق والمخلوق في أن كلا منهما متصف بالصفات.

وأما القياس الشمولي، فهو قياس أهل المنطق وهو ما كان مركباً
من مقدمتين فأكثر مستعملاً فيه لفظة كل الدالة على الشمول.

ومثاله في كلام نفاة الصفات قولهم: المخلوق متصف بالصفات
وكل متصف بالصفات فهو جسم فنفوا صفات الله لئلا يدخل في هذا
العموم فيكون مثيلاً للمخلوق، فهؤلاء النفاة أشركوا الخالق مع المخلوق

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) انظر القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف لد. د. إبراهيم بن محمد

لبريكان: ٢٩٣-٢٩٤.

واستعملوا في حقه قياس التمثيل الذي يستوي فرعه بأصله بجامع العلة
المشتركة بينهما .

واستعملوا في حقه قياس الشمول الذي تستوي أفراده وتدرج
تحت فضية كلية^(١) .

« فقياس التمثيل يراد به جعل الله أصلاً تقاس عليه المخلوقات أو
المخلوق أصلاً يقاس عليه الخالق ... ولا معنى لهذا القياس من الجهتين إلا
مساواة الذاتين للأخرى وهذا ما يدل على فساد هذا النوع من
القياس وحرمة استعماله في حق الله عز وجل .

وقياس الشمول يراد به دخول الخالق والمخلوق تحت أصل كلي
يستلزم المساواة بينهما بحيث يكون كل منهما جزئياً لهذا الأصل فهذا
القياس مبناه على تساوي الجزئين في نسبتها إلى الكلي مما يستلزم كل من
الذاتين بالأخرى .

فنعلم بذلك فساد هذين القياسين إذ كان مرجعهما إلى التمثيل
المنفي عن رب العالمين بقوله جل شأنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾^(٢)

إذ كل ما استلزم مساواة الخالق بغيره من المربوبات فهو التشبيه
المذموم^(٣) .

(١) التحفة المهدية : ١٣٠/١٣١ .

(٢) الشورى : ١١ .

(٣) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف : ٢٩٠ .

إذا فماذا يعني عندما نسمع أو نقرأ مثل هذه العبارة : « ولا يقاس
بخلقه ؟ » يعني القياس المقتضى للمساواة بين الخالق والمخلوق وهو قياس
التمثيل وقياس الشمول إذ يمتنع القياس بين الله وبين الخلق للتباين بينهما .
فإذا كان في الأحكام لا يقاس الواجب على الجائز أو الجائز على
الواجب فالقياس في الصفات بين الخالق والمخلوق من باب أولى .
فلو قال قائل الله موجود والإنسان موجود ووجود الله كوجود
الإنسان قياساً فيقال له هذا لا يصح لأن وجود الخالق واجب ووجود
الإنسان ممكن .

وهكذا لو قاس سمع الخالق على سمع المخلوق فسمع الخالق واجب
لا يعزبه نقص وهو شامل لكل شيء ، وسمع الإنسان ممكن إذ يجوز أن
يولد الإنسان أصم ولو ولد سمياً أن يلحقه نقص ، وسمعه محدود وهكذا
يقال في سائر الصفات ^(١) .

ولكن مما يثير العجب ما صنعه المخالفون لمنهج القرآن والسنة
وسلف الأمة حيث اعتمدوا على آرائهم وعقولهم وحكموها في النصوص
دون ما تفريق بين ما يمكن أن يكون للرأي فيه مجال كأدلة الأحكام وبين
مالا يمكن أن تدركه الآراء والعقول ، وهو الصفات والقدر وسائر
الغيبات فقاموا الغيبات التي لا تدركها العقول بالمحسوسات التي تناولها
الحواس فأهل الكلام حينما عطلوا الصفات أو أولوها إنما أتوا من باب
القياس ، فقاموا صفات الله بصفات المخلوقين ، ثم زعموا أن ذلك -
أي التشبيه - ظاهر النصوص فلجأوا للتأويل والتعطيل ^(٢) .

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١٣٠/١ - ١٣١ .

(٢) انظر الأهواء والفرق والبدع لناصر بن عبد الكريم العقل : ١٣٨/٢ .

ومما ينبغي أن يعلم أن قياس الغائب على الشاهد على نوعين :
قياس فاسد : كما تقدم .

وقياس صحيح : وهو أن العقلاء متفقون على أن من الأمور
الغائبة عن الحس ما يعلم بالقياس والاعتبار على ما يشاهد ومن ذلك
قياس ما في الآخرة على ما في الدنيا لأن ذلك ادعى للفهم وأسهل في
التصور وبالله تعالى التوفيق^(١) .

(١) انظر بيان تلبس الجهمية : ٣١٧/١ .

الفصل الأول : أثر القياس الفاسد في مبحث الأسماء
والصفات الجمالية

وفيه خمسة مباحث :

- المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المشبهة .
- المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على الجسمية .
- المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المعتزلة .
- المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الأسماء .
- المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المفوضة .

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على النتيجة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

قد يقول قائل ويسأل سائل ، وهل المشبهة واقعون في قياس فاسد ؟ والجواب : نعم .

فإذا تأمل الناظر في شبهتهم وجد عندهم قياساً فاسداً ، فهم يقولون : أن الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل ، ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهداً فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد^(١) .

فالإيمان بالغيب عند المشبهة هنا لا يكون إلا بقياس الغائب على الشاهد وسيبين لنا إن شاء الله تعالى بطلان هذا القول .

ويحسن هنا أن نذكر التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس .
وأنه على نوعين :

أحدهما : تشبيه المخلوق بالخالق .

ومعناها : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق ، والصفات .

فالأول : كفعل من أشرك في الربوبية .

والثاني : كفعل من أشرك في الألوهية .

والثالث : كفعل الغلاة المتجاوزين الحد في المدح .

الثاني : تشبيه الخالق بالمخلوق ، ومعناه : أن يثبت لله تعالى في

ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك :

(١) تقريب التدمرية : ٢٣ .

قول القائل : إن يد الله مثل أيدي المخلوقين ، والكلام هنا هو
عن هذا النوع من التشبيه ^(١) .

ويحسن أيضاً أن أذكر أصناف المشبهة الذين شبهوا الخالق بالمخلوق
وهما صنفان :

الأول : من شبه ذات الرب عز وجل بذات المخلوق كالشيعة
الإمامية من الرافضة .

الثاني : من شبه صفات رب العالمين بصفات غيره من
المخلوقين ^(٢) .

وعلى هذا تكون عقيدة المشبهة على قسمين :
أولاً : أن ما ذكر من الصفات في الكتاب والسنة ظاهرة التشبيه
وهذا قول من اعتقد التشبيه في الصفات فنفاها من أجل ذلك .

ثانياً : أن ذاته المقدسة كالمخلوقين في كل خصائصها أو بعضها
وهو قول المشبهة في الذات ^(٣) .

(١) انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن فتاوى ابن عثيمين : ٢٢/٤-٢٣ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق : ١٧٠ .

(٣) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف : ٤٤ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

وللرد على الشبهة نقول لهؤلاء المشبهة :
أولاً : إن الذي خاطبكم بما تعقلونه وبما تفهمون هو الذي
خاطبكم بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَصْرُوهَا اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) .
وأمثال هذه الآيات كثير وكلها تفيد نفي المماثلة والمشابهة بين
الخالق والمخلوق .

ثانياً : أن يقال للمشبه لقد عطلت من ثلاثة أوجه :
الأول : إنك عطلت نفس النص الذي يثبت الصفة حيث جعلته
دالاً على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه وإنما يدل على نفي مماثلة الله
وإثبات صفة تليق بالله .

ثانياً : أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقته كآيات
السابقة .

الثالث : إنك عطلت الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثلته
بالمخلوق الناقص ، فإن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص
الخالق سبحانه لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً^(٤) .

(١) الشورى : ١١ .

(٢) النحل : ٧٤ .

(٣) البقرة : ٢٢ .

(٤) انظر القواعد المثلى : ٥٣ .

ثالثاً : يقال للمشبه : إنك تدعي أن الله مشبه للمخلوق من كل وجه فيلزمك تشبيهك أن تقول :

أنه يجب لله ويجوز عليه ويستحيل عليه ما يجب ويجوز ويستحيل على المخلوق فيرجع قولك إلى أنه لا خالق ولا مخلوق إذ ماعهد في طباع بني آدم أن يكون المصنوع هو الصانع من كل وجه لأن الشيء لا يخالف نظيره وإن منعت هذا :

فلا بدلك من تمييز بين المتشابهين وهو أن أحدهما خالق والآخر مخلوق وعندئذ أوجبت لأحدهما صفة لم توجبها للآخر ، وجوزت صفة لم تجوزها للآخر .

وقلت باستحالة اتصاف أحدهما بصفة في الآخر فأما ما أوجبت فكون الله خالقاً وغيره مخلوقاً .

وأما ما استحلتته فكون المخلوق خالقاً والخالق مخلوقاً .

وأما ما جوزته على العبد فإمكان العدم على المخلوق إذ هو كان

معلوماً فما جاز عليه في ابتدائه يجوز عليه في انتهائه «^(١) .

قال شيخ الإسلام : وأيضاً قد ثبت بالعقل ما أثبتته السمع من أنه سبحانه وتعالى لا كفوء له ولا سمي له ، وليس كمثل شيء فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ، ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات ، لا الملائكة ولا السماوات ولا الكواكب ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض .

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف : ٣٩٣-٣٩٤ .

ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم ولا غير ذلك ، بل يعلم أن حقيقته عن مماثلة شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر .

فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ووجب لها ما وجب لها ، وامتنع عليها ما امتنع عليها .

فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة ، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجب بنفسه ، موجوداً معدوماً وذلك جمع بين النقيضين .

وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون : بصر كبصري ويد كيدي ونحو ذلك ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً^(١) .

رابعاً : يقال للمشبهة : قولكم إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد ، فجوابه من وجهين :

أحدهما : أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافاً إلى نفسه المقدسة فيكون لاثقاً به لا مماثلاً لمخلوقاته ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله ولم يقدره حق قدره ، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق .

الثاني : أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة الله تعالى لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق جلا وعلا واعتقاد نقص الخالق كفر وضلال ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضللال^(٢) .

(١) التدمرية : ١٤٤-١٤٦ .

(٢) تقريب التدمرية : ٢٤ .

خامساً : أقوال أهل العلم في الرد على المشبهة :
لأهل العلم الأئمة رد على أهل التشبيه نذكر بعضاً من هذه الأقوال
وأصحابها :

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله :
« وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ، ويقدر
لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا »^(١) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « حرام على العقول أن تمثل الله
تعالى وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن
تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول
أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة
والسلام »^(٢) .

وقال نعيم بن حماد رحمه الله :
« من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف
الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله
تشبيه » .

وقال إسحاق بن راهوية رحمه الله :
« من وصف الله فشبهه بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله
العظيم »^(٣) .

(١) شرح كتاب الفقه الأكبر : ٤٩-٥٠ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٤ .

(٣) شرح الطحاوية : ٨٥ / ١ .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله :

« اعلم أن الله تعالى لا مثيل له بوجه من الوجوه فمن شبه الله
بخلقه فقد كفر ، وخاب وخسر ، ولا يلزم من ذلك أن ننفي عنه صفاته
المقدسة] ثم ساق بعض الآيات التي تثبت السمع ، والبصر والمغفرة لله
تبارك وتعالى في الأزل قبل إيجاد الأشياء وأنها] تدحض المشبه إذ لا
مسموع ولا مرئي وإذ لا مغفور ومغفور له وهو كما هو اليوم بل كما
كان في الأزل »^(١) .

ومن خلال أقوال هؤلاء الأئمة يتبين لنا خطأ الذين يلمزون أهل
السنة والجماعة بأنهم مشبهة ، فكيف يكونون كذلك وهم يكفرون
المشبه .

(١) الأربعين في صفات رب العالمين : ١/١٦٥-١٦٦ .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على التهمة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد أثر القياس الفاسد على الجهمية فدفعهم إلى إنكار الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ لأنهم يفرون من التشبيه - كما يزعمون - فوصفوا الله بالنفي المجرد الذي لا مدح فيه بل هو إساءة أدب فلا يقال : هو موجود ولا حي ، ولا سميع ولا بصير ولا عليم لأن ذلك يستلزم تشبيهه بالموجودات المتصفة بهذه الصفات ، وهذا الوصف الذي يصفون به الرب تبارك وتعالى لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحقيقه في الأعيان .

ووجه النفي في الأسماء ، أنه إذا سمى بها لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم فإذا أثبتنا « الحي » مثلاً لزم أن يكون متصفاً بالحياة لأن صدق المشتق يستلزم صدق المشتق منه وذلك يقتضي قيام الصفات به وهو تشبيه وأما في الصفات ، فقالوا : إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد وهو تركيب ممتنع مناقض للتوحيد .

وقالوا : إن الصفة عين الموصوف وأن كل صفة عين الصفة الأخرى فلا فرق بين العلم ، والقدرة ، والسمع والبصر ، ونحو ذلك^(١) .
إذا فمذهب هؤلاء النفاة ، أن الله ليس له صفة ثبوتية لأنها - على زعمهم - تقتضي مشابهته لخلقه ، وإنما يثبتون له صفات سلبية ، أو إضافية ، أو مركبة منهما .

فالسلبية : ما كان مدلولها عدم أمر لا يليق بالله عز وجل .

(١) انظر التدمرية : ١٥-١٧ ، وتقريب التدمرية ضمن مجموع فتاوى ورسائل

بن عثيمين : ١٣٠/٤ .

فلا يثبتون لله علماً ولكن يقولون ليس بجاهل ، ولا سمعاً ولكن يقولون : أنه ليس بأصم .

والإضافية : هي التي لا يوصف الله بها على أنها صفة ثابتة له ولكن يوصف بها باعتبار إضافتها إلى الغير .

فيقولون مثلاً : إذا قلنا إنه خالق ، ليس معناه أنه اتصف بالخلق لكن معناه أن له مخلوقاً موصوف بالخلق من باب الإضافة فقط .

والمركبة منها : هي التي تكون سلبية باعتبار ، وإضافة باعتبار فيقولون مثلاً : إن الله خالق يعني ليس بعاجز عن الخلق وهو خالق بمعنى أن له مخلوقاً .^(١)

هذا ما كان من أمر الجهمية أما الغلاة منهم عندما أدركوا شناعة قول إخوانهم ، إذ مقتضاه الفرار من التشبيه بالموجودات إلى التشبيه بالمعدومات حتماً فأرادوا أن يتخلصوا من هذه الطريقة الشنيعة فوقعوا في أقبح منها ، وهو تشبيه الرب تبارك وتعالى بالمتنوعات ، فوصفوه بسلب النقيضين فقالوا : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل .^(٢)

وهكذا نرى أن مذهب الجهمية قائم على خلاف المنهج القرآني والهدى النبوي الذي كان عليه سلفنا الصالح .

(١) انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن مجموع فتاوى بن عثيمين : ٦٧/٤ .

(٢) انظر التدمرية : ١٦ .

وليتضح رأي الجهمية لا بد من عرض بعض أقوال الأئمة الناقلين
لمذهبهم قال الإمام أحمد وهو يحكي اعتقاد الجهم :
« وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو
حدث رسوله ﷺ كان كافراً وكان من المشبهة »^(١) .

وقال الشهرستاني وهو يحكي اعتقاد الجهم : « وافق المعتزلة في
نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف
الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً فنفي كونه
حياً عالماً ، وأثبت كونه قادراً فاعلاماً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه
بالقدرة والفعل والخلق »^(٢) .

وإثبات الجهم لله سبحانه كونه خالقاً وقادراً بناءً على عقيدته في
الجزء^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :
« كان جهم ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً ولا حياً ولا غير
ذلك إلا على سبيل المجاز قال لأنه إذا تسمى باسم تسمى به المخلوق كان
تشبيهاً »^(٤) .

(١) الرد على الجهمية : ١٠٤ .

(٢) الملل والنحل : ١٠٩/١ .

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية : ٥١ ، منهاج السنة : ٥٢٧/٢ ، والبيهقي وموقفه
من الإلهيات : ١٥٨ .

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣١١/١٢ .

وقال أيضاً : « جهم لا يثبت شيئاً من الصفات لا الإدارة ولا غيرها فإذا قال : إن الله يحب الطاعات ويغض المعاصي فمعناه الثواب والعقاب »^(١) .

وفي هذه الأقوال كفاية لتقرير مذهب الجهمية وأقوالهم الرديئة ، وهذا وإن الشروع في رد قياسهم الفاسد ورأيهم الكاسد ، والله المستعان .

(١) المصدر السابق : ٢٣٠/٨ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

لرد على هؤلاء الجهمية الذين ينكرون أسماء الله وصفاته ولا يصفونه إلا بالنفي المجرد عن الإثبات نقول :

أولاً : اعلّموا أن الله جمع فيما سمى به نفسه ووصفها بين النفي والإثبات فمن أقر بالنفي وأنكر الإثبات فهو ممن آمن ببعض الكتاب دون بعض قال الله تعالى منكرأ على بني إسرائيل ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) .

ثانياً : إن النفي المجرد لا وجود له في الخارج وإنما هو أمر يفرضه الذهن لا وجود له في الحقيقة ويلزم من هذا إنكار الوجود وهو غاية التعطيل .

ثالثاً : يقال لهم : أنتم فررتم من تشبيه الله بالموجودات فوقعتم بهذا النفي في التشبيه بالمعدومات والتشبيه بالمعدوم أقبح من التشبيه بالموجود ^(٢) .

رابعاً : إن وصف الله بصفات الإثبات أدل على الكمال من وصفه بصفات النفي لأن الإثبات أمر وجودي يقتضي تنوع الكمالات في حقه وأما النفي فامر عدمي لا يقتضي كمالاً إلا إذا تضمن إثباتاً وهؤلاء النفاة لا يقولون بنفي يقتضي الإثبات .

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) انظر التدمرية : ١٥-٣٦ .

خامساً : قولهم في الأسماء : إن إثباتها يستلزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم فيقتضي أن يكون إثباتها تشبيهاً .

جوابه : أن المعاني التي تلزم من إثبات الأسماء صفات لائقة بالله تعالى غير مستحيلة عليه والمشاركة في الاسم أو الصفة لا تستلزم تماثل المسميات والموصوفات ^(١) .

وقد دل على هذا السمع والعقل والحس .

أما السمع فقد قال الله تعالى عن نفسه : ﴿ إِنَّا اللَّهُ نَعْمًا يَعْظُمُ بِهِ

إِنَّا اللَّهُ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ^(٢) .

وقال عن الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتِئِهِ

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ^(٣) .

ونفى أن يكون السميع كالسميع ، والبصير كالبصير فقال :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٤) .

وأثبت لنفسه علماً وللإنسان علماً فقال عن نفسه ﴿ عَلِمَ اللَّهُ

أَنكُم سَتَدْكُرُونَهُنَّ ﴾ ^(٥) .

وقال عن الإنسان ﴿ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى

الْكَفَّارِ ﴾ ^(٦) .

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين : ١٣١/٤ - ١٣٢ .

(٢) النساء : ٥٨ .

(٣) الإنسان : ٢ .

(٤) الشورى : ١١ .

(٥) البقرة : ٢٣٥ .

(٦) المتحنة : ١٠ .

وليس علم الله كعلم الإنسان فقد قال الله عن علمه ﴿وَمِعْ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) .
وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) .

وقال عن علم الإنسان : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) .

وأما العقل :

فمن المعلوم بالعقل أن المعاني والأوصاف تتقيد وتميز بحسب ما تضاف إليه ، فكما أن الأشياء مختلفة في ذواتها فإنه كذلك مختلفة في صفاتها وفي المعاني المضافة إليها فإن صفة كل موصوف تناسبه لا يفهم منها ما يقصر عن موصوفها أو يتجاوزها ولهذا نصف الإنسان باللين ، والحديد المنصهر منها باللين ونعلم أن اللين متفاوت المعنى بحسب ما أضيف إليه .

وأما الحس :

فإننا نشاهد للليل جسماً وقدماً وقوة ، وللبعوضة جسماً وقدماً وقوة ونعلم الفرق بين جسميهما ، وقدميهما ، وقوتيهما .

(١) طه : ٩٨ .

(٢) آل عمران : ٥ .

(٣) الإسراء : ٨٥ .

فإذا علم أن الاشتراك في الاسم والصفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كون كل منها مخلوقاً ممكناً فانتهاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجلى بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع^(١) .

سادساً : قولهم : إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد قول باطل مخالف للمعقول والمحسوس فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف فيها هو الإنسان الواحد يوصف بأنه حي ، وسميع ، وبصير ، عاقل ، متكلم ، إلى غير ذلك من صفاته ولا يلزم من ذلك تعدد ذاته^(٢) .

سابعاً : إن هؤلاء المعطلة النفاة المعارضين للوحسي بأرائهم ومقولاتهم من الظانين بالله وكتابه ورسوله ظن السوء ولم يأت في القرآن وعيد أعظم من وعيد من ظن به ظن السوء .

قال تعالى : ﴿ وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ يَا اللَّهُ ظَنَّ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَعْمَلْتُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾^(٤) .

(١) مجمع فتاوى و رسائل ابن عثيمين : ١١٧/٤ - ١١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٣١/٤ - ١٣٢ .

(٣) الفتح : ٦ .

(٤) فصلت : ٢٢ - ٢٣ .

فهؤلاء ظنوا أنه لا يعلم بعض الجزئيات فكيف بمن ظن أنه لا علم له ولا سمع له ولا بصر ولا كلام^(١) .

ثامناً : أن يقال لهؤلاء النفاة :

إن وصف الله تبارك وتعالى بصفات الكمال دليل صحة ألوهيته وربوبيته أما سلبها عنه فهو دليل بطلان الألوهية والربوبية فمن لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً .

ولهذا ذم القرآن الكريم آلهة الكفار وعابها لأنها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تتكلم ، ولا تهدي ولا تنفع ولا تضر قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وقد عاب أباه باتخاذهم مالا يسمع ولا يبصر إلهاً .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَمَّا تَعْبَدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾^(٢) .

وقال تعالى أيضاً عن الخليل وقد طعن في ألوهية الأصنام :

﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٣﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾^(٣) .

وقال تعالى مبيناً بطلان ألوهية العجل الذي عبده بنو إسرائيل :

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جِسدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ

يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٤) .

تاسعاً : إن من زعم من الجهمية أن الصفة هي الموصوف أو أن

الصفة هي معنى الصفة الأخرى ، كأن يقول إن معنى كونه عالماً معنى

كونه قادراً فقوله باطل مخالف لصريح العقل .

(١) الصواعق المرسلية : ٤ / ١٣٥٧ .

(٢) مريم : ٤٢ .

(٣) الشعراء : ٧٢-٧٣ .

(٤) الأعراف : ١٤٨ .

فأولاً : لا يقال : إن الصفة هي الموصوف ولا هي غيره بل لا بد من الاستفصال ، فيقال لمن قال : الصفة هي الموصوف إن كنت تقصد أن الصفة هي عين الموصوف ولا تفيد معنى في الموصوف فقولك باطل ، وإن كنت تقصد أن الصفة لا تقوم إلا بموصوف مع أنها تفيد معنى يتصف به الموصوف فقولك صحيح .

كما يقال لمن قال : الصفة غير الموصوف : إن كنت تقصد أن الصفة مغايرة للموصوف وقد تنفصل عنه وتقوم بغيره .

فقولك باطل ، وإن كنت تقصد أن الصفة تفيد معنى يفهم ويعرف غير معنى الموصوف وأن الصفة مع هذا لا تقوم إلا بالموصوف فقولك صحيح .

وحيثذ فمن زعم أن الصفة هي الموصوف ، وأنها لا تفيد معنى يفهم منها غير معنى الموصوف فقله باطل في صريح العقل ...

ثانياً : أن القول بأن الصفة هي الموصوف ، وأن معنى الصفة هي الأخرى يؤدي إلى أعظم الكفر والتناقض ، لأنه يقتضي أن وجود المحدث الممكن هو عين وجود الحق الدائم الواجب لأنه على زعم هؤلاء ، يصبح معنى وجود الممكن هو معنى وجود الواجب ، ويصبح معنى صفة الخلق ... هو عين الخالق تعالى وهذا يقتضي أن الوجود واحد وهذا الذي دخل منه أهل وحدة الوجود ^(١) .

وقد تقدم الرد على أصحاب وحدة الوجود ^(٢) .

(١) من حاشية على التحفة المهدية : ١٠٤-١٠٥ .

(٢) انظر ص : ١٧٦ - ١٨٧ من هذا البحث .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المعتزلة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد وضع المعتزلة أقيسه فاسدة وآراء كاسدة وشبهها داحضة ردوا بها النصوص الصحيحة الصريحة وتناقضوا مناقضة واضحة فأثبتوا أسماء الله ونفوا صفاته فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفة ومنهم من قال عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر^(١) .

ومن هنا يتبين أن المعتزلة اتخذت لنفي الصفات طريقين :

أحدهما : إثبات الأسماء دون ما تضمنته من الصفات فيقولون سميع بلا سمع الخ .

الثاني : إثبات الترادف بين الأسماء وذلك دلالتها على الذات فيقولون عليم بذاته ، بصير بذاته ، قدير بذاته ، وكلاهما يرجع إلى نفي الصفات وإثبات الأسماء على أنها أعلام محضة لا دلالة فيها على الصفات^(٢) .

والذي حمل هؤلاء على هذا القول هو القياس الفاسد حيث اعتقدوا أن إثبات الصفات يلزم التشبيه لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم ، والأجسام متماثلة^(٣) .

ولا بأس من نقل بعض أقوال أهل الاعتزال .

(١) انظر التدمرية : ١٨ .

(٢) انظر القواعد الكلية : ٣٢-٣٣ .

(٣) انظر التدمرية : ١١٩ .

قال ضرار^(١) : معنى أن الله عالم أنه ليس بجاهل ، ومعنى أنه قادر أنه ليس بعاجز ، ومعنى أنه حي أنه ليس بميت .

فضرار هنا يفسر الأسماء بمعان سلبية وقد تقدم عند ذكر الجهمية أن النفاة يصفون الله بصفات سلبية أو 'ضافية أو مركبة منها وتقدمت أيضاً الأمثلة على ذلك .

وقال النظام^(٢) : معنى قولي عالم إثبات ذاته ونفي الجهل عنه ومعنى قولي قادر إثبات ذاته ونفي العجز عنه ، ومعنى قولي حي إثبات ذاته ونفي الموت عنه .

وقال عباد^(٣) : هو عالم قادر حي ولا اثبت له علماً ولا قدرة ولا حياة ولا أثبت سمعاً ولا أثبت بصرأ وأقول هو عالم لا يعلم وقادر لا بقدرة ، حي لا بحياة ، سميع لا بسمع .

(١) هو ضرار بن عمرو وافق المعتزلة في أشياء وانفرد بأشياء منكرة منها إنكاره لقراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وكان يضلّل هذين الإمامين في مصحفيهما ، ومنها أنه شك في جميع عامة المسلمين هل هم كفار أو مسلمون ؟ وكان لا يحكم بظاهر حالهم .

الفرق بين الفرق : ١٦٠ ، التبصير في الدين : ١٠٥ ، الملل والنحل : ٩٠/١ .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام : وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف توفي ما بين سنة ٢٢١ .

انظر عنه الفرق بين الفرق : ٩٣ ، والتبصير في الدين : ٧١ ، والملل والنحل : ٥٣/١ .

(٣) عباد هو عباد بن سليمان الضمري ، من أصحاب هشام بن عمرو القرطبي رئيس فرقة الهشامية ، يظن أنه توفي سنة ٢٥٠هـ .

انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٧٢/١-٧٣ .

ومنهم من قال : له علم بمعنى معلوم ، وله قدرة بمعنى مقدور^(١)
وهذا مرجعه إلى الصفات الإضافية ونكتفي بهذا القدر من أقوال
المعتزلة لنرى الرد عليهم في الصفحات التالية .
وخلاصة القول : أن المعتزلة غلطوا في قياس الغائب على الشاهد
وقياسهم الخالق على مخلوقاته فقالوا الله ليس بجسم فليس له صفات تزول
فقياسوا في هذا صفات الخالق سبحانه على صفات المخلوقين .

(١) مقالات الإسلاميين : ١٦٥-١٦٧ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

الأدلة على بطلان مذهب المعتزلة كثيرة جداً لكن نكتفي في الرد عليهم بالأوجه الآتية :

أولاً : يقال للمعتزلي : إن ما أثبتته من الأسماء هو نظير لما نفيت من الصفات فإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فهذا حق قلته ، فيلزمك أن تقول ذلك في الصفات وإن لزم في الصفات ما هو محذور في نظرك فإنه يلزمك أن تقول بذلك في الأسماء إذ لا فرق بينهما .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

« وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول : إنه حي عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة . قيل له : لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات فإنك إن قلت : إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهاً وتجسيماً لأننا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم .

قيل لك : ولا تجحد في الشاهد ما هو مسمى بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم ، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا الجسم ، فانف الأسماء ، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا الجسم .

فكل ما يحتاج من نفى الصفات يحتاج به نافي الأسماء الحسنى فما كان جواباً لذلك كان جواباً لمثبتي الصفات . »^(١)

ثانياً : أن يقال للمعتزلة : إن قولكم عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع وبصير بلا بصر هو مخالف للعقل والشرع .

(١) التدمرية : ٣٥ .

فإن العقل لا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات فلا يقال عالم
إلا من اتصف بالعلم ، ولا قادر إلا من اتصف بالقدرة ، وهكذا سائر
الأسماء .

أما الشرع : فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٣) .

وجاء في الحديث قوله ﷺ : (اللهم إني استخيرك بعلمك
وأستقدرك بقدرتك)^(٤) .

وللحافظ الأصهباني صاحب الحجة في بيان المحجة كلام حول هذا
الموضوع يقول فيه :

- فصل - في الدليل على أن السميع لا يكون إلا بسمع ، والبصير
إلا ببصر ، كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة ، فالسميع
صفة مشتقة من السمع كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب ،
والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه وإذا كان صادراً عن المصدر كانت
الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب ، فإذا صح هذا
صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه وذلك الأصل
هو السمع ، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع ، والدليل على ذلك

(١) فاطر : ١١ .

(٢) النساء : ١٦٦ .

(٣) الذاريات : ٥٨ .

(٤) أخرجه البخاري : ١١٦٢/ .

أيضاً أنه إذا بطل السمع حصل الصمم ، وإذا بطل البصر حصل العمى فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع سميعاً أصم ، وبصيراً أعمى ، كما تقول في القدير ، والعليم ، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها ، ويكون خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفات ، تعالى الله عما يقول المعطلة .

ومن الدليل أيضاً : أن الله وصف نفسه بأنه عليم وعالم وأثبت لنفسه العلم فقال عز من قائل ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ .

فدل سياق هذا الكلام أن العليم الذي يكون له علم ولا يكون عليمًا إلا وله علم ، كذلك السميع يجب أن يكون له سمع ، والبصير يكون له بصر^(١) .

ثالثاً : إن قول المعتزلة : « لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم » .

ممنوع فإننا نجد من الأشياء ما يصح أن يوصف وليس يجسم فإنه يقال : ليل طويل ، ونهار قصير ، وبرد شديد وحر خفيف ... ، وليست هذه أجساماً ، على أن إضافة لفظ الجسم إلى الله تعالى إثباتاً أو نفيًا من الطرق البدعية التي يتوصل بها أهل التعطيل إلى نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه^(٢) .

فينبغي أن يستفصل في هذا اللفظ .

(١) الحجة في بيان المحجة : ١٣٧/٢-١٣٨ .

(٢) تقريب التدمرية ضمن فتاوى ورسائل بن عثيمين : ١٢٩/٤ .

« ويقال لهم » ما تعنون بالجسم ؟ أتعنون به الذات التي تمكن رؤيتها بالأبصار وتصح الإشارة إليها ، وتتصف بالحياة والسمع ، والبصر والوجه واليدين والاستواء ، ونحو ذلك من الصفات ؟ أم تعنون به ما كان مركباً من المادة والصورة ... فإن عنيتم الأول فهو حق وإن عنيتم الثاني فهو باطل ^(١) .

رابعاً : قد يستدل هؤلاء المعتزلة بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على نفي الصفات وهو استدلال باطل لأنه يستند إلى قياس فاسد مفاده أن إثبات الصفات من السمع والبصر وغيرها يستلزم تشبيه الخالق بالخلق واستدلالهم هذا تعطيل للنص لأنه دال على صفة تليق بالله لا على مشابهة المخلوقين .

ولو كان إثبات الصفات تشبيهاً لما ختم الله الآية بذكر هاتين الصفتين السمع والبصر .

ويقال هؤلاء النفاة إن الاتفاق في الاسم العام عند الإطلاق لا يقتضي تماثل صفات الخالق والمخلوق في مسمى ذلك الاسم عند إضافته إلى الباري أو تخصيصه وتقييده به .

وهذا المنهج لا يرتضيه العقلاء في الأسماء المشتركة فيما بين المخلوقات فإذا قيل الفيل موجود والبعوض موجود ، فهل يفهم عاقل إن وجود هذا مماثل لوجود هذا فإذا كان هذا غير سائغ عقلاً وأن هناك تباين بين الوجودين فإن التباين بين الخالق والمخلوق أعظم من التباين الذي بين الخالق والمخلوق ^(٢) .

(١) التحفة المهدية : ٢٧٩ .

(٢) انظر الأسماء والصفات للدكتور عمر سليمان الأشقر : ١٧٦ .

خامسا : نقول للمعتزلة : إن الله عز وجل وصف أسماءه بأنها حسنى وأمرنا بدعائه بها فقال تعالى ﴿ وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا ولا يصح خلوها عنها فالقول بأن أسماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على ذات الله فقط قول باطل لأن دلالات النصوص الشرعية متظافرة على أن كل اسم منها دال على معناه المختص به مع اتفاقهما على مسمى واحد وموصوف واحد ، فأسماء الله تعالى أعلام وأوصاف ، أعلام باعتبار دلالتها على الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل ، وبالعبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص به فالحي ، العليم ، القدير ، السميع ، البصير ، كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله تعالى ، لكن معنى الحي غير معنى العليم ، ومعنى العليم غير معنى السميع البصير ، وهكذا ^(١) .

قال الفخر الرازي في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلُقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

((لو كان السميع هو العليم لكان ذلك تكراراً)) ^(٣) .

(١) انظر القواعد المثلى ضمن فتاوى ورسائل الشيخ بن عثيمين : ٢٧٠/٣ .

(٢) البقرة : ٢٢٧ .

(٣) شرح أسماء الله الحسنى : ٢٣٩ .

امبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الإحصاءه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

النفاة للأسماء والصفات أو الصفات أو بعضها كلهم جميعاً يستقون من مستنقع التعطيل الذي نتج عن قياس فاسد ولكنهم يتفاوتون في البعد عن الحق والقرب منه ، فالجهمية أشد بعداً عن الحق وتليها المعتزلة ثم الأشاعرة وهم أقرب إلى الحق لأنهم يثبتون سبع صفات .
فالجهمية جده ، والمعتزلة بنت لها ، والأشاعرة حفيده التجهيم وبنيت الاعتزال^(١) .

والصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة هي الصفات العقلية التي يزعمون بأن العقل دل عليها وهي :
القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

فالخلق والإيجاد دليل على القدرة .
والتخصيص دليل على الإرادة .
والإتقان والإحكام دليل على العلم .
وهذه الصفات الثلاث مستلزمة للحياة .

والحي لا يخلو عن السمع ، والبصر ، والكلام ، وضدها نقص ينزه الرب عن ذلك^(٢) .

(١) انظر مجموع الفتاوى : ٢٦٠/٦ .

(٢) انظر التدمرية : ٣٣ ، وانظر الاقتصاد في الاعتقاد : ٥٣ .

وسياتي الجواب عن هذا الدليل العقلي إن شاء الله تعالى .
أما بقية الصفات من الغضب والسخط والرضى والمحبة فيرجعونها
إلى صفة الإرادة فهي بمعنى إرادة ثوابهم أو عقابهم^(١) .

وكذلك الصفات الخيرية كالوجه ، واليدين ، والعينين وغيرها
سلطوا عليها التأويل ، والذي حمل الأشاعرة على هذا هو القياس
الفاسد ، إذا أنهم إذا قرعوا نصاً أو سمعوه من الكتاب والسنة أشتمل على
ذكر صفة من صفات الكمال لله تبارك وتعالى كالرضى والرحمة ،
واليدين ونحوها تبادر إلى أذهانهم أن ظاهر هذه النصوص مشعر بالتشبيه
وأن هذا هو المعهود في المخلوق فلذلك ينبغي أن ينزه الله - حسب
زعمهم - عن هذه الصفات وتوول بما تقتضيه عقولهم ، فقاموا الخالق
على المخلوق والذي لا ينبغي إغفاله أيضاً :

أن الصفات السبع التي أثبتوها ، لا يخلو من تكرير القياس الفاسد
عليهم فهام الأشاعرة يفسرون السمع ويقولون : علمه بالمسموعات ،
والبصر : علمه بالمبصرات ، فيرجعون ذلك إلى صفة العلم ، وهذا تفسير
خاطئ ، فالعلم صفة ، والسمع صفة ، والبصر كذلك فما السذي يحملهم
على هذا ؟ .

والإرادة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلق في الأزل بكل المرادات

وهذا يلزم منه تخلف المراد عن الإرادة^(٢) .

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس : ١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٨ - ٩٩ .

والكلام يثبتونه أيضاً ولكن على وجه لا يصح إذ معناه الكلام النفسي ليس بحرف ولا صوت وسيأتي الكلام على هذه الصفة في موضعها إن شاء الله .

وقد استخدم الأشاعرة قياس التمثيل وقياس الشمول في نفسي ما أثبتته الله عز وجل لنفسه من الصفات ومنها صفة الكلام ، فنفيهم للصوت لأنهم نظروا أن الأصوات في الشاهد تحتاج إلى مخرج من الخلق واللسان والشفتان فإذا ثبت الصوت لله لزم منه وجود هذه المخارج ، ومنها صفة الاستواء فلو كان مستوياً على العرش لكان محتاجاً إليه لأنهم لم يعقلوا في الشاهد إلا هذا الاستواء الذي يكون المستوي فيه محتاجاً إلى ما يستوي عليه ، فهذا هو قياس التمثيل الذي هو قياس الغائب على الشاهد ، وسيأتي الكلام على هاتين الصفتين ، الاستواء والكلام إن شاء الله تعالى ^(١) .

وأما قياس الشمول : فيقولون : كل ما كان بجهة جازت عليه الحركة والسكون ، وكل ما جازت عليه الحركة والسكون فهو حادث فإذا كان الله في جهة كان حادثاً وهو محال ، فثبت أنه ليس في جهة ، وسيأتي الكلام على الجهة إن شاء الله تعالى ^(٢) .

(١) انظر أساس التقديس للرازي : ٢٨ .

(٢) انظر لباب العقول للمكلاسي : ١٨١ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

أولاً : ما ذكره شيخ الإسلام في الرد على تناقضهم حيث فرقوا بين المتماثلين فقالوا الصفات السبع يدل عليها العقل والصفات الأخرى من المحبة والرحمة والغضب والسخط لا يدل عليها فقال :

« قال له سائر أهل الإثبات : لك جوابان ايها الأشعري :

أحدهما : أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين فهب أن ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه لا يتفيه ، وليس لك أن تنفيه بغير دليل لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت ، والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب إثبات الدليل السالم عن المعارض المقاوم .

الثاني : أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقلية فيقال : نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة ، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخير من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه »^(١) .

ومعنى كلام شيخ الإسلام : أن عدم دلالة العقل على الصفات التي أولوها لا يستلزم عدمها إذ غاية العقل عدم إثباتها دون نفيها والنافي للشيء كالمثبت سواء بسواء من حيث أن كل واحد منهما مطالب بالدليل على ما ادعاه ثم إن السمع قد دل على إثبات هذه الصفات وليس هناك ما يعارضه ثم أنه أيضاً يمكن أن يستدل على الصفات المنفية بالعقل

(١) الرسالة التدمرية : ٣٣-٣٤ .

بل ربما كان الاستدلال بالعقل عليها أوضح من الاستدلال به على الصفات السبع .

ثانياً : يمكن أن يناقش الأشاعرة بهذا الأصل وهو :
« القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر » .

ومعنى هذا الأصل :

أن صفات الله كلها من باب واحد من حيث ثبوتها ومباينتها لصفات المخلوقين ودلالة النصوص عليها وجهل الخلق جميعاً بكيفيتها .
وطريقة المناقشة بهذا الأصل :

أن يقال : لا فرق بين ما أثبت من الصفات كالحياة والإرادة وبين ما أولتم فالقول في أحدهما كالقول في البعض الآخر فأنتم أيها الأشاعرة تثبتون له إرادة والمخلوق له إرادة فإن أثبت إرادة مماثل إرادة المخلوق فقد شبهتم ، وإن أثبت له إرادة تليق به سبحانه وتعالى لا مماثل إرادة المخلوق فيلزمكم أن تقولوا ذلك في بقية الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في هذا المعنى : وهو يناقش صاحب هذا المذهب :

« لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبتته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فإن قلت إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل ،

وإن قلت : له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك :

وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق رضاً وغضب يليق به .

وإن قال : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام .
قيل له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة ، فإن
قلت : هذه إرادة المخلوق ، قيل لك : وهذا غضب المخلوق .
وكذلك يلزم بالقول في كلامه ، وسمعه ، وبصره ، وعلمه ،
وقدرته .

إن نفي عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص
المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات وإن
قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه .

قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة «^(١)» .
ثالثاً : «أنهم إذا صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معنى زعموا أن
العقل يوجه فإنه يلزمهم في هذا المعنى نظير ما يلزمهم في المعنى الذي نفوه
مع ارتكابهم تحريف الكتاب والسنة ، مثال ذلك :
إذ قالوا المراد بيدي الله عز وجل : القوة دون حقيقة اليد لأن
إثبات حقيقة اليد يستلزم التشبيه بالمخلوق الذي له يد .

فنقول لهم : يلزمكم في إثبات القوة نظير ما يلزمكم في إثبات اليد
الحقيقية ، لأن للمخلوق قوة فإثبات القوة لله تعالى يستلزم التشبيه على
قاعدتكم «^(٢)» .

رابعاً : أنه لا يصح الاعتماد على العقل في هذا الباب لأن هذا من
الأمر الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال وإنما تتلقى من السمع فإن العقل
لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالى

(١) التدمرية : ٣١-٣٢ .

(٢) تقريب التدمرية ضمن مجموع فتاوى ورسائل بن عثيمين : ١٢٤/٤ .

والرجوع إلى العقل مستلزم للاختلاف والتناقض كما هو واقع هؤلاء
النفثة^(١) .

خامساً : إن تفسير الأشاعرة للسمع بأن المراد علمه بالمسموعات
والبصر علمه بالمبصرات تفسير خاطئ فإن الأعمى يعلم بوجود السماء
ولا يراها ، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها .

والصحيح : أن السمع معناه المدرك لجميع الأصوات مهما خفت
فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسمع المخلوقين
والبصير ، معناه المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما
لطفت أو بعدت فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار لا تواريه سماء عن
سماء ولا أرض أرضاً ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعره سبحانه
وتعالى ، يدرك ذلك كله يبصر هو صفة تليق بجلاله وعظمته^(٢) .

سادساً : يقال للأشاعرة استخدام قياس الشمول في إثبات
الصفات ، ومنها الإرادة خطأ واضح إذ مفهومه ثبوت الإرادة للخالق
كثرتها للمخلوق وليس الأمر كذلك فإن الصفة للخالق أكمل منها عند
المخلوق ولا اشترك في حقيقتهما أبداً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

فلا يجوز إدخاله وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها لكن لـ
استخدموا قياس الأولى وقالوا : الإرادة صفة كمال في حق المخلوق
والخالق يمكن أن يتصف بها فهو أولى بها .

(١) انظر المصدر السابق : ٤ / ١٢٣ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس : ٩٧-٩٨ ، وتبسيط العقائد الإسلامية لحسن

محمد أيوب : ٧٢ .

وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الهداية ، والله الهادي إلى سواء
السييل .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاضل على المفوضة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد حصل لأهل التفويض قياس فاسد شأنهم في ذلك شأن المخالفين للسلف في مبحث الأسماء والصفات وهذا القياس هو الذي حملهم على التفويض ومقتضى هذا القياس أن إثبات معاني الصفات كما هو ظاهر النصوص يستلزم التشبيه ، إذا فلا بد من طريقة للتخلص من هذا اللازم^(١) .

فقالوا : نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يدري ما أَرادَه اللهُ ورسوله منها ولكن تقرأ ألفاظ لا معاني لها بمنزلة حروف المعجم بل إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من أحاديث الصفات ولا جبريل ولا السابقون يعرفون معاني الآيات وكذلك قولهم في آيات الصفات قال شيخ الإسلام مبيناً سبب هذا الاعتقاد :

« وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة ... فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين الإيمان باللفظ إلى معان بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع ، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه »^(٢) .

(١) انظر الفتوى الحموية : ٦٩ ، ومختصر الصواعق المرسله : ٧٣ .

(٢) الفتوى الحموية : ٣٢ .

ففي هذا الكلام بيان للشيء الذي حمل المفوضة لأن يقولوا هذا القول في نصوص الصفات وهو الشبهات الفاسدة ، التي من ضمنها القياس الفاسد^(١) .

قال ناظم الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تنزيهاً

قال شارحها : « (وكل نص) ... وهو الدليل من الكتاب والسنة ... أوهم التشبيهاً أي أوقع في الوهم صحة القول به بحسب ظاهره ... (أوله) أي احملة على خلاف ظاهرة مع بيان المعنى المراد ، ... كما هو مذهب الخلف ... وقوله (أو فوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف ... وطريقة السلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم ، وهي الأرجح ، ولذلك قدمها المصنف [الناظم] وطريقة السلف أسلم ، لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى .

وقوله (ورم تنزيهاً) أي واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد^(٢) .

ولكن وراء هذا التنزيه القياس الفاسد ، وهو تشبيه الخالق بالخلق .

وقد أورد الشارح للجوهرة أمثلة من آيات الكتاب هذين الطريقتين :

(١) انظر التدمرية : ١٠٦ .

(٢) شرح جوهرة التوحيد : ٩١ .

١- طريقة السلف وهي التفويض .

٢- طريقة الخلف وهي التأويل .

فقال في صفة الاستواء : السلف يقولون : استواء لا نعلمه ،

والخلف يقولون : المراد به الاستيلاء والملك^(١) .

وقال في صفة النزول والإتيان : السلف يقولون : مجيء ونزول لا

نعلمهما ، والخلف يقولون : المراد بالإتيان ، إتيان أمر الرب أو عذابه ،

وبالنزول : نزول ملك ، ومن هنا نعلم أن ممن ينسب التفويض إلى السلف

شارح الجواهره البيجورى الأشعري .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الطريقتين : طريق

السلف وطريق الخلف اللذين ذكرهما البيجوري فقال :

« ثم هم ههنا فريقان : أكثرهم يقولون : ما لم تثبت عقولكم

فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه وكأن الله قال وما نفاه قياس

عقولكم - الذي أتسم فيه مختلفون ... فانفوه ، وإليه عند التنازع

فارجعوا ، فإنه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب

والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم ...

فاعلموا أني امتحنكم بتزليله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في

تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، أو أن

تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالاته على شيء من الصفات

هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين^(٢) .

(١) انظر المصدر السابق : ٩٢-٩٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٧/٥ ، وانظر أقاويل الثقات : ٢٢٨ .

ومن نسب التفويض إلى السلف أيضاً الشهرستاني :

حيث قال : « ومنهم - أي السلف - من توقف في التأويل وقال عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثل شيء فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وقطعنا بذلك ، إلا أننا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ... ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير مثل قوله تعالى

: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(١) .

ومثل قوله : ﴿ خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ^(٢) .

ومثل قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(٣) .

إلى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ^(٤)

ومنهم السيوطي : حيث قال : « وجمهور أهل السنة - منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها » ^(٥) .

ومن ينسب التفويض إلى السلف في هذا الوقت محقق كتاب « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ، حسن السقاف ، حيث يقول : ولاشك أن السلف كانوا يفوضون الكيف والمعنى ، وهو المراد بالتفويض عند إطلاقه بلاشك » ^(٦) .

(١) طه : ٥ .

(٢) ص : ٧٥ .

(٣) الفجر : ٢٢ .

(٤) الملل والنحل : ٩٢/١ .

(٥) تهذيب وترتيب الإتيان في علوم القرآن : ٣٥٥ .

(٦) دفع شبه التشبيه : ٢١ .

والحق الذي لا مرية فيه أن التفويض ليس مذهباً للسلف وإنما هو
من مذاهب الخلف ، فالسلف بريئون منه براءة الذئب من دم يوسف .
وهذا أوان الشروع في مناقشة المفوضة في الصفحات التالية .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم القاسد

يمكن أن يكون الرد على أهل التحميل [المفوضة] من عدة وجوه :

أولاً : يخاطبون ويناقشون بما خوطب ونوقش به أهل التشبيه الصريح للمشابهة بينهما لأن أهل التفويض لم يقولوا بقولهم : إلا لأنهم ظنوا أن إثبات معاني للصفات يلزم منه التشبيه .
فيقال لهم :

١- إن العقل قد دل على مباينة الخالق للمخلوق فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما ؟

ألستم تعقلون ذاتاً لا تشبه الذوات ؟ فسيقولون بلى ، فيقال لهم : فلتعقلوا له صفات لا تشبه الصفات فإن القول في الصفات كالقول في الذات .

٢- يقال لهم : ألستم تشاهدون في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة ؟ فسيقولون بلى ، فيقال لهم : إذا عقلتكم التباين بين المخلوقات فلماذا لا تعقلوه بين الخالق والمخلوق ؟

مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أعظم وأظهر ؟ ^(١) .

ثانياً : يخاطبون بما خوطب به أهل التأويل ، فيقال لهم :

« فكل هذا الشر » إنما جاء من مسألة وهي نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه ، فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال أثنى الله بها على نفسه كتنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث

(١) انظر القواعد المثلى : ٤٦-٤٧ ، وتقريب التدمرية : ٢٣-٢٤ .

الليل الأخير ، وكاستوائه على عرشه وكمحيته يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال أول ما يُنظر في ذهن المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجساً بأقذار التشبيه لا يقدر الله حق قدره ولا يعظم الله حق عظمته حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق ..

فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق فيكون فيها أولاً : مشبهاً ، وثانياً : معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً متهجماً على رب العالمين ..

فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويحجب عن جميع الأسئلة وهو : أن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالقُ السماوات والأرض نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ امتلاً صدره من التعظيم فيحزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين .

فيكون القلب منزهاً معظماً له جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها أو أتنى عليه بها نبيه ﷺ على غرار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) .

ثالثاً : أن يقال لأهل التفويض : إن ما ذهبتُم إليه يعتبر قدحاً في القرآن وقدحاً في الرسول إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى

(١) الشورى : ١١ .

(٢) منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات : ١٩ - ٢٠ .

وبياناً للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم ، وأمر بتدبر القرآن وعقله ، ومع هذا فأشرف ما فيه - لا نعقل معناه .

فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين^(١) .

رابعاً : يقال لهم لقد استطال نفاة المعاد وغيرهم من الملاحدة عليكم فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك .

لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها ومالا يعلم معناه لا يجوز أن يستدل به ، فيبقى مذهب المفوضة سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحاً لباب من يعارضهم من أهل الضلال^(٢) .

أما ما نسب إلى السلف من القول بأن التفويض مذهبهم فهو كلام باطل إذ السلف أصحاب إثبات مجانبين لكل خطب في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقيدة وإليك بعض ما ورد عنهم مما يدحض هذا الافتراء :

١- فمن ذلك تفسير ابن عباس للاستواء : بالعلو والارتفاع .
وقد جاءت هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري في باب وكان عرشه على الماء^(٣) .

(١) درء تعارض العقل والنقل : ٢٠٤/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٢/١-٢٠٥ .

(٣) فتح الباري : ٤١٤/١٣ .

٢- وقال إسحاق بن راهوية : حدثنا بشر بن عمر ، سمعت غير واحد من المفسرين يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أي ارتفع^(١) .

٣- وقال البخاري في صحيحه : قال أبو العالية : ﴿ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ارتفع^(٢) .

٤- وكان ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهما من أئمة السلف يقولون : إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه .

قال شيخ الإسلام : وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون : إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه^(٣) .

٥- وقال شيخ الإسلام أيضاً بعد سياقه لعدة تفاسير :

« والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين فيها من الباطل الموافق لقول المثبتين مالا يكاد يحصى وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي ﷺ والصحابة والتابعين »^(٤) .

٦- وقال ابن مسعود ﷺ : ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيم أنزلت .

(١) درء تعارض العقل والنقل : ٢٠/٢ .

(٢) فتح الباري : ٤٠٣/١٣ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ٢٠٧/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٠/٢ .

وقال الحسن البصري رحمه الله : ما أنزل الله آية إلا وهو يجب أن يعلم ما أراد بها .

وقال مجاهد رحمه الله : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته اقفه عند كل آية وأسأله عنها ^(١) .

وفي رواية : قرأت القرآن على ابن عباس عشر مرات استوقفه عند كل آية - وفي رواية أخرى ثلاثين عرضة ^(٢) .

ومن خلال ما تقدم من كلام السلف أمثال عبد الله بن مسعود والحسن البصري ومجاهد وابن الماجشون والإمام أحمد يتبين لنا أن التفويض نوعان :

١- تفويض صحت نسبته إلى السلف وبه يقولون : وهو التفويض في علم كصفات الله إلى الرب عز وجل لأن هذا مما استأثر الله بعلمه ، فينبغي قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الرب تبارك وتعالى كما قطع الطمع عن إدراك الذات .

وما أحسن قول الإمام مالك وشيخه ربيعة ، حينما سئل عن كيفية الاستواء فقال : « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول » .

٢- تفويض لا يصح نسبته إلى السلف بل هو مكذوب عليهم وهو التفويض بعلم نصوص الصفات وأنها بمنزلة حروف المعجم لا يعرف معناها بل لها المعاني العظيمة .

(١) المصدر السابق : ٢٠٨/١ .

(٢) انظر الخلية : ٢٧٩/٣ .

وقد دل على هذا السمع والعقل :

١- فمن أدلة السمع :

قول الله عز وجل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(١) .
وقوله ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٣) .

ففي هذه الآيات الكريمات حث على تدبر القرآن كله ونعى لمن لم يتدبره ولولا أن له معنى يعلم بالتدبر لكان الحث على تدبره من لغو القول وأعظم ما يكون فيه التدبر في آيات الأخبار عن نفسه المقدسة لفهم معناها .

وأما دلالة العقل على فهم معاني ما أخبر الله به عن نفسه فمن

وجهين :

أحدهما : أن ما أخبر الله به عز وجل عن نفسه أعلى مراتب الأخبار وأعلى مطالب الأخبار فمن المحال أن يكون مجهول المعنى ! وما أخبر به عن فرعون وهامان وقارون ، وعن نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم معلوم المعنى مع أن حاجة الناس لفهم معنى ما أخبر الله به عن نفسه أعظم وأشد .

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) ص : ٢٩ .

(٣) محمد : ٢٤ .

الثاني : أنه من المحال أن ينزل الله كتاباً أو يكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ، ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى . بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى ^(١) .
وأما ما تشبث به أصحاب هذا الادعاء مما ورد عن بعض السلف في نصوص الصفات :

مثل قول الأوزاعي : « أمروها كما جاءت » ^(٢) .
ومثل قول سفیان بن عيينة : « هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف » ^(٣) .

وقول مكحول والزهري : « أمروا الأحاديث كما جاءت » ^(٤) .
وما قاله الترمذي : « هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أمروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة » ^(٥) .
وقول الإمام أحمد عندما سئل عن آيات الصفات وأحاديثها قال :
« نؤمن بها ونصدق ولا كيف ولا معنى » ^(٦) .

(١) انظر تقريب التدمرية : ٧٠ .

(٢) مختصر العلو : ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ١٦٥ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكسائي : ٤٣١/٣ .

(٥) السنن : ٤٢/٣ .

(٦) مجموع فتاوى بن تيمية : ٣٦٣/١٧ .

وقول الأوزاعي والليث بن سعد ومالك والثوري عندما سئلوا
أيضاً قالوا : « أمرها كما جاءت بلا تفسير »^(١) .

فهذه العبارات الواردة عن هؤلاء الأئمة قد ساء فهم المفوضة لها
ولا حجة لهم فيها بل هي حجة عليهم لما يأتي :

١- لأنهم قالوا : بلا كيف ، فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى
لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كلفيته فإن غير
الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كلفيته من لغو القول .

وقولهم : أمرها كما جاءت :

ظاهر في إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني ولا ريب أنها
جاءت لإثبات المعاني اللاتمة بالله تعالى ، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى
لقالوا : « أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها »^(٢) .

٢- أن قولهم بلا تفسير ، لا يعني عدم فهم معاني الصفات بل
المقصود به التفسير الباطل الذي ابتكرته الجهمية ومن سار في فلكهم كما
قال محمد بن الحسن الشيباني : « فمن فسر شيئاً وقال يقول جهم فقد
خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب
بصفة لا شيء »^(٣) .

(١) مختصر العلو : ١٤٢ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ٤١/٥ ، وفتح رب الرية ضمن مجموع فتاوى

بن عثيمين : ٣٢/٤ .

(٣) انظر فتح الباري ٤١٨/١٣ ، ومختصر العلو : ١٥٩ .

٣- إن قول الإمام أحمد رحمه الله : نؤمن بها ونصدق لا كيف
ولا معنى أراد به المعنى الذي اخترعته الجهمية وحرفوا به نصوص الكتاب
والسنة عن ظاهرها إلى معان تخالفه ^(١) .

(١) انظر فتح رب البرية ضمن مجموع فتاوى بن عثيمين : ٣٣-٣٢/٤ .

الفصل الثاني : أثر القياس القاصد في مبحث الإحماء والمصافات تفصيلاً وفي أشهر المصافات التي ذكر فيها المعالم

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على نفاة استواء لله على عرشه وعلوه على خلقه .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على نفاة النزول .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على نفاة المحبة .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على نفاة الرؤية .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على نفاة الكلام .

المبحث السادس : أثر القياس الفاسد على نفاة اليمين .

المبحث السابع : أثر القياس الفاسد على نفاة العينين .

المبحث الثامن : أثر القياس الفاسد على نفاة الوجه .

المبحث التاسع : أثر القياس الفاسد على نفاة القدمين .

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على نفاذ احتواء
الله على عرشه وعلوه على خلقه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

في هذا المطلب صفتان : كلاهما قد وقع النفاة لهما في قياس فاسد عارضوا به النصوص من الكتاب والسنة .

إحدهما : صفة استواء الله على عرشه ، وهي صفة فعلية خبرية فعلية لأنها تتعلق بمشيئة الله ، وخبرية لأنه لا سبيل في إثباتها إلا عن طريق السمع والخبر عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ .
والثانية : صفة العلو : وهي صفة ذاتية ، سمعية عقلية . فهي ذاتية بمعنى أنها لازمة للذات لا تنفك عنها بحال فالله عز وجل لم يزل في علوه .

وهي سمعية لورود السمع بذلك ، وعقلية لأن العقل يؤيد ما دل عليه السمع .

فهؤلاء النفاة فهموا من النصوص التي تدل على الاستواء أنه تعالى جالس على العرش وملاصق له ومحتاج إليه ، فقاسوه بمخلوق جالس على سريره ، وفهموا من النصوص التي صرحت بأن الله في السماء أنها تدل بظاها على أنه تعالى تحيط به السماء فقاسوه بمخلوق داخل مخلوق آخر فأرادوا أن يفروا من هذا التشبيه ، فوقعوا في التشبيه ، والتعطيل .

وقد تنوعت عبارات القوم لهذا القياس الفاسد .

فيقول قائلهم : لو كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوى على الفلك والأنعام ، فلو غرقت السفينة لسقط المستوى

عليها ، ولو عثرت الدابة لخر المستوى عليها ، وقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(١) .
ويقول : لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث لكنه غير مشابه للحوادث ينتج فهو غير مستوٍ على العرش^(٢) .

هذه بعض الشبهات الفاسدة التي يظنها أصحابها براهين وهي عند التحقيق - أو هام فاسدة وآراء كاسدة .

وبناءً على هذه الأقيسة الفاسدة جاؤا إلى النصوص الشرعية التي تبنت الصفتين لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق به فأولوهما فقالوا المراد بالاستواء : الاستيلاء ، والعرش المراد به الملك^(٣) .

والمراد بالعلو : علو القهر والتدبير والقدر^(٤) .

وقالوا : في الآيات التي تنص على الفوقية المراد بها فوقية الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة ، وأن صعود الكلام الطيب إليه ، معناه قبوله له ووقوعه عنده موقع الجزاء والثواب^(٥) .

وخلاصة قياس النفاة الفاسد : هو أنهم يتوهمون في بعض الصفات أو كثير منها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريدون أن ينفوا ذلك الذي فهموه فيقعون في أنواع من المحاذير :

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤٩/٣ ، وعلو الله على خلقه للدكتور : موسى بن سليمان الدويش : ٩١ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنيطي : ٢٣ .

(٣) انظر كتاب لباب العقول للمقلاتي : ١٧٦-١٧٧ .

(٤) انظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك : ١٩٣ .

(٥) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك : ١٩٥ .

١- أحدها : كونهم يمثلون ما فهموه من النصوص بصفات المخلوقين ويظنون أن مدلول النصوص هو التمثيل .

٢- الثاني : نفهم لتلك الصفات عن الله بلا علم فيكونون معطلين لما يستحقه الرب تبارك وتعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال .

٣- الثالث : وصفهم للرب تبارك وتعالى بنقيض تلك الصفات ، من صفات الجمادات ، وصفات المعدومات فيكونون قد عطلوا صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثلوه بالمعدومات ، وعطلوا النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعلوا مدلولها هو التمثيل ، فجمعوا بين التعطيل والتمثيل .

وكل هذه المحاذير التي وقعوا فيها هي بتأثير القياس الفاسد ، الذي حرفهم عن جادة الصواب .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

النصوص التي تثبت صفة الاستواء - من الكتاب والسنة كثيرة جداً وكذلك علو الله على خلقه ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وهذه النصوص قاضية باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ، بحيث لا يبقى لقياس النفاة الفاسد أي مكان ولا مكانة ، ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يعارض هذه النصوص بقياسه الفاسد ورأيه الكاسد فيقدمه عليها .

وإليك طرفاً من هذه الأدلة :

أولاً : ما يدل من الكتاب على علوه الخاص (الإستواء على العرش) :

- ١- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(١) .
- ٢- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾^(٢) .
- ٣- وقال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٣) .
- ٤- وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾^(٤) .
- ٥- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا ﴾^(٥) .

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٢) يونس : ٣ .

(٣) الرعد : ٢ .

(٤) طه : ٥ .

(٥) الفرقان : ٥٩ .

- ٦- وقال تعالى : ﴿ اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلٰى الْعَرْشِ ﴾ ^(١) .
- ٧- وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلٰى الْعَرْشِ ﴾ ^(٢) .

فهذه سبع آيات تنص على أن الله تعالى استوى على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض ، والعرش هو أعلى المخلوقات وأعظمها ، والاستواء عليه من أعظم الصفات التي تدل على علوه وهذه الآيات تعتبر الرد الأول على أصحاب الأقيسة الفاسدة .

ثانياً : يقال لهم العرش في اللغة هو سرير الملك فلا يصح أن يفسر العرش بأنه الملك أو رمز الملك ^(٣) .

فماذا يصنع هذا المؤول للعرش بأنه الملك - بقول الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ - أيقول ويحمل الملك ؟

وفي قوله : ﴿ وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً ﴾ ^(٤) أيقول ويحمل ملك ربك ؟ أيقول هذا عاقل يدري ما يقول ؟ ^(٥)

ثالثاً : وأما تأويل : الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من عدة وجوه :

-
- (١) السجدة : ٤ .
(٢) الحديد : ٤ .
(٣) في ظلال القرآن : ٤ / ٢٤٨٢ .
(٤) الحاقة : ١٧ .
(٥) انظر شرح الطحاوية : ٢ / ٣٦٨ .

أولاً : إن الحامل على هذا التأويل هو القياس الفاسد .
فنقول للقاتل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من
العرش أو أصغر أو مساوياً ، أنت لم تفهم من كون الله على العرش .
إلا ما يثبت من صفات المخلوقين ، وهذا اللازم الذي تقول به هو
تابع لهذا المفهوم .

أما استواء يليق بجلال الله وعظمته يختص به فلا يلزمه شيء من
اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم صفات المخلوقين .
وأنت ترى أن هذا القياس الفاسد قد لعب بعقولهم ، وتنوعت
العبارة عنه ، كقولهم أيضاً : لو كان مستوياً على العرش لكان محتاجاً إليه
كحاجة المستوى على الفلك والأنعام ، فلو غرقت السفينة لسقط المستوى
عليها ، ولو عثرت الدابة لخرّ المستوى عليها فقياس قولهم هذا ، أنه لو
عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ،
فهذا الذي ذكروه إنما هو صفة المخلوق أما الرب فليس كمثله شيء حتى
يقاس عليه ، فليس محتاجاً إلى العرش فاستواؤه على العرش لحكمة اقتضته
« وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطاً
به ، حاملاً له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه ، فانظر إلى السماء ،
كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ، فالرب تعالى أعظم شأناً ،
وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه ، وهي
حملة بقدرته للسافل ، وفقر السافل .

وغناه هو سبحانه عن السافل ، وإحاطته عز وجل به فهو فوق
العرش مع حملة بقدرته للعرش وحمته ، وغناه عن العرش ، وفقر العرش

إليه ، وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به ، وحصره للعرش ، وعدم حصر العرش له ، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق «^(١)» .
والحاصل أنه يجب أن نفهم فيما يتعلق باستواء الله على عرشه أمرين :

١- أحدهما : أن استواءه على عرشه ليس كاستواء الإنسان على الفلك والأنعام والسرور لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

٢- ثانيهما : أنا لا نعلم كيفية استوائه لأن الله لم يخبرنا عن ذلك وكيفية الشيء لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه .

وكل هذه الأمور منفية في استواء الله على عرشه ، فمعرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الموصوف ، وهذا متعذر في حق الله تعالى .

ثانياً : إن تفسير الاستواء بالاستيلاء لا يصح لغة ولم ينقله أحد عن أئمة اللغة الذين يعتمد على أقوالهم ، وإنما الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله به ، وأنزل به كلامه نوعان :

١- مطلق ، ٢- ومقيد .

فالمطلق : ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآسَتَوَى ﴾^(٢) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٢/٢ ، وانظر الدرر السننية في الأجوبة

النجدية : ٧١/٣ .

(٢) القصص : ١٤ .

فهذا معناه كمل وتم يقال : استوى الزرع واستوى الطعام .
أما المقيد : فتلاثة :

أحدهما : مقيد بإلى كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(١) .

وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٢) .
فهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

الثاني : مقيد بعلى ، كقوله تعالى : ﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾^(٣) .
وقوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ ﴾^(٤) .
وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع .

الثالث : المقرون بسواو المعية ، مثل استوى الماء والخشبة ، أي
ساواها فهذه هي المعاني للاستواء المعقولة في كلام العرب وليس فيها
استوى البتة^(٥) .

ثالثاً : إن تفسير الاستواء بالاستيلاء فيه تشبه للخالق بالمخلوق
وهذا هو الذي يفر منه النافي ، ولكنه وقع فيه .

قال الدارمي : هل نازع الله من خلقه أحد أو غالبه على عرشه
فغلبه الله ثم استوى على ما غالبه عليه ، مغالبة ومنازعة ... إذ قسته في
عرشه بمتغلب غلب على مدينة فاستوى عليها بغلبته^(٦) .

(١) البقرة : ٢٩

(٢) فصلت : ١١ .

(٣) الزحرف : ١٣ .

(٤) هود : ٤٤ .

(٥) انظر مختصر الصواعق المرسلنة : ٣٥٢/٢ .

(٦) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ٧٨ .

وقال ابن القيم : « إنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السماوات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه ، أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه ، وأنه أراد به بقوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أي اعلّموا يا عبادي أنني بعد فراغي من خلق السماوات والأرض غلبت عرشي ، وقهرته ، واستوليت عليه » (١) .

رابعاً : إن الإجماع منعقد على أن الله مستوٍ على عرشه حقيقة ، فجميع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، وقد نقل هذا الإجماع ابن القيم ، وابن عبد البر فلا عيرة بآراء الجهمية ومن سار على نهجهم مع وجود هذا الإجماع المستند إلى كتاب الله ، وصحيح السنة (٢) .

خامساً : أن يقال : « لو فرضنا احتمال اللفظ لمعنى الاستيلاء والخمسة عشر معنى ، فالله ورسوله ﷺ قد عين بكلامه منها معناً واحداً ونوع الدلالة عليه أعظم تنويع حتى يقال بذلك ألف دليل ، فالصحابية كلهم متفقون لا يختلفون في ذلك المعنى ولا التابعون وأئمة الإسلام ، ولم

(١) مختصر الصواعق المرسلّة : ٣٢٩/٢ .

(٢) انظر الصواعق المرسلّة : ٣٢٤/٢ ، والتمهيد لابن عبد البر : ١٤٥/٧ ، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية : ٢٣٧ ، والدرر السننية في الأحوية النجدية : ٥٨/٣ .

يقول أحد منهم أنه بمعنى استولى ، وأنه مجاز ، فلا يضر الاحتمال بعد ذلك في اللغة لو كان حقاً»^(١) .

ثالثاً : يقال لهم : إن قولكم : لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث لكنه غير مشابه للحوادث ينتج فهو غير مستو على العرش .

[يقال لكم في هذا] هذه النتيجة الباطلة تضاد سبع آيات من المحكم المنزل ، ولكننا الآن نقول في هذا على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين نقول : هذا قياس استثنى فيه نقيض التالي فانتج منه نقيض المقدم حسب ما يراه مقيم هذا الدليل .

ونحن نقول : إنه تقرر عند عامة النظار أن القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة ، لزوميه يتوجه عليه القدح في ثلاث جهات :

١- يتوجه عليه من جهة استثنائه .

٢- ويتوجه عليه من جهة شرطيته - إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح .

٣- ويتوجه عليه القدح من جهتهما معاً .
وهذه القضية كاذبة الشرطية فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذباً بحتاً ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات .

وإيضاحه أن نقول : قولكم لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث هذا الربط بين لو واللام كاذب كاذب بل هو مستو على عرشه كما قال من غير مشابهة للحوادث^(٢) .

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ٣٣٦/٢ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : ٢٣ .

وبعدما تبين لنا فساد ما ذهب إليه النفاة من تأويل استواء الله على عرشه الذي هو علو خاص نشرع في بيان فساد قولهم في علوه العام لجميع المخلوقات - الذي يعبرون عنه بعلو الرتبة والمكانة والقهر والقدرة إلى غير ذلك من الألفاظ .

وذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة .

فإذا تأمل المتصف في هذه الأدلة علم بطلان هذه التأويلات المستكرهة التي حملهم عليها القياس الفاسد .

لكن قبل أن نأتي إلى الأدلة يحسن الكلام على العلو الخاص والعلو العام ، فاستواء الله على عرشه ، هو علو يختص به العرش ، وليس هو العلو العام الشامل لجميع المخلوقات ، ولهذا لا يصح أن نقول استوى على المخلوقات أو على السماء أو على الأرض مع أنه عال على السماء عال على الأرض ونحو ذلك وأما العرش ، فنقول : أن الله تعالى عال على عرشه ومستوى على عرشه فالاستواء أخص من مطلق العلو ، ولهذا كان استواء الله تعالى على عرشه من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته بخلاف علوه فإنه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

((فلإن قيل : فإذا كان إنما استوى على العرش بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام فقبل ذلك لم يكن على العرش ؟ قيل الاستواء علو خاص فكل مستوى على شيء عال عليه ، وليس كل عال على شيء مستوياً عليه ، ولهذا لا يقال لكل ما كان عالياً على غيره أنه

(١) انظر مجمرع فتاوى ابن تيميين : ١٢٩/١ .

مستوى عليه ، واستوى عليه ونكن كل ما قيل فيه استوى على غيره فإنه عال عليه»^(١).

ومن الآيات الدالة على علوه تبارك وتعالى :

- ١- قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾^(٢) .
ففيها التصريح بالفوقية مقرونة بحرف « من » المعينة للفوقية بالذات وهو معنى معروف عند أهل اللغة بخلاف قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾^(٣) فهي محتملة^(٤) .
- ٢- وقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾^(٥) .
ففيها التصريح بالعروج إليه .
- ٣- وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾^(٦) .
ففيها التصريح بالصعود إليه .
- ٤- وقوله تعالى : ﴿ بَلِّغْ رَفَعًا لِّلَّهِ إِلَيْهِ ﴾^(٧) .
ففيها التصريح برفع عيسى عليه السلام إليه .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥٢٢/٥ .

(٢) النحل : ٥٠ .

(٣) الأنعام : ١٨ .

(٤) انظر شرح الطحاوية : ٣٨١/٢ ، وانظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة

النبوية : ٢٢٧ .

(٥) المعارج : ٤ .

(٦) فاطر : ١٠ .

(٧) النساء : ١٥٨ .

فهذه الآيات الثلاث كما ترى فيها ابلغ دلالة على علو الله تبارك وتعالى على خلقه ففيها التصريح بالعروج والصعود ، والرفع إليه .

ومن الآيات الدالة على علوه تبارك وتعالى :

١- قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾^(١) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾^(٢) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾^(٣) .

٤- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾^(٤) .

ففي هذه الآيات الكريمة التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدرًا وشرفاً .

ومن الآيات أيضاً :

١- قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾^(٥) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٦) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٧) .

(١) البقرة : ٢٥٥ . .

(٢) سبأ : ٢٣ .

(٣) غافر : ١٢ .

(٤) الشورى : ٥١ .

(٥) الزمر : ١ .

(٦) غافر : ٢ .

(٧) فصلت : ٢ .

الأدلة من السنة :

الأدلة على صفة العلو كثيرة جداً من ذلك :

١- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً »^(١) .

٢- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي »^(٢) .

٣- وحديث زينب رضي الله عنها زوج النبي ﷺ التي كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : « زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات »^(٣) .

٤- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٦٧/٨ ، ومسلم : ٧٤٢/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٨٤/١٣ ، ومسلم : ٢١٠٧/٤ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٠٣/١٣ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤١٥/١٣ ، ومسلم : ٤٣٩/١ .

٥- حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة «ألا هل بلغت؟ فقالوا: نعم - فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: اللهم أشهد»^(١).

والحديث يطل قول من يقول أن المراد بالعلو علو القدر أو المكانة لأنه لا يشار بالأصبع إلى العظمة ولا تستشهد المرتبة، فلم يبق إلا أن المراد بالعلو علو الذات، وعلو القدر والمرتبة والقهر هو لازم لعلو الذات.

٦- وحديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما: قال قال رسول الله ﷺ «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قلنا: وكيف يصف الملائكة عند ربهم، قال يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف»^(٢).

٧- وحديث معاوية بن الحكم السهمي رضي الله عنه قال: «كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت فصككتها، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعظم ذلك علي، فقلت يا رسول الله أفلا اعتقها قال: ادعها، فدعوتها فقال لها: أين الله؟ قالت في السماء قال: من أنا؟ قالت رسول الله ﷺ قال: اعتقها فإنها مؤمنة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم: ٧٧٦/٢.

(٢) أخرجه مسلم: ٣٢٢/١، وأبو داود: ٤٣١/١.

(٣) أخرجه مسلم: ٣٨١/١، وأبو داود: ٥٧٠/١.

ومن ذلك أحاديث المعراج :

ومنها حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وفيه : « ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد » الحديث (١) .

وهو طويل وفيه أن النبي ﷺ تجاوز السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تبارك وتعالى فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة فلم يزل يتردد بين موسى النبي وبين ربه جل وعلا حتى خفف عن أمته (٢) .
ومن ذلك أحاديث النزول :

وفيها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يقبض ثلث الليل الآخر » الحديث (٣) .

والأدلة في هذا الباب كثيرة جداً يصعب حصرها .

قال : بعض أكابر أصحاب الشافعي : « في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق ، وأنه فوق عباده ، وقال غيره : فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك » (٤) .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أكثر من عشرين نوعاً من الأدلة وكل نوع تحته عدد من الأدلة (٥) .

(١) أخرجه مسلم : ١٤٥/١ .

(٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية : ٩٨ .

(٣) أخرجه البخاري : ٢٥/٣ ، ومسلم : ٥٢١/١ .

(٤) مجموع الفتاوى : ١٢١/٥ .

(٥) انظر شرح التوبة لابن عيسى : ٣٩٦/١ وما بعدها .

وفيما ذكر من الأدلة فيه الكفاية لمن هداه الله وألهمه رشده ، وأما
من أراد الله فتته فلا حيلة فيه بل لا تزيده كثرة الأدلة إلا حيرة وضلالاً .
قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاءً مَّهِوْشِفًا وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ^(١) .

* * * * *

(١) الإسراء : ٨٢ .

ويحسن هنا أن نقل بعض أقوال الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين وهي في مجموعها مستندة إلى صريح كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ﷺ فلا قيمة لقياس النفاة الفاسد مع وجود هذه الأدلة القاطعة بعلو الله على خلقه .

قال أبو بكر الصديق ﷺ : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت »^(١) .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ عن المرأة التي استوقفته لحاجتها : « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات »^(٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً »^(٣) .

وقالت عائشة رضي الله عنها مرثية نفسها من إرادة قتلها لعثمان ﷺ « علم الله فوق عرشه أنني لم أحب قتله »^(٤) .

بل الصحابة جميعاً على أن الله في السماء ويدل لهذا رواية عميرة العبيدي أنه قال : « فخرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء » .

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية : ١١٩ ، والذهبي في العلو انظر المختصر : ٦٢ ، والمقدسي في العلو : ١٤٨ ، وذكره الذهبي في الأربعين : ٥٦ ، وقال رواه الدارمي بإسناد صحيح .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٢٠ ، إثبات صفة العلو لابن قدامة : ١٤٩ .

(٣) رواه الذهبي في العلو ، انظر المختصر ٩٥ ، وقال الشيخ الألباني وهو صحيح ، وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٢٤ .

(٤) مختصر العلو : ١٠٤ ، قال الألباني وإسناده صحيح ، واجتماع الجيوش الإسلامية : ١٥٢ .

قال ابن قدامة : وهذا إخبار عن جميعهم ^(١) .

ومن أقوال التابعين :

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله : « قالت بنو إسرائيل يارب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك ؟ قال إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم » ^(٢) .

وقال ثابت البناني رحمه الله : « كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ، ثم يقول : إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها ، يا ساكن السماء » ^(٣) .

قال ابن القيم : وهذا الرفع إن كان في الصلاة فهو منسوخ في شرعنا وإن كان بعد الصلاة فهو جائز كرفع اليدين في الدعاء إلى الله عز وجل » ^(٤) .

وقوله يا ساكن السماء - يعني يا موجوداً في السماء وليس في هذا اللفظ شيء من المخطور كما يدعى أهل الجهالة ، لأنهم لا يعرفون من السكن إلا ما اصطلحت عليه الناس أنها إذا دخلت في بيت أو منزل وقضت حياتها فيه سميت بذلك ساكنة وغاب عن أذهانهم أن هذا اللفظ

(١) إثبات صفة العلو لابن قدامة : ١٤٥ .

(٢) مختصر العلو : ١٣٠ وقال الذهبي هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار وحسن إسناده الألباني ، وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٢٨ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية : ٢٦٨ ، قال ابن القيم رواه اللالكائي بإسناد صحيح وصححه الذهبي ، انظر مختصر العلو : ٩٩-١٠٠ ، والأربعين له : ٥٨ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية : ٢٦٨ .

غير مختص ببيت أو منزل بل كل ساكن يكون سكنه بصفة تخصه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(١) .

فهل معنى هذا : أن الله أنزل الماء وهيأله بيتاً يأكل فيه ويشرب وينام ويستريح هذا لا يقوله عاقل يدري ما يقوله^(٢) .

ومن أقوال تابع التابعين :

قول الأوزاعي : « كنا والتابعون ، متوافرون - نقول : إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته »^(٣) .

وقال ابن المبارك عندما قيل له : « بم نعرف ربنا ؟ قال بأنه فوق سمواته على عرشه ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ههنا يعني في الأرض »^(٤) .

أقوال الأئمة المشهورين :

من ذلك قول أبي حنيفة رحمه الله عندما سئل عن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض ، فقال : « قد كفر لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وعرشه فوق سمواته ثم أردف

(١) المؤمنون : ١٨ .

(٢) انظر إثبات علو الله على خلقه لأسامة بن توفيق القصاص : ٣٢٣ .

(٣) كتاب الأسماء والصفات لليهقي : ٢٠٤/٢ ، وإسناده صحيح عن الأوزاعي ، أنظر مجموع الفتاوى : ٣٩/٥ ، وقال ابن القيم : رواه كلهم أئمة ثقات ، أنظر مختصر الصواعق : ٣٧٤/٢ .

(٤) مختصر الصواعق : ٣٨٤/٢ صححه الذهبي ، والألباني ، انظر مختصر العلو : ١٥١ -

١٥٢ ، صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٣٤ .

ذلك بكفر من قال إنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض» (١) .

قال شارح الطحاوية : « ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن يتسبب إلى مذهب أبي حنيفة ، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته » (٢) .

وقال الإمام مالك رحمه الله : « الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء » (٣) .

وقال الشافعي رحمه الله : « القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما ، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء .. وذكر سائر الاعتقاد » (٤) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : عندما قيل له : « الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه » (٥) .

(١) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٤٠ ، ومختصر العلو : ١٣٦ .

(٢) شرح الطحاوية : ٣٨٧/٢ .

(٣) مختصر العلو ١٤٠ ، وقال الشيخ الألبان : سنده صحيح .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية : ١٦٥ ، ومختصر العلو : ١٧٦ .

(٥) مختصر العلو : ١٨٩ ، قال الشيخ الألباني : إسناده صحيح .

وفي هذا القدر من القول كفاية لمن أراد الله له الهداية ، وإلا
فالبحث في هذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات ، وغرضي هو التمثيل لا
الحصر والله المستعان .

المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على نفاذ النزول

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

صفة النزول كغيرها من الصفات قد نال القياس الفاسد التلاعب بنصوصها بتسليط التأويلات الفاسدة عليها لأنه أشتبه على كثير من الناس أمرها لظنهم بحسب أوهامهم الباطلة وعقولهم الفاسدة أن ما وصف الله به نفسه هو من جنس ما توصف به أجسامهم فلما فهمت ذلك في صفة النزول وأن النازل من مكان إلى مكان يفرغ منه المكان الأول ويشغل المكان الثاني نفت حقيقة نزول الرب تبارك وتعالى الثابت بالسنة المتواترة .

ويظهر القياس الفاسد في أمور :

١- منها إذا نزل الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا هل يخلو منه العرش أم لا يخلو ؟

٢- إذا نزل إلى السماء الدنيا هل تقله والسموات التي فوقها تظله ؟ لأنه يصعب - في قياسهم الفاسد - الجمع بين استوائه على العرش مع نزوله إلى سماء الدنيا ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وحكى عن بعض الجهال أنه قيل له : فالسموات كيف حالها عند نزوله ؟ قال يرفعها ثم يضعها وهو قادر على ذلك ، فهؤلاء الذين يتخيلون ما وصف رسول الله ﷺ به ربه أنه مثل صفات أجسامهم كلهم ضالون ، ثم يصيرون قسمين :

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين : ٢٠٤/١ .

١- قسم علموا أن ذلك باطل وظنوا أن هذا ظاهر النص ومدلوله وأنه لا يفهم منه معنى إلا ذلك فصاروا :
- إما يتأولوه تأويلاً يحرفون به الكلم عن مواضعه .
- وأما أن يقولوا : لا يفهم منه شيء ويزعمون أن هذا مذهب السلف ...

٢- وقسم ثانٍ : من الممثلين لله بخلقه لما روأوا أن قول هؤلاء منكر وأن قول الرسول ﷺ حق قالوا مثل تلك الجهالات : من أنه تصير فوقه سماء وتحت سماء أو أن السماوات ترتفع ثم تعود ونحو ذلك لمن له أدنى عقل ولب «^(١) .

فالشبهة التي اعتمد عليها هؤلاء في تأويل خبر النزول إنما نشأت من عدم إدراكهم لما يجب لله سبحانه في أفعاله الاختيارية من مباينتها لما هو ثابت للمخلوقين من ذلك ، فظنوا أن نزوله يستلزم أموراً يجب أن ينزه الله عنها وهذا الظن إنما نشأ لديهم من قياسهم الغائب على الشاهد فقالوا : إن نزوله يلزم منه أن يفرغ منه مكان ليشغل مكاناً آخرأ ، قالوا : هل يلزم من ذلك أن يخلو منه العرش أم لا وهل في نزوله ، يكون هناك فوق بالنسبة له أم لا ؟ وكل هذه التساؤلات مأخوذة من قياس الغائب على الشاهد .

وحاصل القول أن كلام أهل البدع معارض لما جاء في كلام الله ورسوله وتعوضوا عن ذلك بما أملت عليهم أفكار أهل التجهم الذين لم يعرفوا من صفات الله إلا ما يعرفونه من انفسهم فقاسوا نزول الله على

(١) شرح حديث النزول : ٣٣١-٣٣٢ .

نزولهم من أعلى إلى أسفل ، ولذلك نجد أن هذا القياس قد جرهم إلى التأويل .

فقالوا : في معنى النزول :

ينزل : أمره ، أو ملك من الملائكة ، أو المراد نور رحمته ^(١) .
إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة التي يعلم بطلانها من له أدنى تأمل في النصوص الشرعية كما سيأتي إن شاء الله أثناء الرد على هذا القياس .

(١) انظر شرح جوهرة التوحيد : ٩٣ .

المبحث الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

سيكون الرد على هذا القياس الفاسد بمعرفة أمور :

١- بيان تواتر أحاديث النزول وذكر طرف منها فإن المسلم الحق إذا علم ذلك فإنه لا يسعه إلا التسليم بما دلت عليه وعدم الالتفات إلى الأقيسة الفاسدة فلا اعتبار لها مع وجود النصوص .

٢- الإجابة على التساؤلات التي أفرزها القياس الفاسد والتأويلات الفاسدة التي تمخضت عنه .

فنقول وبالله التوفيق :

لقد تواتر حديث النزول فقد رواه عن النبي ﷺ ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع فكيف تكون حقيقة محالاً وباطلاً ، والرسول ﷺ يتكلم بها دائماً ويعيد القول فيها ويديه مرة بعد مرة ومن تأمل في ألفاظ الحديث وجدها تدل على حقيقة النزول للرب تبارك وتعالى على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ^(١) .

وسوف أسوق بعضاً من أحاديث النزول :

١- من ذلك ما رواه أبو هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٤٢٣/٢ . .

الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيته من يستغفري فأغفر له »^(١) .

٢- ومن ذلك أيضاً مارواه أبو هريرة : « إذا كان يوم القيامة نزل الله إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى رجل جمع القرآن »^(٢) .

٣- ومن ذلك ما رواه رفاعة الجهني أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مضى ثلث الليل - أو شطر الليل - أو ثلث الليل - ينزل الله إلى سماء [الدنيا] فيقول لا أسأل عن عبادي أحداً غيري ، من يستغفري أغفر له ؟ من يدعوني أستجيب له ؟ ومن يسألني أعطيه حتى يتفجر الصبح »^(٣) .

٤- ومن ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : « نعم اليوم يوم عرفه ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ، أنظر فتح الباري : ٢٩/٣ ، ومسلم : ٥٢١/١ ، وأبو داود :

٧٦/٢ ، وابن ماجه : ٤٣٥/١ .

(٢) أخرجه مسلم : ١٩٠٤/٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه : ٤٣٥/١ ، والدارمي : ٢٨٦/١ - ٢٨٧ ، وابن خزيمة في التوحيد : ٣١٢/١ - ٣١٤ ، والأجري في الشريعة : ٢٧٥ - ٢٧٦ ، وهو حديث صحيح ، أنظر مختصر الصواعق المرسله : ٤٣٤/٢ ، والرد على الجهمية للدارمي : ٦٤ .

(٤) أخرجه الدارقطني في النزول : ٩٥ ، والدارمي في الرد على الجهمية بإسناد حسن : ٧١ ، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف بإسناد آخر حسن : ٤٥ - ٤٨ .

٥- ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه وإنه عز وجل ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء »^(١) .
وفي هذا القدر من الأحاديث كفاية بل لو لم يكن إلا حديثاً واحداً صحيحاً فإنه كاف في إثبات صفة النزول ، ومعنى النزول معروف في لغة العرب فإنه لا يكون إلا من علو إلى أسفل ، وأما كيفية النزول فهي مجهولة لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن لله ذاتا لا تشبه الذوات ولا تكيف فكذا صفة النزول لا سبيل لنا إلى معرفة حقيقتها وكيفيةها .

وأما ما اعترض به المعطل على معنى النزول ، بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾^(٢) ، وبقوله ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ نَمِيسَةً أَرْوَاجَ ﴾^(٣) ، وأن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض .
فإنه لا يخرج لفظة النزول عن حقيقتها إذا عدم النزول من مكان معين لا يستلزم عدمه مطلقاً فإن إنزال الحديد غالباً ما يكون من أعالي الجبال ، وإنزال الأنعام إما من أصلاب الأبناء إلى بطون الأمهات أو من بطون الأمهات إلى الوجود الخارجي ، وكلها فيها معنى النزول من علو إلى أسفل .

ومما يوضح هذا أن العرب لم تستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أحد أنزل النبات ولا أنزل المرعى ، وإنما استعمل ذلك

(١) أخرجه مسلم : ٩٨٢/٢ .

(٢) الحديد : ٢٥ .

(٣) الزمر : ٦ .

فيما خلق في محل عال وأنزله الله من ذلك المحل إلى أسفل كإنزال الحديد من أعالي الجبال وكإنزال الأنعام من بطون الأمهات^(١) .

ويحسن هنا أن نذكر بعض أقوال أئمة السلف حول أحاديث النزول وفيها إنكار على أصحاب الأقيسة الفاسدة .

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله : فهذه الأحاديث قد جاء كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن .

وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من رواتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ بردٍ وتشمروا لدفعها بجدٍ فقالوا كيف نزوله هذا ؟

قلنا لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا ولا تعقله قلوبنا وليس كمثل شيء من خلقه فنشبهه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء فالكيف منه غير معقول والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب ، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل ؟ وهم يسألون ، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء ، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف السذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله عليه ، كيف يصنع ؟ وكيف قدر ؟^(٢) .

وقال الإمام : محمد بن خزيمة رحمه الله : « باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام » رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة ، نشهد شهادة مقرر

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلّة : ٤٢٠/٢ - ٤٢١ .

(٢) الرد على الجهمية : ٧٩ .

بلسانه مصداق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل والله - جل وعلا - لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم .

فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول .

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح : أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه إذ محال في لغة العرب أن يقول نزل من أسفل إلى أعلا ، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل»^(١) .

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه الله^(٢) : « وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة كثيرة بسنن ثابتة عند أهل العلم وقال : « الإيمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول : كيف ينزل ؟ ولا يردد هذا إلا المعتزلة » .

وأما أهل الحق فيقولون : الإيمان به واجب بلا كيف ، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ ، أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب : ٢٨٩/١ - ٢٩٠ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه المحدث الشافعي ، كان صالحاً عابداً ثقة صدوقاً دينياً له تصانيف كثيرة استوطن مكة حرسها الله وتوفى بها أول يوم من المحرم سنة ٣٦٠ هـ رحمه الله ،

أنظر التاج المكلل للعلامة صديق بن حسن البخاري الفتوحى : ١١٣-١١٤ .

كل ليلة ، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من
الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ،
وكما قبل العلماء منهم ذلك ، كذلك قبلوا منهم هذه السنن وقالوا : من
ردها فهو ضال خبيث يحدرونه ويحذرون منه ^(١) .

وقال الإمام : عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني رحمه الله :
« فلما صح خير النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة وقبلوا الخير ،
وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول
خلقه ، ولم يبحثوا عن كيفيته إذ لا سبيل إليها بحال ، وعلموا وتحققوا
واعتقدوا أن صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله
عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً » ^(٢) .

وقال شيخ الإسلام : « فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل
إلى سماء الدنيا كل ليلة ، وأنه يدنو عشية عرفه إلى الحجاج ، لم يلزم من
ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان
المشهودة حتى يقال : ذلك يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر » ^(٣) .
وقال ابن القيم :

إن الأوهام الباطلة والعقول الفاسدة لما فهمت من نزول الرب
ومجيئه وإثباته وهبوطه ودنوه ما يفهم من مجيء المخلوق وإتيانه وهبوطه

(١) الشريعة : ٢٧٢-٢٧٣ .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث : ٤٨-٤٩ .

(٣) دقائق التفسير : ٤٢٤/٦ .

ودنوه وهو أن يفرغ مكاناً ويشغل مكاناً نفت حقيقة ذلك فوقعت في محذورين :

١- محذور التشبيه . ٢- ومحذور التعطيل .

ولو علمت هذه العقول الضعيفة أن نزوله سبحانه ومجيئه وإتيانه لا يشبه نزول المخلوق وإتيانه ومجيئه كما أن سمعه وبصره ، وعلمه ، وحياته كذلك بل يده الكريمة ، ووجهه الكريم كذلك وإذا كان نزولاً فكيف تنفي حقيقته ^(١) .

وأما الإجابة على التسآلات التي أفرزها القياس الفاسد فيقال للإجابة على سؤال : هل يخلو منه العرش عند نزوله أم لا ؟ هذا سؤال لا يرد إلا على صفة المخلوق الذي إذا انتقل من مكان إلى مكان آخسر خلا منه المكان الأول وشغل المكان الثاني .

أما الرب تبارك وتعالى لا يرد عليه هذا السؤال إذ لا يقاس بخلقه

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

وأصل هذا السؤال تنطع وإيراده غير مرضى لكن يسأل صاحبه فيقال له هل أنت أحرص من صحابة رسول الله ﷺ على فهم صفات الله ؟ ولا بد أن يجيب بنعم أو لا .

فإن قال : نعم فقد كذب فحال القوم من الحرص على معرفة المطالب العالية يشهد بهذا ، وإن قال : لا ، قلنا فليسعك ما وسعهم لأنهم ما سألوا الرسول ﷺ هذا السؤال ، ولست مكلفاً بالجواب عنه فليس إليك بل أنت مأمور بأن تصدق الخير .

(١) مختصر الصواعق المرسله : ٤٢٩/٢ .

وإذا قدر أن شخصاً ابتلى بأن وجد العلماء بحثوا في هذا واختلفوا فيه فمنهم من يقول بخلو ، ومنهم من يقول لا بخلو ، ومنهم من توقف فالسبيل الأقوم في هذا هو التوقف ، ثم القول بأنه لا بخلو منه العرش وأضعف الأقوال هو القول بخلو العرش^(١) .

وكذلك الجواب عن السؤال هل إذا نزل ثقله السماء ؟

بأن يقال الرب تبارك وتعالى لا يقاس بخلقه فهذا سؤال لا يرد إلا على صفة المخلوق العاجز الفقير الذي إذا نزل من مكان عال إلى مكان أسفل منه فإن الأسفل يقله ويكون محتاجاً إليه أما الرب الخالق القادر الغني عن كل شيء ولا يستغنى عنه شيء فلا يرد هذا السؤال على من هذه صفته .

وكذلك يقال على جواب هل السماء ترضه إذا نزل بمعنى هل

تكون فوقه ؟

هذا قياس الخالق على المخلوق فإن هذا لا يتصور إلا في حق المخلوق الذي إذا نزل من مكان عال إلى مكان أسفل منه فإن العالي يظله والأسفل يقله ولا بأس أن يقال هذا السؤال من أصله بدعة لأن فيه محاولة لمعرفة الكيفية ، كما قال الإمام مالك عندما سئل عن كيفية الاستواء ، فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ولأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يسألوا عنه .

لكن مع هذا يقال لهذا الشخص الذي يخشى عليه أن يعتقد في صفات الله مالا يجوز ، الجواب عن هذا السؤال ، أن السماء لا تظله لأن القول بخلاف هذا يطل صفة العلو اللازمة للرب تبارك وتعالى فهي صفة

(١) انظر مجموع فتاوى بن عثيمين : ١/٢٠٤-٢٠٥ .

ذاتية لا تنفك عنه ، فإذا تحير وبهت كيف ينزل إلى السماء الدنيا ولا تقله
ولا تكون السماوات الأخرى فوقه هل يمكن هذا ؟
فيقال له : تحريك وانبهارك إنما حصل لك من قياسك الخالق على
صفات المخلوق^(١) .

ومما يدل على أن السماء ليست فوقه :
قول النبي ﷺ : « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت
الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن
فليس دونك شيء »^(٢) .

قال شيخ الإسلام : « وهذا نص في أن الله ليس فوقه شيء ،
وكونه الظاهر صفة لازمة له مثل كونه الأول والآخر ، وكذلك الباطن
فلا يزال ظاهراً ليس فوقه شيء ولا يزال باطناً ليس دونه شيء »^(٣) .
وقال أيضاً :

وهذا الباب ونحوه إنما اشتبه على كثير من الناس لأنهم صاروا
يظنون أن ما وصف الله عز وجل به من جنس ما توصف به أجسامهم
فيرون ذلك يستلزم الجمع بين الضدين ، فإن كونه فوق العرش مع نزوله
يتمتع في مثل أجسامهم ، لكن مما يسهل عليهم معرفة إمكان هذا : معرفة
أرواحهم ، وصفاتها ، وأفعالها وأن الروح قد تعرج من النائم إلى السماء
وهي لم تفارق البدن ... وكذلك الساجد ... وكذلك تقرب الروح إلى

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين : ٢٠٥/١-٢٠٦ .

(٢) أخرجه مسلم : ٢٠٨٤/٤ ، والترمذي : ٤٧٢/٥ ، وابن ماجه : ١٢٧٤/٢ ، وأبو
داود : ٣٠١/٥ .

(٣) شرح حديث النزول : ٤٦٢ .

الله في غير حال السجود مع أنها في بدنهما ولهذا يقول بعض السلف :
« القلوب جواره قلب يجول حول العرش وقلب يجول حول
الحش »^(١) .

وأما الإجابة عن التأويلات التي حملهم عليها القياس الفاسد فهي
كما يأتي :

أولاً : تأويلهم النزول بنزول ملك من الملائكة لا يصح وذلك من
وجوه :

١- إن الملائكة تنزل إلى الأرض في كل وقت والحديث خص
النزول بجوف الليل وجعل منتهاه سماء الدنيا والملائكة لا يختص نزولهم لا
بهذا الزمان ولا بهذا المكان .

٢- أنه قال في الحديث : « من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني
فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

وهذه العبارة لا يجوز أن يقولها ملك عن الله ، ولو كان القائل
ملكاً لكان الواجب أن يقول : من يدعو الله فيستجيب له ؟ إلخ .

فإن هذا موجب اللغة التي بها خوطبنا بل ، وموجب كل اللغات
فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم ، فأما من أخرج عن غيره وإنما يأتي
باسمه الظاهر ، وضائر الغيبة^(٢) .

ومما يؤكد هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إنني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه

(١) المصدر السابق : ٣٩٥-٣٩٦ .

(٢) انظر شرح حديث النزول : ١٣٩-١٤١-٢٣٥ .

جريريل ، ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء» الحديث (١) .

ففي هذا الحديث الفرق بين الندائين : نداء الله ، أني أحب فلاناً فأحبه ، ونداء جريريل إن الله يحب فلاناً فأحبه .

وأما مارواه النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ : « إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ، ثم يأمر منادياً ينادي يقول هل من داع يستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطى ؟ » (٢) .

فلا منافاة بين هذه الرواية وبين أحاديث النزول فالله عز وجل ينزل هو كما يأمر ملكاً ينادي .

قال شيخ الإسلام : « فإن هذا إن كان ثابتاً عن النبي ﷺ فالرب يقول ذلك ، ويأمر منادياً بذلك لا أن المنادي يقول : من يدعوني فأستجيب له » (٣) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٦١/١٣ ، ومسلم : ٢٠٣٠/٤ .

(٢) السنن الكبرى : ١٢٤/٦ .

(٣) شرح حديث النزول : ١٤٣ .

ثانياً : تأويلهم النزول ، بالأمر والرحمة لا يصح أيضاً :

١- لأنه جاء في حديث رفاة المتقدم « لا أسأل عن عبادي أحداً غيري » ومعلوم أن هذا كلام الله الذي لا يقوله غيره فأما الأمر والرحمة فلا يقولان ذلك .

٢- ولأنه جاء في الحديث - من يدعوني فأستجيب له - والأمر والرحمة لا يقولان ذلك فالذي يجيب الدعاء ، ويفغر الذنوب ويعطي كل سائل سؤاله هو الله تبارك وتعالى .

٣- إن تأويل النزول بنزول الأمر والرحمة يطل مذهبهم في إنكار العلو لأن تأويلهم هذا يقتضي أن يكون الله فوق العالم ولهذا قال بعض النفاة ، لبعض المثبتين ينزول أمره ورحمته فقال له المثبت : فمن أين ينزل ؟ ما عندك فوق شيء ، فلا ينزل منه لا أمر ولا رحمة ولا غير ذلك ، فبهت النافي وكان كبيراً فيهم ^(١) .

٤- إن رحمة الله تبارك وتعالى تنزل كل وقت وأن لا يختص نزولها بوقت معين ^(٢) .

وأما ما نسب إلى الإمام مالك من تأويل النزول بنزول أمره ^(٣) . فهذه نسبة باطلة عن الإمام مالك رحمه الله الذي عرف من مذهبه الإثبات وقولته مشهورة ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة وهذه الرواية عن الإمام مالك يرويها حبيب بن أبي حبيب ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « حبيب بن أبي حبيب المصري ،

(١) انظر شرح حديث النزول : ٢٣٣-٢٣٤ .

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٤٥٢/٢ .

(٣) انظر دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه : ١٩٥ .

كاتب مالك يكنى أبا محمد واسم أبيه إبراهيم ، وقيل مرزوق متروك كذبه أبو داود وجماعة مات سنة ثمانى عشرة ومائتين» (١) .

وقال النسائي : « حبيب كاتب مالك متروك الحديث » (٢) .

وقال الذهبي : « كذبه أبو داود » (٣) .

فالحاصل أن حبيب هذا يكذب في الحديث وليس بثقة ولا مرضى وقد أثنى عليه شراً وسوأً يروى الأحاديث الموضوعية (٤) .

وقال ابن القيم : فإن المشهور عنه [أي مالك] وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها ... وهذه الرواية لها إسنادان : أحدهما : من طريق حبيب كاتبه ، وحبيب هذا غير حبيب بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله .

والإسناد الثاني : فيه مجهول لا يعرف حاله (٥) .

وأما ما روى عن الإمام أحمد رحمه الله :

في تأويل النزول ، بنزول قدرته فقد أجاب عنه ابن القيم رحمه الله بما يأتي :

أولاً : أنها رواية شاذة مخالفة لجادة مذهبه وأنها غلط عليه لأن حنبلاً تفرد بها عنه .

(١) تقريب التهذيب : ١٨٣/١ .

(٢) كتاب الضعفاء والمترولين : ٩٠ .

(٣) الكاشف : ١٤٥/١ .

(٤) انظر الجرح والتعديل لأبي حاتم السرازي : ١٠٠/٣ .

(٥) مختصر الصواعق المرسلّة : ٤٥٣/٢ .

ثانياً : أنه لو سلم بأنها صحيحة الإسناد فتحمل على أنه قد رجع عنها .

ثالثاً : أن الإمام أحمد قال ذلك على سبيل المعارضة للجهمية القائلين بخلق القرآن ، فإنهم لما استدلوا بإتيان القرآن على أنه مخلوق فعارضهم إلزاماً لهم أن المراد إتيان ثوابه كما أنكم تقولون في إتيان الله إتيان أمره ، لا أنه يعتقد ذلك والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به ^(١) .

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٤٥٢/٢ .

المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على نفاذ المصلحة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

إن المسلم الحق صاحب الفطرة السليمة ليعجب أشد العجب من الجهمية ومن سار على دربهم في زعمهم أن الله لا يُجِبُّ ولا يُحَبُّ وماذا إذا يصنعون بالنصوص المصرحة بالمحبة من جانب الرب سبحانه وتعالى ومن جانب العبد؟ هل يكذبونها؟ وهل يجرؤون على ذلك أمام جمهور المسلمين؟ فالجواب لا يستطيعون ذلك، ولكن هناك طريق سهل سلكوه وهو تأويل هذه النصوص بما يتناسب مع قياسهم الفاسد المستكن في نفوسهم فهو الحامل لهم على تأويل هذه النصوص الذي هو في الحقيقة تحريف وإنما سموه تأويلاً ليكون سائغاً بعض الشيء فأولوا نصوص محبة العباد لربهم بمحبة طاعته وعبادته والازدياد من الأعمال الصالحة لينالوا الأجر والثواب، وهكذا.

وأما محبة الله لعباده فأولوها بالإحسان إليهم واعطائهم الثواب، وربما أولوها بثائهم ومدحه لهم، ونحو ذلك، وربما أولوها بإرادته لذلك فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل كالعطاء والإحسان، وتارة يؤولونها بالإرادة نفسها^(١).

وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة، بدعوى أنها توهم نقصاً، إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأما الأشاعرة فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

(١) انظر التدمرية: ٣١، ومدارج السالكين: ١٨/٣، وكتاب الأسماء والصفات

لليهقي: ٤٦٩/٢.

وكذلك يقولون في صفات الرضى والغضب ، والكراهية ،
والسخط ، كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب .

وأما المعتزلة : فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به ، فيفسرون المحبة
بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء ، بناء على مذهبهم في
وجوب إثابة المطيع ، وعقاب العاصي .

وأما أهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق
به فلا تقتضي عندهم نقصاً ولا تشبيهاً ، كما يثبتون لازم تلك المحبة ،
وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته ^(١) .

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين : أما أهل البدع الذين أنكروها
فليس عندهم إلا حجة واهية يقولون :

أولاً : إن العقل لا يدل عليها .

ثانياً : إن المحبة إنما تكون بين اثنين متحانسين لا تكون بين رب

ومخلوق أبداً ولا بأس أن تكون بين المخلوقات ^(٢) .

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس : ١٠٢ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين : ٢٤٦/١ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

أسوق هنا جملة من الآيات والأحاديث التي عارضها القياس الفاسد

أولاً : الآيات :

الآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة جداً فلا اعتبار للقياس معها :
منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١)

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَلْبَسْتُمْ لِلرِّجَالِ مَاءً فَلَا تَجْعَلُوهُ مَجْتَذاً ﴾^(٢)
وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَلْبَسْتُمْ لِلنِّسَاءِ مَاءً فَلَا تَجْعَلُوهُ مَجْتَذاً ﴾^(٣)
بُنِينَ مَرْتُضُونَ ﴾^(٤)

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنِ الظُّلْمَ ﴾^(٥)

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَلْبَسْتُمْ لِلرِّجَالِ مَاءً فَلَا تَجْعَلُوهُ مَجْتَذاً ﴾^(٦)
وقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٧)
وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(٨)

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

(٣) الصف : ٤ .

(٤) النساء : ١٤٨ .

(٥) لقمان : ١٨ .

(٦) البقرة : ١٩٥ .

(٧) المسئلة : ٥٤ .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحْسِنُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(١) .

إلى غير ذلك من الآيات والقرآن الكريم مملوء بذكر من يحبه الله
من عباده المؤمنين وذكر ما يحبه من أعمالهم وأخلاقهم ، ومملوء بذكر من
لا يحبه من المفسدين ، والظالمين ، والمختالين .

والآيات الكريمة تفيد أن لهذه الصفة طرفان : طرف محبة الرب
لعبده ، وطرف محبة العبد لربه ، وهي تتفاوت فيما بين العباد فكلما ازداد
المؤمن إيماناً ازداد محبة الله ورغبة في لقائه .

وأكثر العباد محبة لله الأنبياء ثم الصالحون من أتباعهم لأن محبتهم
لله هي التي حملتهم على تحمل المشاق والمصاعب وعلى تحمل كل ما
لاقوه في طريق دعوتهم إليه فالخوف والخشية والتفاني في طاعة الله ،
ونصح عباده وتقديم الخير لهم كل هذا من ثمار محبتهم الصادقة لله التي لا
تسم إلا إذا وصلت بهم تلك المحبة إلى درجة أنهم يحبون من يحبه ويحبون
العمل الذي يقرب إلى حبه .

ومحبة العبد لربه متى صحت وتحققت فهي فوق المحاب إذ هي
الطاقة المحركة للعبد إلى فعل الخيرات .

فهل صلاة العبد وحسنها والخشوع فيها إلا ثمرة من ثمرات محبته
لربه وهل أنفق المنفقون أموالهم إلا لمحبتهم لربه أكثر من محبتهم لأموالهم
وهل صاموا وحجوا وجاهلوا في سبيل الله إلا بدافع من محبتهم لربه
ورغبتهم فيما عنده .

(١) التوبة : ١٠٨ .

وأما محبة الرب سبحانه وتعالى لعبده فلا يماثلها شيء فهي صفة قائمة بالله تعالى وهي فعل من أفعاله يؤهل لها من شاء من عباده ويخذل من شاء ، فإكرام الطائعين أثر من آثار محبته لهم .

وختلاصة القول :

أنه لو سئل مسلم عادي وهو لا يزال على فطرته هل تحب الله ؟ لا ندهش من هذا السؤال الغريب ولأجاب : كيف لا أحبه وأنا مسلم . ولو قيل له : إن الله تعالى لا يحبك لكنت دهشته أكبر واعتبر ذلك إخباراً بأنه لا خير فيه ، وأنه مطرود من رحمة الله ^(١) .

(١) انظر الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان : ٢٧٦-٢٧٧ .

ثانياً : الأحاديث :

والأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة جداً منها :

١- حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر :
« لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله ... »^(١) .

٢- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « سمعت رسول الله ﷺ
يقول : إن الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي »^(٢) .

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله
تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه
فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه
فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض »^(٣) .

٤- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ :
« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ،
سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده »^(٤) .

٥- حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله
والله أكبر لا يضررك بأيهن بدأت »^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ١٤٤/٦ ، ومسلم : ١٨٧٢/٤ .

(٢) أخرجه مسلم : ٢٢٧٧/٤ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٦١/١٣ ، ومسلم ٢٠٣٠/٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٠٦/١١ ، ومسلم : ٢٠٧٢/٤ .

(٥) أخرجه مسلم : ١٦٨٥/٣ .

- ٦- وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »^(١)
- ٧- وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الأنصار : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحببه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله »^(٢) .
- ٨- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... قال لأشج عبد القيس : « إن فيك خصلتين يجبهما الله عز وجل ورسوله الحلم والأناة »^(٣) .
- ٩- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما أفترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ... »^(٤) .
- ١٠- وحديث عائشة رضي الله عنها في حديث أمر السرية الذي كان يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ لأصحابه في كل صلاة وقال : لأنها صفة الرحمن ، فأننا أحب أن أقربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أخبروه أن الله يجبه »^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٥٧/١١ ، ومسلم : ٢٠٦٥/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ١١٣/٧ ، ومسلم : ٨٥/١ .

(٣) أخرجه مسلم : ٤٩/١ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٤٠/١١-٣٤١ .

(٥) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٤٧/١٣-٣٤٨ .

١١- وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أبصر حسناً وحسيناً فقال : « اللهم إني أحبهما فأحبهما » .
وعنه أيضاً قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله واضع الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » ^(١) .
فهل بعد تلك الآيات القرآنية وهذه الأحاديث النبوية مكان أو مكانة لأقيسة الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشعرية ؟

(١) رواهما الترمذي : ٦٦١/٥ ، وقال عنهما حديث حسن صحيح ، وصحهما الألباني انظر صحيح الترمذي : ٢٢٦/٣ ، والأحاديث الصحيحة : ٢٧٨٩ .

مناقشة النفاة فيما ذهبوا إليه من التأويلات :

أولاً : يقال لهم : إن ما تفهمونه من لوازيم محبة المخلوق التي تعرفون حقيقتها وحقيقة صاحبها لا تلزم محبة الله ، لأنه ليس كمثله شيء ولا يحاط به علماً ، وإذا كانت المخلوقات تتباين محبة بعضهم ولا تتشابه فالله عز وجل أعظم مباينة من مباينة المخلوق للمخلوق .

ثانياً : يناقش القوم في الإرادة التي فسروا بها المحبة ولا يخلو هذا من أمرين .

١- إما أن يعودوا إلى رشدكم فيثبتوا الإرادة والمحبة معاً فيسلم لهم إيمانهم لأنهم سلموا لله ورسوله ﷺ .

٢- وإما أن يتعتوا ويعاندوا وهذا فساد كبير في إيمانهم ويلزمهم من نفي المحبة الإرادة والصفات المماثلة لها من العلم والقدرة .

ثالثاً : إن تأويل النفاة لنصوص محبة العباد لربهم ، بمحبة طاعته وعبادته والازدياد من الأعمال الصالحة لينالوا الأجر والثواب ، إنما هو آثار أو ثمرات تلك المحبة التي أنكروها لو كانوا يفقهون ؟^(١) .

رابعاً : إن قولهم : العقل لا يدل عليها ، يجاب عنه بجوابين :
أحدهما : بالتسليم ، الثاني : بالمنع .

التسليم : نقول سلمنا أن العقل لا يدل على المحبة ، فالسمع دل عليها وهو دليل قائم بنفسه ، والله عز وجل يقول في القرآن : ﴿ وَذَرَّنا عَلَيْكَ الْكُتُبَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

(١) انظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للشيخ محمد أمان : ٢٨٠-٢٨٢ .

فإذا كان تبياناً فهو دليل قائم بنفسه وانتفاء الدليل المعين لا يلزم منه انتفاء المدلول لأن المدلول قد يكون له أدلة متعددة سواء الحسيات أو المعنويات .

فالحسيات مثل بلد له عدة طرق توصل إليه فإذا انسد طريق ذهبنا مع الطريق الثاني .

أما المعنويات : فكم من حكم واحد يكون له عدة أدلة ، وجوب الطهارة للصلاة مثلاً فيه أدلة متعددة ...

والجواب الثاني : المنع : أن تمنع دعوى أن العقل لا يدل عليها ونقول : بل العقل دل عليها فإثابة الطائعين بالجنات والنصر والتأييد وغير ذلك هذا يدل بلاشك على المحبة ، ونحن نشاهد بأعيننا ونسمع بأذاننا عمن سبق وعمن لاحق ، أن الله عز وجل أيد من أيد من عباده المؤمنين ونصرهم وأثابهم ، وهل هذا إلا دليل على المحبة لمن أيدهم ونصرهم وأثابهم ، عز وجل .

وأما قولهم : أن المحبة لا تكون إلا بين متجانسين ... ممنوع بل هي تكون بين غير المتجانسين فالإنسان عنده ساعة .

قديمة ما أتعبته بالصيانة وما فسدت عليه قط فتجده يجبها ، وعنده ساعة تأخذ منه نصف وقته في التصليح فتجده يبغضها وأيضاً نجد أن البهائم تُحِبُّ و تُحَبُّ ، فنحن والله الحمد ثبتت المحبة بينه وبين عباده^(١) .

خامساً : قال ابن القيم : لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ولتعطلت منازل السير إلى الله ، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل ، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه ، ونسبها

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٢٤٦/١-٢٤٨ .

إلى الأعمال كنسبه الإخلاص إليها ، بل هي حقيقة الإخلاص ، بل هي نفس الإسلام ، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة ، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن «الإله» هو الذي يأله العباد حباً وذكلاً ، وخوفاً ورجاءً ، وتعظيماً وطاعة له بمعنى « مألوه » وهو الذي تأله القلوب أي تحبه وتذل له وأصل التأله التعبد ، والتعبد آخر مراتب الحب ^(١) .

والله الهادي إلى سواء السبيل

(١) مدارج السالكين : ٢٦/٣ .

المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على نفاذ الروية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد أثر القياس الفاسد المبني على تشبيه الغائب بالشاهد على نفاة الرؤية من جهمية ومعتزلة وغيرهم من الخوارج والإمامية^(١) .
حيث جرهم وجرأهم على التلاعب بالنصوص الشرعية ،
وعارضوها بهذا القياس ومالوا بها عن معانيها الصحيحة لتوافق هذا
القياس المتمثل في أدلتهم التي يسمونها براهين عقلية - وما هي عند
التحقيق الأشبهات فاسدة ، وآراء كاسدة .
فمن أدلتهم :

١- دليل المقابلة : ويقوم هذا الدليل - حسب زعمهم - على أنه
لا يجوز أن يكون الباري عز وجل مقابلاً للرائي . بمعنى أن يكون في جهة
منه .

٢- ومنها دليل الانطباع ويقوم هذا الدليل على أن الرؤية لا تحصل
إلا بانطباع صورة المرئي في الحلقة ومن شرط ذلك انحصار المرئي في جهة
معينة من المكان حتى يمكن اتجاه الحلقة إليه^(٢) .

فالمنكرون للرؤية وأشهرهم المعتزلة يستعظمون رأي القائلين
بجوازها في الدنيا وتحقق وقوعها في الآخرة ، لعدم فهمهم ما يريد المبتون
لها لأنهم يظنون أنهم يريدون حالة تساوي الحالة التي يدركها الرائي عند
النظر إلى الأجسام والألوان ، وما حملهم على هذا الظن إلا التشبيه
المستكن في نفوسهم الذي أصله القياس الفاسد المبني على تشبيه الغائب

(١) انظر شرح الطحاوية : ٢٠٧/١ ، وانظر رد الإمام الدارمي : ١٥ .

(٢) انظر المواظف في علم الكلام : ٣٠٨ .

بالشاهد فنفوها لذلك قال عبد الجبار : « ومما يجب نفيه عن الله
الرؤية »^(١) .

ثم استدل لهذا بأشياء منها :

١- أن الرؤية لا تصح إلا بحاسة البصر والله لا يجوز أن يوصف
بأن له حواس^(٢) .

٢- ولأن البصر لا يصح أن يرى إلا ما كان مقابلاً أو في حكم
المقابل وهذا لا يجوز إلا للجسم ذي الألوان وهو محال على الله^(٣) .
وقد دفع هذا القياس بالنفاة إلى الاستدلال بأدلة سمعية ليس لهم فيها
أي مستند بل هي دليل عليهم وسوف يتبين هذا إن شاء الله عند الرد
على هذا القياس الفاسد .

ومن هذه الأدلة السمعية : قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٤) .

قال القاضي عبد الجبار : « ووجه دلالة الآية هو ما قد ثبت من أن
الإدراك إذا قرن بالبصر لا يتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه تعالى نفى عن
نفسه إدراك البصر ونجد في ذلك تمديحاً راجعاً إلى ذاته ، وما كان من نفيه
تمديحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً والنقائص غير جائزة على الله تعالى
في حال من الأحوال »^(٥) .

(١) شرح الأصول الخمسة : ٢٣٢ .

(٢) المعنى في أبواب العدل والتوحيد : ٣٦/٤ .

(٣) المعنى في أبواب العدل والتوحيد : ١٤٠/٤ .

(٤) الأنعام : ١٠٣ .

(٥) شرح الأصول الخمسة : ٢٣٢ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِن
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا
وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿^(١)

فإن لن عندهم تفيد التأييد وذلك يدل على نفي الرؤية في
الآخرة ^(٢) .

بل جر أهم القياس الفاسد على أصرح آية دالة على رؤية المؤمنين
ربهم بأبصارهم يوم القيامة وهي قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿^(٣)

فأولوها تأويلاً فاسداً ، وفي ذلك يقول القاضي : « فإن قيل النظر
المذكور في الآية إذا لم يفد الرؤية فما تأويل الآية ؟
قيل له : قد قيل : أن النظر المذكور ههنا بمعنى الانتظار ... وأولها
بعضهم بأن المعنى وجوه يومئذ ناظرة ، لثواب ربها منتظرة » ^(٤) .

وإذا لم تسلم الآيات القرآنية من تحريف المبطلين ، فما ظنك
بالأحاديث في هذا الباب ؟

أما الأحاديث فهم بين ردها بحجة أنها آحاد لا يعتمد عليها
حسب زعمهم - وبين صرف لمعاينها الصحيحة .

(١) الأعراف : ١٤٣ .

(٢) انظر شرح الطحاوية : ٢١٤/١ .

(٣) القيامة : ٢٢-٢٣ .

(٤) شرح الأصول الخمسة : ٢٤٥ .

فقد قال قائلهم في حديث جرير الذي سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى والذي فيه [إنكم سترون ربكم] المراد بالرؤية العلم^(١) .
والحاصل فإن كل ما سلكته المعتزلة تجاه النصوص الشرعية من تأويل إنما هو تعسف وصرف للأدلة عن معانيها الصحيحة لتصح لهم هذه العقيدة الباطلة وهي نفي الرؤية .
وسوف تعلم ، أن هذا القياس الفاسد هو في مقابلة الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة المتواترة فيما سيأتي .
فأيهما أحق بالإتباع ؟ إن المقارنة بين هذا وهذا غير سائغة لولا أن أهل الإسلام قد أصيبوا بمن يعظم آراء المعتزلة وأمثالهم .

(١) انظر رد الدارمي على بشر الميرسي : ٥٦ ، وانظر مختلف الحديث لابن قتيبة : ٢٠٨ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

نذكر في هذا البحث جملة من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة التي عارضها قياس النفاة الفاسد .

فمن الكتاب :

١- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوتُونَ ﴾^(١) .

وجه الاستدلال : هو أن الله تبارك وتعالى حجب أعداءه في حال السخط فدل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا فهذا استدلال بالمفهوم وقد نظم الإمام بن القيم رحمه الله هذا المفهوم فقال :

ولقد أتى في سورة التطفيف أن القوم قد حجبا عن الرحمن
فيدل بالمفهوم أن المؤمنين يرونه في جنة الحيوان
وبذا استدل الشافعي وأحمد وسواهما من عالم الأزمان^(٢)
وقد جاء مصرحاً بهذا المفهوم قريباً من وسط السورة وفي آخرها
حيث يقول : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾^(٣) .
ويقول : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾^(٤) .

(١) المطففين : ١٥ .

(٢) شرح التوبة : ٣٧٧/٢ .

(٣) المطففين : ٢٢-٢٣ .

(٤) المطففين : ٣٤-٣٥ .

فمعنى ينظرون أي إلى الله تبارك وتعالى فلما نظروا إلى الرب
نضرت وجوههم ولذلك قال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ ﴾^(١) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾^(٣) .

حيث فسر المزيد والزيادة في هاتين الآيتين بأنه النظر إلى وجه الرب
تبارك وتعالى وهو مروى عن جماعة من الصحابة والتابعين .

ومن الذين فسروا الزيادة بأنها النظر :

من الصحابة : أبو بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان .

ومن التابعين : ابن أبي ليلي ، وعامر بن سعد البجلي ، وقتادة وقد

صححت الرواية عن هؤلاء^(٤) .

بل قد صح تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الكريم عن رسول
الله ﷺ فقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه أن النبي
ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون
شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من
النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى
ربهم عز وجل »^(٥) .

(١) المطففين : ٢٤ .

(٢) ق : ٣٥ .

(٣) يونس : ٢٦ .

(٤) انظر كتاب الرؤية للدارقطني : ٢٨٩-٢٩٣-٢٩٨-٣٠٠-٣٠٦ .

(٥) رواه مسلم : ١٨١/١ .

قال ابن القيم رحمه الله : « ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى » (١) .

٣- ومن الأدلة أيضاً آيات اللقاء :

كقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ ﴾ (٢) .
وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) .
وقوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤) .
وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٥) .
وقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لِاتٍ ﴾ (٦) .
وقوله : ﴿ يَسْأَلُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (٧) .

(١) حادي الأرواح : ٤٠٩ .

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) الكهف : ١١٠ .

(٤) الأحزاب : ٤٤ .

(٥) الرعد : ٢ .

(٦) العنكبوت : ٥ .

(٧) الانشقاق : ٦ .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات هو كما يقول الآجري رحمه الله :
« واعلم رحمك الله ... أن عند أهل العلم باللغة أن اللقاء ههنا لا
يكون إلا معاينة يراهم الله عز وجل ويرونه ويسلم عليهم ويكلمهم
ويكلمونه »^(١) .

وقال بن القيم رحمه الله : « واجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى
نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة
والرؤية »^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « أما اللقاء فقد فسره
طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك
والسير »^(٣) .

فهؤلاء السلف والخلف جعلوا اللقاء يتضمن معنيين :

١- أحدهما السير إلى الملك .

٢- والثاني : معاينته .

وأما المعاينة من غير سير إلى المعين - كمعاينة الشمس والقمر فلا

يسمى لقاءً^(٤) .

وإذا قال قائل من أصحاب الأئمة الفاسدة ، إن المراد من اللقاء

هو الجزاء دون لقاء الله - حتى لا يقع في التشبيه حسب زعمه فما

الجواب عن هذا ؟

(١) الشريعة : ٢٢٧ .

(٢) حادي الأرواح : ٤٠٥ .

(٣) مجمع الفتاوى : ٤٦٢/٦ .

(٤) انظر المصدر نفسه : ٤٦٢/٦ .

الجواب عن هذا أن يقال : هو فاسد من عدة وجوه :

١- أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين .

٢- إن القرينة الدالة على أن لقاء الله غير مراد وإنما المراد جزاؤه

مبني ذلك على شبهات فاسدة وآراء كاسدة .

٣- ما سيأتي في الحديث من قول الرسول ﷺ ((أنت الحق ،

وقولك الحق ولقاؤك الحق ، والجنة حق والنار حق)) فقد فرق بين لقائه

وبين جزائه ، فالجنة والنار تتضمن جزاء المطيعين والعصاة ، فعلم أن لقاء

الله غير لقاء الثواب والعقاب .

٤- أن لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت ، وأما الجزاء فقد وقع في

الدنيا ويقع في الآخرة ، كما في عقاب الأمم المكذبة ،

ونصر المؤمنين .

٥- أن لقاء الله لم يستعمل في لقاء غيره بل وفي المخلوق كذلك

فلا يقال : لقيت زيداً وأنت تريد عمراً .

٦- أن النصوص تفرق بين لقاء الله وجزائه كما قال تعالى :

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾^(١) .

فلو كان لقاءه هو لقاء جزائه لكان هو الأجر الكريم ولا يحسن أنه

يخبر بأنه أعده لهم بعدما حصل لهم^(٢) .

٤- وقوله تعالى : ﴿ وَجُودًا يَوْمَ نُنَادِيهِمْ ^(٣) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٣) .

(١) الأحزاب : ٤٤ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ٤٦٢/٦-٤٧٥ ، وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح

البحاري : ١٤٥/٢-١٤٨ .

(٣) القيامة : ٢٢-٢٣ .

ووجه الاستدلال بها على رؤية المؤمنين لربهم بالأبصار يوم القيامة
من وجوه لا يخلو النظر من أحدها :

١- إما أن يكون الله عز وجل عنى به نظر الاعتبار كقوله :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾^(١) .

٢- أو يكون عنى به نظر الانتظار كقوله : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا

صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِيحَةً
وَاحِدَةً ﴾^(٣) .

٣- أو يكون عنى به نظر التعطف والرحمة كقوله : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ

إِلَيْهِمْ ﴾^(٤) .

٤- أو يكون عنى به نظر الرؤية كقوله ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ

الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾^(٥) .

فالثلاثة الأولى غير مرادة من الآية قطعاً .

أما الأول : فلأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار .

وأما الثاني : فلأن في الانتظار تنغيصاً وتكديراً والآية خرجت مخرج

الامتتان والبشارة وأهل الجنة لا ينظرون شيئاً لأنه مهما خطر لهم أتوا به .

وأما الثالث : فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه .

(١) الفاشية : ١٧ .

(٢) ص : ١٥ .

(٣) يس : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ٧٧ .

(٥) محمد : ٢٠ .

فلم يبق إلا الوجه الرابع وهو نظر الرؤية فقد عدى ببإلى وانضم إلى ذلك أن النظر أضيف إلى الوجه الذي هو محله .

وإذا ثبت أن ناظرة هنا بمعنى رائية اندفع قول من زعم أن المعنى ناظرة إلى ثواب ربها لشيئين :

١- لأن الأصل عدم التقدير وأيد منطوق الآية في حق المؤمنين بمفهوم الآية الأخرى في حق الكافرين - كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون وقيدها بالقيامة في الآيتين إشارة إلى أن الرؤية تحصل للمؤمنين في الآخرة دون الدنيا .

٢- ولأن ثواب الله غير الله وإنما قال إلى ربها - ولم يقل : إلى غير ربها ناظرة ، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة ^(١) .

٥- وقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ^(٢)
ووجه الاستدلال بها كما يقول بن القيم رحمه الله :

« وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا بمدح به وإنما بمدح الرب تبارك وتعالى [بالنفي] إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي المسوت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ... ولهذا لم يتمدح

(١) انظر الاعتقاد للبيهقي : ٤٦ ، شرح الطحاوية : ٢٠٩/١ ، وانظر فتح الباري : ٤٢٥/١٣ .

(٢) الأنعام : ١٠٣ .

[بنفي] لا يتضمن أمراً ثبوتياً ... فلو كان المراد بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى ، أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ... فقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (١) قَالَ كَلَّا ﴿ (٢) ، فلم ينف موسى ﷺ الرؤية [وإنما نفى الإدراك] ... فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية » (٢) .

ومن هنا نعلم بطلان قول المعتزلة :

أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وقد نفى الإدراك فتنفى الرؤية ، لأنه مجرد دعوى لا تقوم على دليل بل هو مبني على قياس فاسد فالإدراك في اللغة يدور على معان ليس منها مجرد الرؤية بالبصر . قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : « الحق أن المنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه ، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك .

(١) الشعراء : ٦١-٦٢ .

(٢) حادي الأرواح : ٤١١-٤١٢ ، وانظر شرح الطحاوية : ٢١٤-٢١٥ .

وحاصل الجواب أن الإدراك أحص من مطلق الرؤية ، لأن الإدراك المراد به الإحاطة ، والعرب تقول : رأيت الشيء وما أدركته ، فمعنى لا تدركه الأبصار لا تحيط به كما أنه تعالى يعلمه الخلق ولا يحيطون به علماً ، وقد اتفق العقلاء أن نفي الأحص لا يستلزم نفي الأعم ، فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع أن الله تعالى لا يدرك كنهه على الحقيقة أحد من الخلق» (١) .

وكلام الشيخ الأمين [والعرب تقول : رأيت الشيء وما أدركته] نجد له أمثلة عند الإمام الأجرى رحمه الله : [كما يقول الرجل : رأيت السماء وهو صادق لم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها ، وكما يقول الرجل : رأيت البحر وهو صادق ولم يدرك بصره كل البحر ولم يحط ببصره وهو صادق هكذا فسره العلماء إن كنت تعقل » (٢) .

وأما الجواب عن استدلال المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ... ﴾ (٣)

فبيانه من وجوه :

الأول : إنه لا يظن بكليم الله ورسوله ، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل مالا يجوز عليه .

(١) دفع إبهام الاضطراب ضمن أضواء البيان : ١٢١/٩ .

(٢) الشريعة :

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

الثاني : إن الله لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال : ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) .

الثالث : أنه تعالى قال : لن تراني ولم يقل إنني لا أرى ولا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كفه حجر فظنه رجل طعاماً فقال أطمعنيه فالجواب الصحيح إنه لا يؤكل أما إذا كان طعاماً صح أن يقال : إنك لن تأكله ، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الرابع : أن الله أعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟

الخامس : لقد تجلى الرب تبارك وتعالى للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب فإذا جاز ذلك فكيف يمتنع أن يتجلي لرسله وأوليائه في دار كرامته .

ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .

السادس : أن الله كلم موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة ، فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وقد جمعوا بينهما (٢) .

ولا يصح ما ذهب إليه المعتزلة من أن موسى عليه السلام إنما طلب العلم وعبر بها عن لازمها الذي هو العلم الضروري لأنه يلزم أن لا يكون

(١) هود : ٤٦ .

(٢) انظر شرح الطحاوية : ٢١٣/١ - ٢١٤ .

موسى عالماً بربه مع أنه كلمه بغير واسطة وإنما طلب عليه السلام الرؤية شوقاً إليها بعد سماع الكلام فدعوى عدم العلم غير معقولة ، ولا يصح أيضاً قولهم : أنه سأله أن يريه علماً من أعلامه الدالة على الساعة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأن الله يقول : لن تراني ، ولأن تدكدك الجبل من أعظم الأعلام ^(١) .

ولا يصح قولهم : بأنه عليه السلام إنما سأل الرؤية لقومه لا لنفسه لأنه لو كان الأمر كذلك لقال موسى عليه السلام [أرهم ينظرون إليك] ولقال الله تعالى [لن يروني] .

ولو كان هذا السؤال طلباً لحال لمنعم عنه كما أنهم لما قالوا : ﴿ إَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ منعهم عنه بقوله ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ^(٢) .

ولكان يجب على موسى عليه السلام إقامة الدلائل على أنه تعالى لا يجوز رؤيته فلا يجوز نسبة ترك الواجب إلى موسى عليه السلام ^(٣) .

ومما يرد به على المعتزلة في قولهم : إن لن تفيد التأيد ما يأتي :
أولاً : أنها لو كانت تفيد التأيد لما حصل لليهود أن يتمنوا الموت يوم القيامة ، فقد أخرج سبحانه أنهم لا يتمنوا الموت في قوله ﴿ وَكَانَ يَتَمَنَّوهُ ﴾

(١) انظر المواقف في علم الكلام : ٣٠٠ .

(٢) الأعراف : ١٣٨ .

(٣) انظر تفسير الرازي : ٢٢٠/١٤ .

أَبْدًا ﴿^(١)﴾ ، ثم أخير أنهم يتمنون الموت يوم القيامة بقوله ﴿وَنَادُوا بِمَالِكٍ لِّيَقْضَ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُومُونَ﴾ ^(٢) .

ثانياً : ولأنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها

وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ ^(٣) قال الشيخ جمال الدين بن مالك - رحمه الله - في الكافية:

ومن رأى النفي بـلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضداً ^(٤) .

ثالثاً : أنها لو كانت تفيد التأيد لما كان يحسن ذكر لفظ الأبد بعدها لأن ذلك يكون تكراراً في الكلام والأصل عدمه .

رابعاً : أنها لو كانت تفيد التأيد لما حسن قيد منفيها باليوم في

قوله تعالى : ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِسِيًّا﴾ ^(٥) .

ومن هنا نعلم أن القول بأن لن تفيد التأيد دعوى باطلة بل كتب

اللغة وأئمة اللغة تشهد بخلاف ما زعموه ^(٦) .

والأدلة من السنة على إثبات الرؤية للمؤمنين بالأبصار يوم القيامة

كثيرة جداً وتعتبر الآيات السابقة وهذه الأحاديث شحى في حلق

(١) البقرة : ٩٥ .

(٢) الزخرف : ٧٧ .

(٣) يوسف : ٨٠ .

(٤) انظر شرح الطحاوية : ٢١٤/١ .

(٥) مريم : ٢٦ .

(٦) انظر معنى اللبيب عن كتب الأعراب : ٣٧٤ .

أصحاب الأقيسة الفاسدة والآراء الكاسدة من المعتزلة ومن سار في فلكهم
من أصحاب البدع فمن هذه الأحاديث :

١- حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : « كنا جلوساً
عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما
ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس » ^(١) . رواه أكثر
من خمسين إماماً .

٢- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن الناس قالوا يا رسول الله « هل
نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في القمر ليلة
البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل تضارون في الشمس ليس
دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : فإنكم ترونه
كذلك » ^(٢) .

٣- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله هل
نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا
كانت صحواً ؟ قلنا لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا
كما تضارون في رؤيتهما » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري أنظر مع الشرح فتح الباري ٤١٩/١٣ ، وانظر لوائح الأنوار
السنية : ٢٩٠/١ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤١٩/١٣ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٢٠/١٣-٤٢١ .

٤- حديث قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »^(١) وتأويل المعتزلة للرؤية بالعلم باطل .

قال ابن قتيبة : « فإنه يستحيل لأننا نعلمه في الدنيا أيضاً فأى فائدة إذا كان الأمر في يوم القيامة وفي الدنيا واحداً »^(٢) .

وقال ابن حزم : « ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه بقلوبهم ، وكذلك الكفار في الآخرة بلا شك »^(٣) .

ومن الأحاديث التي تستلزم الرؤية :

١- حديث أنس بن مالك ؓ [أن رسول الله ﷺ أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة ، وقال لهم اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض]^(٤) .

٢- وحيث أبي موسى ؓ عن النبي ﷺ قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه]^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٢٣/١٣ .

(٢) مختلف الحديث : ٢٠٨ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١٠/٣ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٢٣/١٣ ، ومسلم : ٧٣٤/٢ .

(٥) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٥٧/١١ ، ومسلم : ٢٠٦٧/٤ .

٣- وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ... وفيه [ولقاؤك حق] »^(١) .

٤- وحديث أنس رضي الله عنه قال : « ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ : من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة »^(٢) .

٥- وحديث أبي ذر رضي الله عنه « ومن لقيني بقرباب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة »^(٣) .

فإذا تأمل النصف لهذه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الدالة على إثبات جواز الرؤية ووقوعها للمؤمنين في الدار الآخرة علم يقيناً بطلان أدلة المنكرين التي تعد شبهة عند التحقيق حملهم عليها التشبيه المستكن في نفوسهم الذي أصله القياس الفاسد المبني على تشبيه الغائب بالمشاهد .

فإذا قال النفاة فما الجواب عن دليل المقابلة ودليل الانطباع ؟

فالجواب عن دليل المقابلة :

وهو أنه لا يجوز أن يكون الله في جهة من الرائي .

أن يقال : لهم إن إثبات رؤية بالعيان من غير مقابلة أو جهة مكابرة

للعقل لأن جهة العلو من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة

واضحة .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٢٣/١٣ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٢٧/١ ، ومسلم : ٩٤/١ .

(٣) أخرجه مسلم : ٢٠٦٨/٤ .

فالثابت بالنصوص الصحيحة إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة للمؤمنين برؤية الشمس والقمر وهما في جهة كما تقدم .
قال شارح الطحاوية : « وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه ، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ، ومن قال يرى لا في جهة فليراجع عقله فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء ، وإلا إذا قال : يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ، ولا عن يمينه ، ولا عن يساره ، ولا فوقه ، ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة »^(١) .

فالحق الذي لا ريب فيه أنه لا مانع أن يكون المرئي وهو الرب تبارك وتعالى في مقابلة الرائي من عباده المؤمنين فهم يرونه من فوقهم كما صرحت بذلك النصوص واللوازم الفاسدة التي يظنها النفاة فهي منتفية في حق الرب تعالى .

ونحن نستفسر عن قولهم : الجهة ممتعة على الله ؟ أتعنون بالجهة أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً ؟

ذلك أنه قد يراد بنفي الجهة أن الله تعالى ليس موجوداً في داخل هذا العالم ، فإن أريد هذا ، فإن الله تبارك وتعالى منزّه عن أن يكون في شيء من مخلوقاته .

وإن كان المقصود بنفي الجهة العدمية التي هي عبارة عن أن الله تعالى فوق هذا العالم كله ، فإن هذه جهة عدمية لا وجودية ، ولما كان

(١) شرح الطحاوية : ٢١٩/١ .

الله تعالى فوق خلقه ، فلا يصح أن يقال ، أنه سبحانه ليس في جهة ،
بقصد نفسي فوقيته ... وعلى هذا فالجهة قسمان :

١- جهة يجب أن ينزه الله تبارك وتعالى عنها وهو هذا العالم
الوجودي فإن الله تعالى ليس حالاً في شيء من مخلوقاته .

٢- الجهة الثانية عدم محض وهو ما فوق العالم ، فإثبات جهة لله
تبارك وتعالى ، بمعنى أنه فوق العالم على عرشه بائن من خلقه فهذا واجب
شريعاً ... لأن هذه الجهة ثابتة لله تبارك وتعالى بما تواتر من نصوص
الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، بل جميع الأديان السماوية والكتب
المنزلة تثبت ذلك ^(١) .

والجواب عن دليل الانطباع :

أن نقول أن رؤية الخالق ليست كرؤية المخلوق والله عز وجل
ليس كمثل شيء .

فالحكم بأن المرئي لا يبد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين وأنه لا يبد
أن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا
ترى إلا كذلك فإذا صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك وهذا هو القياس
الفاسد وهو باطل لأنه قياس مع الفارق فالله عز وجل لا يشبهه شيء من
خلقته ولا يشبه شيئاً من خلقه ولأنه قياس في مقابل النصوص الثابتة من
الكتاب والسنة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد عطية الغامدي : ٢٨٨ .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على نفاذ المطلب
من المعتزلة والأشاعرة ومن حاشيتهم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

أشهر الأقوال الباطلة في مسألة الكلام قول المعتزلة والأشاعرة .
فالمعتزلة : يقولون : معنى كونه متكلماً أي أنه خالق للكلام في
غيره فخلق الله الكلام في الشجرة فسمعه موسى منها ولم يسمعه
من الله .

والذي حمل المعتزلة على هذا القول هو القياس الفاسد لأنهم
يقولون : « إن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت ويدخله
التعاقب والتأليف وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون ولا بد له
من أن يكون ذا أجزاء وأبعاد وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من
صفات ذات الله »^(١) .

ويقول شارح الطحاوية : « وغاية شبهتهم أنهم يقولون : يلزم منه
التشبيه والتجسيم »^(٢) .

قال القاضي عبد الجبار : « والذي يدل على حدوث كلامه الذي
ثبت أنه كلام له أن الكلام ... لا يكون إلا حروفاً منظومة وأصواتاً
مقطعة ، وقد ثبت فيما هذه حاله أنه محدث »^(٣) .

وقال عن القرآن : « وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله تعالى
ووحيه ، وهو مخلوق محدث »^(٤) .

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي : ٨١ .

(٢) شرح الطحاوية : ١٧٥/١ .

(٣) المعني في أبواب العنل والتوحيد : ٨٤/٧ .

(٤) شرح الأصول الخمسة : ٥٢٨ .

والأشاعرة شاركوا المعتزلة في الوقوع في هذا القياس الفاسد وذلك بقياس الغائب على الشاهد فأبطلوا حقيقة كون الكلام بحروف وأصوات فما هو يا ترى مذهب الأشاعرة في الكلام الذي تتج عنه نفهم للحرف والصوت ؟

فالجواب أنهم يقولون : كلام الله معنى واحد قائم بالنفس أزلاً وأبداً ليس بحرف وصوت ، وهذا المعنى هو به أمرونه ومخير ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، فياليت شعري من المعبر عما في نفس الله بهذه اللغات (١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن نفسي الأشاعرة للحرف والصوت « وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهد أنها ذات مخارج » (٢) .

فالأشاعرة حين ذهبوا إلى كون الكلام معنى واحداً إنما فروا من وصفه بالحرف والصوت لأن الحروف والأصوات لا تكون إلا مخلوقة عندهم فنزهوا كلام الله تعالى أن يكون بحرف أو صوت بزعمهم فقالوا : هو الكلام النفسي ، والحروف إنما خلقت للدلالة عليه والصوت خلق للإعلام والإفهام .

(١) انظر شرح الجوهرية : ٧٣ ، وكبرى البقنيات الكونية للبوطي : ١٣٣ ، ومجموعة الرسائل والمسائل : ٤٢/٣ .
(٢) فتح الباري : ٤٥٨/١٣ .

قال الباقلاني : « ويجب أن يعلم أن الله تعالى لا يتصف بكلامه القديم بالحروف والأصوات ولا شيء من صفات الخلق »^(١) .

وقال في موضع آخر : « فإن الحروف تحتاج إلى مخارج فحرف الشفة غير حرف اللسان وحرف الخلق غيرهما ، فلو كان تعالى يحتاج في كلامه إلى الحرف لاحتاج إلى المخارج وهو منزّه عن جميع ذلك »^(٢)

وقال الغزالي : « وأنه متكلم أمرناه ، واعد ، متوعد بكلام أزلي قديم ، قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء ، واصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان »^(٣) .

وقد أدى هذا القياس الفاسد إلى التشبث بأدلة ليس لهم فيها أي متعلق كما سترى من خلال الرد على الطوائفتين إن شاء الله .

وختلاصة شبهة الأشاعرة هي :

- ١- ما تقدم في كلام الباقلاني والغزالي .
- ٢- إنهم يقولون : إن الحروف متعاقبة يعقب بعضها بعضاً وكذلك الأصوات فلو كان كلام الله بحرف وصوت لكان حادثاً والله منزّه عن ذلك فلزم أن يكون كلامه بلا حرف ولا صوت^(٤) .

(١) الإنصاف : ٩٩ .

(٢) الإنصاف : ١٠٣ .

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين : ١٧ .

(٤) انظر مشكل الحديث لابن فورك ٢٠٢ ، والتبصير للإسفراييني : ١٦٧ .

وهذا في الحقيقة مبني على القياس الشمولي وهو لا يجوز في المطالب
الإلهية فإنه وإن ثبت تعاقب في الكلام لكن لا يلزم ثبوت المساواة
والمماثلة .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

أولاً : الرد على المعتزلة

ومما يرد به على المعتزلة - في خلق الكلام :

١- قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدًّا أَذْكَلِمَتْ رَبِّي لَنَفِدَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدًّا ﴾ ^(١) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

ففي هاتين الآيتين أكبر دليل على أن كلام الله غير مخلوق وأنه من صفاته إذ المخلوق لا بد أن يكون له نهاية ونفاد فإنه مسبوق بالعدم فلا بد أن يلحقه العدم .

أما كلام الله تعالى فلا نهاية له ولا نفاد وقد قرب تعالى إلى أفهام المخاطبين بما ضرب من المثل بما ذكر من كون البحار كلها ويزاد معها مثلها مرات كثيرة وكونه جميع ما وجد على وجه الأرض من عود أقلاماً يكتب بها كلامه تعالى لنفد البحر وأمسحت الأقلام وكلمات الله كما هي لم تنقص .

وليس معنى قوله : ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ أن

كلمات الله لها نهاية ، وأنها يمكن أن تنفد ، بل المعنى أنها لا نهاية لها أبداً لأنها من صفاته تعالى ، وليس هذا وصف المخلوق ^(٣) .

(١) الكهف : ١٠٩ .

(٢) لقمان : ٢٧ .

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري : ٢٤٦/٢ .

وقد دفع القياس الفاسد بالمعتزلة لتحريف معاني التنزيل لإبطال
صفة الكلام .

فقالوا في قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾^(١) ، إن ابتداء الكلام كان من الشجرة
فالله خلق الكلام فيها وسمعه موسى عليه السلام منها .

والحقيقة أن المعتزلة عموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها ، فالله
تعالى قال : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ والنداء هو
الكلام من بعد فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي ثم قال في
البقعة المباركة من الشجرة - أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند
الشجرة ، كما تقول : سمعت كلام محمد من البيت فيكون [من البيت]
لابتداء الغاية لا أن البيت هو المتكلم ، فالكلام هو ما قام بالمتكلم لا ما
قام بغيره ، وقيام الصفة إنما يكون بالموصوف بها لا بغيره ، والصفة إذا
قامت بمحل كانت له لا صفة لغيره فلو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة
لكانت الشجرة هي القائلة : ﴿ يَمْوَسَىٰ اِيسَىٰ اَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴾ وهـل قال : ﴿ اِيسَىٰ اَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴾ غير رب العالمين ؟ ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان
قول فرعون : ﴿ اَنَارُكُمْ اَلْعَلَىٰ ﴾^(٢) صدقاً ، إذ كل من الكلامين
عندهم مخلوق قد قاله غير الله ، ولا فرق حيثئذ بين دعوى الشجرة
ودعوى فرعون فكل ادعى الربوبية فصدق موسى الشجرة وكذب
فرعون ، وقد فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد ، أن ذاك كلام

(١) القصص : ٣٠ .

(٢) النازعات : ٢٤ .

خلقه الله في الشجرة وهذا كلام خلقه فرعون ، فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله (١) .

قال شارح الطحاوية : « وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره ؟ ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات ، ولا يفرق حيثنذ بين نطق وأنطق وإنما قالت الجلود ﴿ أَطَقْنَا اللَّهُ ﴾ (٢) ، ولم تقل نطق الله بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره زوراً كان أو كذباً أو كفراً أو هدياناً تعالى الله عن ذلك .

وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه » (٣) .

ثانياً : والأدلة على بطلان مذهب الأشاعرة بأن القرآن هو المعنى النفسي كثيرة جداً منها :

١- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٤) .

ففي هذه الآية الكريمة يتحدى الباري سبحانه وتعالى الخلق بالإتيان بمثله والتحدي لا يكون إلا بمثل هذا الكتاب المسموع لأن ما في نفس

(١) انظر شرح الطحاوية : ١٨٢/١-١٨٣ .

(٢) فصلت : ٢١ .

(٣) شرح الطحاوية : ١٧٩/١ .

(٤) الإسراء : ٨٨ .

الباري لا يدري ما هو فلا سبيل للوقوف عليه ولا يسمى سوراً ولا حديثاً فلا يجوز أن يقال : فأتوا بحديث مثل ما في نفس الباري ، ولأن المشركين إنما زعموا أن النبي ﷺ افترى هذا القرآن وتقلبه فرد الله عليهم دعواهم بتحديهم بمثل ما زعموا أنه مفترى وهو هذا القرآن المسموع .

قال شارح الطحاوية : « أفترأه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا التلو المسموع ؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا التلو المسموع إذ ما في ذات الله غير مشار إليه ولا منزل ولا متلو ولا مسموع ، وقوله ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ أفترأه سبحانه يقول : لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعه ولم يعرفوه وما في نفس الباري عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه » (١) .

٢- قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ (٢) .

فالإشارة هي إلى هذا التلو المسموع المنزل دون ما في النفس فالكفار ما اعتقدوا في نفس الباري شيئاً يريدون اللغو فيه إذ لا حيلة في الوقوف على ذلك .

٣- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُرْءَانًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ (٤) ، فسمى الله تبارك

(١) شرح الطحاوية : ٢٠٣/١ ، وانظر نجاة الخلف في اعتقاد السلف : ٢٧ .

(٢) فصلت : ٢٦ .

(٣) الزمر : ٢٨ .

(٤) القلم : ٤٤ .

وتعالى القرآن عربياً وسماه حديثاً وإنما يتعلق هذا الوصف باللفظ دون
المعنى .

٤- قول الله تبارك وتعالى لنبيه زكريا عليه السلام ﴿ءَأُتِكَ الْآتُكُمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿ءَأُتِكَ الْآتُكُمَ النَّاسَ ثَلَاثَ
لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(٢) ، فلم يسم الرب تبارك وتعالى ما قام بنفس زكريا كلاماً
فالكلام المنفي في هذه الآيات هو الكلام المعهود والمسموع بالصوت
واخرف لا الكلام النفسي .

وإذا تحققنا بطلان قول الأشاعرة بأن الكلام نفسي لا يسمع منه
فلنا أن نجيب عن بعض الحجج التي دفعهم القياس الفاسد للاحتجاج بها
فمنها :

١- قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَهْسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ
بِمَا قَوْلُ﴾^(٣) .

٢- وقوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرُ بِكَ فِي هَسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾^(٤) .

٣- وقوله تعالى : ﴿وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ﴾^(٥) .

٤- قول عمر رضي الله عنه : « زورت في نفسي مقالة أردت أن
أقولها »^(٦) .

(١) آل عمران : ٤١ .

(٢) مريم : ١٠ .

(٣) المجادلة : ٨ .

(٤) الأعراف : ٢٠٥ .

(٥) الملوك : ١٣ .

(٦) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ١٤٤/١٢ .

فأما الجواب عن حجتهم الأولى : فجوابين :
أحدهما : أن المراد أنهم قالوه بألستهم قولاً خفياً .
الثاني : أنه قيده بالنفس وإذا قيد القول بالنفس فإن دلالة المقيد
 خلاف دلالة المطلق ولو أطلق لانصرف إلى القول باللسان .
 والدليل قول النبي ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به
 أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل »^(١) .
 فقوله : حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به دليل على أن حديث
 النفس ليس هو الكلام المطلق .

وأما الجواب عن الآية الثانية : فالمقصود الذكر باللسان لأنه
 قال : ﴿ تَصْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ .
 وأما الجواب عن الآية الثالثة : حيث سمي الإسرار قولاً وأن الإسرار
 يكون في القلب دون اللسان بدليل آخر الآية ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴾ .

فيقال : هذه حجة ضعيفة جداً لأن قوله ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ
 أَجْهَرُوا بِهِ ﴾ يبين أن القول يسر به تارة ويجهر به أخرى وهذا إنما هو فيما
 يكون في القول الذي هو بحروف مسموعة .

وقوله بعد ذلك : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ من باب التبيينه
 بالأدنى على الأعلى فإنه إذا كان عليمًا بذات الصدور فعلمه بالقول المسر
 والمجهور له أولى^(٢) .

(١) المصدر نفسه : ٥٤٨/١١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ٣٦/١٥ .

وأما الجواب عن قول عمر فمن وجهين :

الأول : إن التزوير إصلاح الكلام وتهيئته ، فمعناه إذا أنه قدّر في نفسه كلاماً وهياًه لم يتكلم به بعد فليس كلاماً حتى يتكلم به ، ومثاله : من يقدر في نفسه أن يعمل عملاً كأن يصلي مثلاً ، ثم لا يفعل فهل يقال أنه صلى في نفسه ؟

الثاني : لو صح ما قالوه لكان موافقاً لمذهبنا لا لمذهبهم فإنهم يعدون مطلق الكلام كلام النفس ، أما نحن فعندنا مطلق الكلام اللفظ والمعنى جميعاً ، وقد يراد أحدهما بقرينه وهي موجودة في قول عمر المذكور ألا وهي التقييد بالنفس ^(١) .

وبعد أن عرفنا من خلال هذه الأدلة بطلان قولهم ، بالكلام النفسي يحسن أن نذكر بطلان ما ترتب عليه من نفي الحرف والصوت : فأقول لا شك أن الله تبارك وتعالى تكلم بالقرآن الكريم وهو من أوله إلى آخره مشتمل على الحروف العريية وهذا ظاهر لا يحتاج إلى استدلال لكن بعض أهل البدع ينازع في إطلاق لفظ الحرف على كلام الباري وأن ذلك يحتاج إلى دليل ، فلا بأس من ذكر بعض الأدلة فمن ذلك :

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم

(١) العقيدة السلفية في كلام رب البرية : ٣٣٢-٣٣٣ .

يؤتھما نبي قبلك فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف
منھما إلا أعطيته» (١) .

٢- وحديث عبد الله بن مسعود ؓ قال : « قال رسول الله ﷺ
من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم
حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» (٢) .

وأما تكلمه تعالى بصوت فالأدلة على إثباته ، وهو كسائر الصفات
كما أنها لا تشبه صفات المخلوقين فصوته لا يشبه أصواتهم وقياس الخالق
على المخلوق تشبيه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
فمن الأدلة :

١- قال الله تعالى عند تكليمه موسى ﷺ : ﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ (٣) .

فهذا يدل على أن موسى سمع كلام الله ، ولا يسمع إلا الصوت
وليس هناك سماع يحصل من غير صوت .

٢- قد أطلق لفظ الصوت على كلام الباري سبحانه وتعالى :

١- كما في حديث أبي سعيد الخدري ؓ مرفوعاً : « يقول الله
تبارك وتعالى يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله
يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» (٤) .

(١) رواه مسلم : ٥٥٤/١ .

(٢) رواه الترمذي : ١٧٥/٥ ، وصححه الألباني ، انظر صحيح الترمذي : ٩/٣ .

(٣) طه : ١٣ .

(٤) رواه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٥٣/١٣ .

٢- وحديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد - أو الناس - عراة غرلاً بهما ، قلنا ما بهما ؟ قال ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان » ^(١) .

وخلاصة القول نقول للأشاعرة في نفيهم الحرف والصوت عن كلام الله الذي نتج عن مذهبهم بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس انتبهوا لما يلي :

١- أولاً : إن نفيكم للحرف والصوت مبني على قياس فاسد إذ قسمتم كلام الرب تبارك وتعالى بكلام المخلوقين والله عز وجل يقول :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) .

٢- ثانياً : يلزمكم قول المعتزلة في سائر الصفات فإنكم تثبتون العلم والسمع والبصر والمخلوق يتصف بها وهي لا تكون منه إلا بآلة فالعلم لا بد له من قلب والبصر لا بد له من حلقة والسمع لا يحصل إلا من احتراق ، وقد ألزمتكم المعتزلة بهذا ، فأجبتم بأن هذا من قياس الغائب على الشاهد وهو باطل لأن الله ليس كمثل شيء فلماذا لا تقولون هذا في صفة الكلام وأنها بحرف وصوت لا يشبه كلامه كلام خلقه ولا صوته أصواتهم ؟

٣- ثالثاً : إن الله انطق بعض مخلوقاته بغير مخارج فإذا كان هذا هو المخلوق لم تلزمه المخارج فالله أعلى وأجل . وبالله تعالى التوفيق .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده : ٤٩٥/٣ ، والبخاري في الأدب المفرد : ٩٧ ، وهو في

البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٥٣/١٣ .

(٢) الشورى : ١١ .

المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على نفاذ اليمين

وفيه مطلبان :

المبحث الأول : أثر القياس الفاسد .

المبحث الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

يعتقد النفاة لصفات الله أن إثباتها يستلزم التشبيه فبناءً على هذا الفهم نفوا عن الله تعالى ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من صفة اليد تحت تأثير قياس فاسد ، وهو قياس الخالق على المخلوق ، وقد أولوا ما جاء في النصوص من إثبات صفة اليدين أو اليد ، إما بالقدرة وإما بالنعمة وإما بالملك ^(١) .

وقد جاءت اليد في النصوص على تصريفات تمنع من هذا التأويل مثل القبضة ، والأصابع ، ولكنها لم تسلم أيضاً من التأويلات فقد أولت القبضة ، والأصابع بالملك والقدرة .

قال البيهقي عن القبضة : « وقد تكون بمعنى الملك والقدرة يقال ما فلان إلا في قبضتي ، يعني ما فلان إلا في قدرتي » ^(٢) .
وقال ابن فورك عن الأصابع : « المراد بالأصابع ههنا الملك والقدرة » ^(٣) .

وعندما جاؤا إلى قوله ﷺ : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ^(٤) .
قال بعضهم : المراد بين صفتين من صفاته : وهما القدرة والإرادة ^(٥) .

(١) انظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك : ١٨٨ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي : ١٥٩/٢ ، وانظر الكشاف للزحاشري : ٤٠٩/٣ .

(٣) مشكل الحديث وبيانه : ١٠١ .

(٤) رواه مسلم : ٢٠٤٥/٤ .

(٥) انظر تحفة المريد : ٥٨ .

وقال آخرون : الإصبعين ههنا بمعنى النعمتين ^(١) .
وعندما جاء النفاة إلى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) ، قالوا المراد بهما النعمة ^(٣) .
وفي قول الله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ^(٤) ، قالوا المراد بهما
القوة ^(٥) .
وعندما جاء النفاة إلى قوله ﷺ : ((إن الله خلق آدم من قبضة
قبضها من جميع الأرض)) ^(٦) .
قالوا : المعنى مقدار قبضته وليس على ما يتصور من قبضات
المخلوقين فإن الحق منزه عن ذلك ، وإنما أضيفت القبضة إليه لأن أفعال
المملوك تنسب إلى المالك وذلك أنه بعث من قبض ^(٧) .
فهؤلاء النفاة سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو من نحنا نحوهم قد
وقعوا في قياس فاسد ، لأنهم ظنوا أن ظاهر النصوص هو التشبيه ، فهم
بهذه التأويلات الفاسدة ، شبهوا أولاً وعطلوا ثانياً .

(١) انظر مشكل الحديث وبيانه : ١٠١ .

(٢) المائة : ٦٤ .

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة : ٢٢٨ .

(٤) ص : ٧٥ .

(٥) المصدر السابق : ٢٢٨ .

(٦) رواه الزمذني : ٢٠٤/٥ ، وقال حسن صحيح ، وأبو داود : ٢٢٢/٤ .

(٧) دفع شبهه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي : ١٦٣ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

لقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة ، وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والبسط والقبض والطي والخلق باليد والكتابة بها وغرس جنة عدن بها كذلك إلى غير ذلك ^(١) .

فكيف يكون هذا القياس الفاسد معارضاً لهذه النصوص وسأذكر طرفاً منها مع مناقشة القوم في تأويلاتهم الفاسدة التي تجت عن هذا القياس .

أولاً : نصوص القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَغُلُّوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قبضتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

مَطْوِيَّاتٍ يَمِينِهِ ﴾ ^(٥) .

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٣٨٤/٢ .

(٢) المائدة : ٦٤ .

(٣) ص : ٧٥ .

(٤) الفتح : ١٠ .

(٥) الزمر : ٦٧ .

ففي هذه الآيات الكريمات دلالة على اتصاف الله باليدين وهي كسائر الصفات الخيرية تثبت لله تبارك وتعالى إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل .

ثانياً : نصوص السنة :

الأحاديث في هذا كثيرة جداً منها :

١- حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيربحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون له أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة ، وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربنا حتى يربحنا ، فيقول لهم : لست هناك ، فيذكر لهم خطيئته التي أصاب » ^(١) .

٢- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفوها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » ^(٢) .

٣- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثاً » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٧٧/١٣ ، ومسلم : ١٨٠/١ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٧٣/١١ ، ومسلم : ٢١٥١/٤ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٥٠٥/١ ، ومسلم : ٢٠٤٢/٤ .

٤- وحديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ^(١) .

٥- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار » ^(٢) .

٦- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك » ^(٣) .

٧- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » ^(٤) .

٨- وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » ^(٥) .

٩- وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « أن يهودياً جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرض على إصبع ، والجبال على إصبع والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ،

(١) أخرجه مسلم : ٢١١٣/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٩٣/١٣ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٨٧/١٣ ، ومسلم : ٢١٧٦/٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٦٧/٨ ، وابن ماجه : ٦٨/١ .

(٥) رواه مسلم : ٢٠٤٥/٤ .

ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواحيه ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرًا لَّهِ حَقُّ قَدْرِهِ ﴾ ^(١) .

١٠- وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور من يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » ^(٢) .

١١- وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أيضاً عن رسول الله ﷺ : « أنه قال : إن الله يقبض يوم القيامة الأرض ، وتكون السماوات يمينه ثم يقول : أنا الملك » ^(٣) .

١٢- وحديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن يمينه وإن كانت تمرّة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله » ^(٤) .

١٣- وعنه ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرّة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها يمينه ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » ^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٣٩٣/١٣ .

(٢) رواه مسلم : ٤٥٨/٣ ، والزمذني : ٤٥٣/٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٣٩٣/١٣ .

(٤) رواه مسلم : ٧٠٢/٢ ، وابن ماجه : ٥٩٠/١ .

(٥) أخرجه البخاري ، أنظر مع الشرح فتح الباري : ٤١٥/١٣ .

فهذه جملة من الأحاديث وهي غيـض من فيض تدل على إثبات
يدين حقيقتين لله على ما يليق بجلاله وعظـمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً
بلا تعطيل ، وهذه الأحاديث كما ترى تنوعت تنوعاً في إثبات صفة
اليدين ، من ذكر القبض ، والبسط ، واليمين ، والكف ، والأصابع ،
وكل هذا مانع من تأويلات النفاة الفاسدة .

مناقشة النفاة فيما ذهبوا إليه من التأويلات :

أولاً : يقال لهم : إن توهمكم لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات هذه الصفة وهم باطل ، فإنه ليس في المخلوقات يد تمسك السماوات والأرض وتطويها ، ويد تقبض الأرض السبع ، ولا إصبع توضع عليها الأرض ، وإصبع توضع عليها الجبال ، ويد هذا شأنها وهذا وصفها مما يستبعد معه فهم وتوهم المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق .

ثانياً : إنه جاء في الأحاديث السابقة في وصف اليد قوله ﷺ « وكلتا يديه يمين » فهذا تأكيد لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

فهذا الوصف الذي أخبر به رسول الله ﷺ تأكيد للتنزيه فيد الله ليست كيد البشر ، شمال ويمين ، ولكن كلتا يديه سبحانه يمين .

ثالثاً : أنه جاء في الأحاديث السابقة في وصف اليد الله بأنها ملائي لا يغيضها نطقه فهذا مما يؤكد عدم المماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق .

رابعاً : لا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لا يجوز تشبيه القدرة ، ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض .

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان ، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر ... ولم تكف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها ، إن قولك هذا افتراء عظيم على الله تعالى ، وعلى كتابه

العظيم ، وأنتك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل ، فنفيت الوصف الذي أثبتته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به ، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولاقول أحد من السلف .

وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل ؟
وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق ؟

... فإخش الله يا إنسان واحذر من القول على الله بلا علم ، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه .
واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول : هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك ، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك ، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك .

فأليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدالاتها على التشبيه بالجراحة ، وأنا أنفيها عنك نفياً باتاً وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة ... سبحانه هذا بهتان عظيم^(١) .

خامساً : بالنسبة للنفاة من المعتزلة : يقال لهم : كيف تؤولون اليد بالقدرة وأنتم تنفون عنه الصفات ومنها القدرة فتقولون : قدير بلا قدرة فهذا التأويل لا يستقيم مع مذهبكم .

(١) الأقليم للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد للشيخ الأسين الشنقيطي : ٣٤-٣٥ .

وكذا تأويلكم اليدين بمعنى النعمة لا يصح لأن الله تعالى أخبر أنه خلق آدم بيديه والنعمة مخلوقه فكيف تكون خالقه ^(١) .

سادساً : يقال للنفاة من الأشاعرة ومن نحنا نحوهم : إن تأويل اليدين بالنعمة لا يصح لغة وهذا أحد الأئمة الذين تعترفون بفضلهم يقول : وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل « عملت كذا بيدي » ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل : « فعلت بيدي » ويعني النعمة فبطل أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ النعمة وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل : « لي عليه يد » بمعنى لي عليه نعمة ومن دافعنا عن استعمال اللغة ، ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة ، إذ كان لا يمكن أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة ، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها ، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها لأنه إن رجع في تفسير قوله تعالى : ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ نعمتي إلى الإجماع ، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين ، وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل « بيدي » يعني نعمتي ، وإن لجأ إلى وجه ثالث سأله عنه ولن يجد إليه سبيلاً ^(٢) .

سابعاً : إن يقال لهم : « إن يد النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ اليد فلا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية ، فلا يقال : كفى لا للنعمة ولا للقدرة ، ولا إصبع وإصبعان ولا يمين ولا شمال ، وهذا كله

(١) انظر أصول الدين للبغدادي : ١١١ .

(٢) الإبانة لأبي الحسن الأشعري : ٩٨-٩٩ .

ينفى أن يكون اليد نعمة أو يد قدرة فالنصوص المتقدمة جعلت اليد متصرفاً تصرفاً يمنع معه هذا التأويل ، سواء كان بمعنى القدرة أو بمعنى النعمة »

ثامناً : إن اليد إذا أريد بها النعمة أو القدرة فلا بد أن يقترن باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد أما أن تطلق ويراد بها ذلك فهذا لا يجوز فإذا قيل مثلاً رأيت البحر والأسد فإنه لا يجوز حمل ذلك على الرجل الجواد والشجاع ولا يقول بهذا عاقل فأين القرينة الدالة على ذلك ومثل هذا لفظ اليد فقد جاءت مطلقة لم يقترن بها ما يزيلها عن معناها الحقيقي .

تاسعاً : يقال لهم : لو نزلنا على رغبتكم ، وسلمنا جديلاً أن المراد باليد القدرة والنعمة فإن هذا الاستعمال لا يعرف إلا في حق من له يد حقيقية فالعربي لا يعرف خلاف ذلك ، فاليد المضافة إلى الحي إما أن تكون يداً حقيقية أو مستلزمة للحقيقة وأما أن تضاف إلى من ليس له يد حقيقة وهو حي متصف بصفات الأحياء فهذا لا يعرف البتة ^(١) .

عاشرأ : يقال لهؤلاء النفاة الذين ذهب بعضهم إلى أن الأصابع تخليط من اليهود لأن اليهود مجسمة وأن ضحك النبي ﷺ من كلام الخبر ليس دليلاً على تصديقه لليهودي بل هو دليل الكراهة والاستنكار .

يقال لهم : هذه مغالطة مكشوفة فإن حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما المتقدم يبطل هذا الادعاء فليس في إسناده يهودي ولا نصراني ، وأنتم بهذا التصرف تسيئون إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين رووا الحديث بعد أن فهموا أن النبي ﷺ أقر اليهودي على ما أحر

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٢ / ٣٧٤ - ٤٧٥ .

به من قدرة الله تعالى بل ضحكك عليه الصلاة والسلام ضحكا يدل على التصديق والإعجاب بكلام الحبر والمعروف من سيرة الرسول ﷺ إنه إذا تقول أحد على الله بغير علم أنه يغضب ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق^(١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي للزم فيه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار ، وحاشاه من ذلك^(٢) .

(١) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي : ١٧١/٢ .

(٢) فتح الباري : ١٦٩/١٧ .

أقوال العلماء في إثبات هذه الصفة :

وردت كلمات عن أئمة السلف ترد على النفاة لصفة اليد الذين حملهم القياس الفاسد على تأويلها بل تحريفها إلى معان باطلة ، فمن هذه الأقوال :

١- قول الإمام ابن قتيبة رحمه الله :

قال عند قول النفاة على قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾^(١) وأن المراد بها هنا النعمة .

قال : وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل أحدهما النعمة .

والأخر القوة من الله ﴿ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾^(٢) يريد أولى القوة في دين الله والبصائر ومنه يقول الناس مالي بهذا الأمر يدان يعنون مالي به طاقة .

والوجه الثالث : اليد بعينها ولكن لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة لأنه قال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ والنعم لا تغل وقال : غلت أيديهم معارضة بمثل ما قالوا ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم ثم قال : بل يدها مبسوطتان ولا يجوز أن يراد نعمتهاه مبسوطتان ، وكان مما احتجوا به للنعمة قوله غلت أيديهم ، لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد ، فما أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم ، ألم يسمعوا بقول الله تعالى :

(١) المائة : ٦٤ .

(٢) ص : ٤٥ .

﴿ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرًا ﴾^(١) ، ويقوله : ﴿ قَاتَلْتُمُ اللَّهَ أَنْسَى ﴾^(٢) ، ويقوله : ﴿ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ واللعن الطرد فهل قتل الله الناس جميعاً وهل قتل قوماً وطرد آخرين ، أو لم يسمعوا بقول العرب قاتله الله ما أبطشه ؟ وأحزاه الله ما أشعره ؟ ويقول النبي ﷺ لرجل تربت يده أي افتقر ولم يفتقر ، والمرأة عقرى حلقى ، ولم يعقرها الله ولا أصاب حلقها بوجع^(٣) .

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله :

نحن نقول لله جلا وعلا - يدان كما أعلمنا الخالق الباري ، في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ .

ونقول : كلتا يدي ربنا عز وجل يمينا على ما أخبر النبي ﷺ .
ونقول : إن الله عز وجل يقبض الأرض جميعاً بإحدى يديه ، ويطوي السماء بيده الأخرى ، وكلتا يديه يمينا ... ونقول من كان من بني آدم سليم الأعضاء والأركان مستوي التركيب لا نقص في يديه أقسى بني آدم وأشدهم بطشاً له يدان عاجز عن أن يقبض على قدر أقل من شعرة واحدة من جزء من أجزاء كثيرة على أرض واحدة من سبع أرضين ولو أن جميع من خلقهم الله من بني آدم إلى وقتنا هذا ، وقضى خلقهم إلى قيام الساعة لو اجتمعوا على معونة بعضهم بعضاً وحاولوا على قبض أرض واحدة من الأرضين السبع بأيديهم كانوا عاجزين عنه ، فكيف يكون - يا ذوي الحجا - من وصف يد خالقه بما بينا من القوة والأيد

(١) عبس : ١٧ .

(٢) المنافقون : ٤ .

(٣) الاختلاف في اللفظ : ٤٠ .

ووصف يدا المخلوقين بالضعف والعجز مشبهاً يد الخالق بيد المخلوقين ؟
أو كيف يكون مشبهاً من يثبت أصابع على ما بينه النبي المصطفى ﷺ
للخالق الباري ؟^(١) .

وخلاصة القول : نقول هؤلاء النفاة أصحاب شبهة التشبيه
- القياس الفاسد - الذين حرفوا نصوص الصفات وعطلوها عما دلت
عليه من صفات الله إنكم لم تعرفوا حقيقة التشبيه المنفي عن الله تعالى
وصفاته فأوتيتم من سوء الفهم .

وقد وقعتم بهذا التعطيل لصفة اليد وغيرها من الصفات في أربعة
محاذير :

أولاً : أنكم مثلتم ما فهمتموه من النصوص التي تثبت صفة اليد لله
على الوجه اللائق بجلاله - بصفات المخلوقين ، وظنتم أن مدلول
النصوص هو التمثيل وهذا فهم خاطئ وقياس للخالق على المخلوق فتمثيل
الخالق بالمخلوق كفر وضلال لأنه تكذيب لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾ .

ثانياً : إنكم جنيتم على النصوص حيث نفيتم ما تدل عليه من
المعاني ثم أثبتتم لها معاني من عند أنفسكم .

ثالثاً : إنكم نفيتم ما دلت عليه النصوص بغير علم وهذا محرم
بالنص والإجماع .

رابعاً : إنكم وصفتم الرب تبارك وتعالى بنقيض تلك الصفة من
صفات النقص ، فصفة اليد كمال في المخلوق وفقدتها نقص والله تبارك
وتعالى هو الذي أعطى هذا الكمال فهو أولى به . وبالله التوفيق .

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل : ١٩٣/١ - ١٩٤ .

المبحث السابع : أثر القياس الفاضل على نفاذ العنين.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاضل .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاضل .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

ذهب النفاة لصفة العين عن الرب تبارك وتعالى إلى معنى بعيد لا يقره أحد يعرف الله ويقدره حق قدره وهو أن النصوص التي أثبتت هذه الصفة ليس المراد بها ظاهرها لأن ظاهرها يلزم منه التشبيه حسب قياسهم الفاسد .

قال الفخر الرازي : واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه :

أولاً : أن ظاهر قوله تعالى ﴿ وَتُصَنَعُ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(١) يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقوله عاقل .

الثاني : أن قوله تعالى : ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٢) يقتضي أن يكون آلة الصنعة هي تلك العين .

الثالث : أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة ^(٣) .

ويذكر الأشعري أن المعتزلة أجمعت بأسرها على إنكار العين لله تعالى وأنهم تأولوا الآيات الواردة في ذلك بأن المراد منها العلم ^(٤) .

(١) طه : ٣٩ .

(٢) هود : ٣٧ .

(٣) أساس التقديس : ١٢١ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين : ٢٧١/١ ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٢٢٧ .

وقال الجويني : المراد بالعين الواردة في الآيات البصر (١) .

وقال البغدادي : المراد منها الرؤية والعلم (٢) .

ولا فرق بين قول الجويني والبغدادي لأن الأشاعرة يفسرون السمع والبصر ويقولون : السمع علمه بالمسموعات ، والبصر علمه بالمبصرات .

فيرجعون صفتي السمع والبصر إلى صفة العلم وكل هذا فراراً من إثبات الجارحة كما يتوهمون ، وهذا يدل على أن إثباتهم للصفات السبع لم يسلم من تكدير القياس الفاسد .

وقال بعض المتأخرين في حديث الدجال - معلقاً على ما ذهب إليه الإمام الهروي من إثبات ، والحديث ليس فيه إثبات العين لله فمن أين أتى بها الهروي ، إن كان فهم من قوله : إن ربكم ليس بأعور أنه يستلزم أن تكون له عينان فهذا غلط واضح فإن الصفات لله تعالى لا تثبت إلا بلفظ صريح في حديث صحيح وقد جاء في القرآن إثبات العين مفردة كقوله تعالى : ﴿ وَتُصَنَعُ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ ومجموعة كقوله سبحانه ﴿ فَأَيُّكَ بَاعَيْنَا ﴾ ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وهذا يدل على أن نسبة العين إلى الله معناه صفات البصر أو الحفظ والكلاءه (٣) .

وهكذا نرى أن النفاة قد تنوعت عباراتهم واختلفت تأويلاتهم واتفقت على نفي صفة العينين لله تبارك وتعالى . فالله المستعان .

(١) انظر الإرشاد : ١٥٥ .

(٢) انظر أصول الدين : ١٠٩ .

(٣) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي : ٢٦٣ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

الأدلة من القرآن تبطل تأويلات النفاة فلا قيمة لهذه التأويلات الفاسدة مع هذه النصوص لأنها نتجت عن قياس فاسد في مقابلة هذه النصوص الآتية فلا اعتبار له معها :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْقِيَتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٤) .

ويلاحظ في هذه الآيات الكريمات أن العين جاءت مفردة ومجموعة وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ^(٥) فالمراد نعم الله الكثيرة .

ومثل قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ تَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٦)

فليلة الصيام المراد بها جميع ليالي رمضان .

(١) هود : ٣٧ .

(٢) القمر : ١٤ .

(٣) طه : ٣٩ .

(٤) الطور : ٤٨ .

(٥) إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨ .

(٦) البقرة : ١٨٧ .

وإذا قال قائل نظرت بعيني فلا يخطر ببال أحد ممن سمع هذا الكلام أن هذا القائل ليست له إلا عين واحدة .

وذكر العين بمجموعة لا يدل على أنها ليست اثنتين بل هما اثنتان وهذا سائغ في لغة العرب وقد دل على هذا القرآن كما قال تعالى ﴿ إِن تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾^(١) أي قلبا كما .

وسأتي في الأحاديث ما يدل على أنهما عينان .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : فإن قيل ما تصنعون بقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ حيث ذكر الله تعالى العين بلفظ الجمع ؟ قلنا :

نتلقاها بالقبول والتسليم ونقول : إن كان أقل الجمع اثنين ... فلا إشكال لأن الجمع هنا قد دل الدليل على أن المراد به اثنتان فيكون المراد به ذلك ، وإن كان أقل الجمع ثلاثة فإننا نقول جمع العين هنا كجمع اليد في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾^(٢) يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهو « نا » المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد وحيث لا يصادم التثنية .

فإن قيل فما تصنعون بقوله تعالى يخاطب موسى : ﴿ وَتُصْنَعُ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ حيث جاءت بالإفراد ؟

قلنا : لا مصادمة بينهما وبين التثنية لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعدداً ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ... فإن النعمة اسم مفرد ومع ذلك فأفرادها لا تحصى وبهذا

(١) التحريم : ٤ .

(٢) يس : ٧١ .

تبين ائتلاف النصوص واتفاقها وتلازمها ، وأنها والله الحمد كلها حق ،
وجاءت بالحق لكنها تحتاج في بعض الأحيان إلى تأمل وتفكير ، بقصد
حسن ، وأداة تامة بحيث يكون عند العبد صدق نية بطلب الحق ،
واستعداد تام لقبوله ، وعلم بمدلولات الألفاظ ، ومصادر الشرع
وموارده ^(١) .

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين : ١٥١/١ - ١٥٢ .

الأحاديث التي تثبت العينين صفة للرب تبارك وتعالى :

- ١- منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قال :
« قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال
فقال : إنني لأنذركموه ، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، ولكني سأقول
لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ، إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور »^(١) .
- ٢- وحديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما بعث نبي إلا أنذر
أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، وإن بين عينيه
مكتوب : كافر »^(٢) .

- ٣- وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :
« الدجال هو أعور هجّان أشبه الناس بعبد العزى بن قطن فأما هلك
الهلك فإن ربكم ليس بأعور »^(٣) .

- ٤- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على
عينه^(٤) . وفي رواية للدارمي (على عينيه) .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٩٠/١٢ ، ٣٨٩ ،
ومسلم ٢٢٤٧/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٩١/١٣ ، ٣٨٩ ،
ومسلم : ٢٢٤٨/٤ ، وابن خزيمة : ١٠٥/١ .

(٣) رواه ابن خزيمة : ١٠١/١ ، وإسناده صحيح انظر الفتح الرياني : ٧٨/٢٤ .

(٤) رواه أبو داود : ٩٧/٥ ، والرد للدارمي : ٤٧ .

ولهذه الرواية شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وهو حديث
سنده حسن ^(١) ، وفي بعض ألفاظ حديث أنس المتقدم ، وأشار بيده إلى
عينه .

قال الحافظ : فيه إيماء إلى الرد على من يقول معناها القدرة ^(٢) .
ويقول الإمام الدارمي رحمه الله تعالى : ففي تأويل قول رسول الله
ﷺ : « إن الله ليس بأعور » يبان أنه بصير ذو عينين خلاف
الأعور ^(٣) .

ويقول أيضاً : « والعور عند الناس ضد البصر ، والأعور عندهم
ضد البصير بالعينين » ^(٤) .

(١) انظر الفتح الباري لابن حجر : ٣٧٣/١٣ .

(٢) انظر الفتح الباري لابن حجر : ٣٩٠/١٣ .

(٣) الرد للدارمي : ٤٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٣ .

مناقشة النفاة فيما ذهبوا إليه :

أولاً : يقال لهم : إن تأويلاتكم باطلة لأن الغرض منها إنكار العين الثابتة لله تبارك وتعالى في نصوص الكتاب والسنة ، فإذا قالوا بأن من السلف من فسر قوله تعالى : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بمرأى منا وأنتم تقولون إن التحريف محرم فما الجواب ؟

قلنا : الجواب أنهم فسروها باللازم مع إثبات الأصل وهي العين وأهل التحريف ، يقولون : بمرأى منا بدون إثبات العين ، وأهل السنة والجماعة يقولون ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بمرأى منا مع إثبات العين ^(١) .

ونقول لهذا المتسائل من أين أتى المهروري بإثبات العينين ؟ نقول أتى بها من الكتاب والسنة ، وقولك في الحديث : « إن ربكم ليس بأعور » لا يفهم منه إثبات العينين ، هذا هو الغلط .

قال الشيخ عبد الله الغنيمان : وقوله : « إن الله ليس بأعور » هذه الجملة هي المقصودة من الحديث في هذا الباب ، فهذا يدل على أن لله عينين حقيقة لأن العور فقد أحد العينين أو ذهاب نورها ^(٢) .

ثانياً : يقال للنفاة : قوله تعالى عن سفينة نوح ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقوله لموسى ﴿ وَكُنُصَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ إن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا ؟

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله أو أن

موسى ^{عليه السلام} يربى فوق عين الله تعالى ؟

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٣١٤/١ .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري : ٢٨٥/١ .

أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها
وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاة ويكلؤه بها ؟
ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين :

الأول : أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي والقرآن
الكريم إنما نزل بلغة العرب ... ولا أحد يفهم من قول القائل فلان يسير
بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه ، ولا من قول القائل فلان تخرج على
عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينه ، ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر
اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء .

الثاني : إن هذا ممتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقدره
حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن
من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته ولا هو حال في شيء من مخلوقاته
سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون
ظاهر الكلام هو القول الثاني ، أن السفينة تجري وعين الله ترعاها
وتكلؤها ، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاها
ويكلؤه بها^(١) .

ثالثاً : يقال للنفاة : إن كانوا ممن يثبت لله سبع صفات لم لا
تقولون في السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ،
والعلم ، مثل قولكم في صفة العينين بأن إثباتها يستلزم التشبيه ، فإن قالوا
إثبات هذه الصفات السبع على وجه يليق به ، قلنا هذا حق قلموه في

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين : ٣/٣٢٤-٣٢٥ .

هذه الصفات فقولوا نظيره في صفة العينين ولا يلزمكم ما تخشونه من التشبيه ، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

وإن كان النافي من المعتزلة فإنه يقال له : هل لله ذات ؟ فإن نفى فقد كفر ، وإن أقر قلنا له وللإنسان ذات ، فإذا قال لله ذات تليق به ليست كذات المخلوق قلنا له هذا حق قلته هنا فقله في صفة العينين وفي بقية الصفات ولا يلزمك ما تخشاه من التشبيه .

وللإمام ابن خزيمة رحمه كلام قيم يرد به على هؤلاء الذين ظنوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه : ويفرق فيه بين صفات الخالق وصفات المخلوق فيقول :

نحن نقول : لربنا الخالق عينان يصربهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلي ، وما في السماوات العلى ، وما بينهما من صغير وكبير ، ولا يخفى على خالقنا خافية في السماوات السبع والأرضين السبع ، ولا مما بينهن ولا فوقهن .

ولا أسفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء ، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستور عليه .

وبنوا آدم - وإن كانت لهم عيون يصرون بها - فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم ...

والبصير من بني آدم لا يدرك ببصره شخصاً من بني آدم ، وبينهما فرسخان فأكثر .

وكذلك لا يرى أحد من الآدميين ما تحت الأرض إذا كان فوق المرئي من الأرض والتراب قدر أمثلة أو أقل منها بقدر ما يغطي ويواري الشيء .

وكذلك لا يدرك بصره إذا كان بينهما حجاب من حائط أو ثوب صفيق أو غيرهما مما يستر الشيء عن عين الناظر .

فكيف يكون ، يا ذوي الحجا - مشبهاً من يصف عين الله بما ذكرنا وأعين بني آدم بما وصفنا ؟

ونزيد شرحاً وبياناً : نقول : عين الله عز وجل قديمة ، لم تنزل باقية ، ولا يزال محكوم لها بالبقاء ، منفي عنها الهلاك والفناء ،

وعيون بني آدم محدثة مخلوقة كانت عدماً غير مكونة فكونها الله وخلقها بكلامه الذي هو صفة من صفات ذاته ، وقد قضى الله وقدر أن عيون بني آدم تصير إلى بلاء عن قليل والله نسأل خير ذلك المصير ..

ولست أحسب لو قيل لبصير لا آفة يبصره ، ولا علة بعينه ولا نقص بل هو أعين أكحل ، أسود الحدق ، شديد بياض العينين ، أهدب الأشفار ، عينك كعين فلان الذي هو : صغير العين ، أزرق ، أحمر بياض العينين ، قد تناثرت أشفاره ، وسقطت ، أو كان أخفش العين ، أزرق ، أحمر بياض شحمها .

يرى الموصوف الأول : الشخص من بعيد ، ولا يرى الثاني مثل ذلك الشخص من قدر عشر ما يرى الأول ، لعله في بصره ، أو نقص في عينه ، ألا غضب من هذا ؟ وأنف منه ؟ فلعله يخرج إلى القائل له ذلك إلى المكروه من الشتم والأذى .

ولست أحسب عاقلاً يسمع هذا المشبه عيني أحدهما بعيني الآخر إلا وهو يكذب هذا المشبه ... ويرميه بالعتة ، والخبل ، والجنون ، ويقول له : لو كنت عاقلاً يجري عليك القلم : لم تشبه عيني أحدهما بعيني الآخر ... فكيف لو قيل له : عينك كعين الخنزير ، والقرد ، والسدب ، والكلب ، أو غيرها من السباع ، أو هوام الأرض ، والبهائم ، فتدبروا

ياذوي اللأباب أبين عيني خالقنا الأزلي الدائم الباقي الذي لم يزل ولا
يزال ، وبين عيني الإنسان من الفرقان أكثر أو مما بين أعين بني آدم وبين
عيون ما ذكرنا؟^(١) .

(١) كتاب التوحيد : ١١٤/١-١١٦ .

المبحث الثامن : أثر القياس الفاسد على نفاذ الوجه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

لقد وقع النفاة لصفة الوجه في قياس فاسد ، لأنهم فهموا من ظاهر النصوص المثبتة لصفة الوجه التشبيه بين الخالق والمخلوق فبناءً على هذا الوهم أرادوا أن يتخلصوا منه فنفوا عن الله ما أثبتته لنفسه فشبهوا أولاً ، وعطلوا ثانياً ، وتلاعبوا بالنصوص وانتهكوا حرمتها بشتى أنواع التأويلات .

فمنهم من قال : « ذكر الله سبحانه الوجه على التوسع لا لأن له

وجهاً في الحقيقة وإنما معنى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ أي ويبقى ربك»^(١)

قال البغدادي : « و الصحيح عندنا أن وجهه ذاته »^(٢) .

ومنهم من قال عند قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٣) رضا الله وطاعته^(٤) .

وقالوا عند قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٥) ،

إلا ذاته^(٦) .

(١) مقالات الإسلاميين : ٢٤٨/١ .

(٢) أصول الدين للبغدادي : ١١٠ ، وانظر تحفة المريد : ٩٣ .

(٣) الكهف : ٢٨ .

(٤) تفسر الرازي : ٤٥٤/١ ، وتفسر البيضاوي : ٣٩١ .

(٥) القصص : ٨٨ .

(٦) انظر تفسر المراغي : ١٠٤/٢ ، والتفسر الواضح لمحمود حجازي : ٦٠/١٩ .

وبعضهم قال عند هذه الآية : إلا إياه ^(١) .
أو أنه جاهه تعالى الذي جعله في الناس ^(٢) .
وأقوال هؤلاء النفاة في تفسير الوجه لا يختلف فهو بمعنى واحد وإن
اختلفوا في التعبير عنه .

فمن قال في قوله تعالى ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ أي ويقى ربك أو
ذاته ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ أي إلا إياه فهو بمعنى
واحد لا اختلاف إلا في العبارة فقط .

وأحياناً يفسرون الوجه بالثواب ^(٣) .
إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة التي تهدف كلها في نفي صفة
الوجه عن الرب تبارك وتعالى من أجل قياس فاسد ورأي كاسد فلا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) تفسير الجلالين : ١٢٣ ، وانظر تفسير الخازن : ١٨٦/٥ .

(٢) انظر تفسير الألويسي : ١٣٢/٧ .

(٣) انظر تفسير الجلالين : ٣٦٧ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

إن من يتدبر الآيات والأحاديث التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام يجزم ببطلان قول النفاة سواء كانوا جهمية أو معتزلة أو من تأثر بهم من الأشاعرة لأنه قياس فاسد جاء في مقابلة النصوص فلا اعتبار له معها .

والذي يأتي من النصوص هو أكبر برهان على أن الله وجهاً هو صفة من صفاته الذاتية التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ والواجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، فوجه الرب تبارك وتعالى منزّه عن مشابهة صفات الخلق فكيف يقول من له أدنى عقل أن وجه الباقي كوجه الفاني حيث لا اتفاق بينهما إلا في الاسم والاشتراك في الأسماء والصفات لا يلزم منه تماثل المسميات والموصوفات .

فلو أن كل توافق في الاسم يقتضي تشبيهاً لكان كل من قال إن لبني آدم وجهاً وللكلاب والحمير والخنازير وجوهاً مشبهاً وجه بني آدم بوجوه هذه الحيوانات بل لو قيل للمعطل إن وجهك يشبه وجه القرود لكان هذا عنده من أعظم الشتائم ولغضب من هذا القائل ولو كان أعز الناس عنده ، ولم يقبل حجته هذه وهي أن لك وجهاً وللقرود وجه وذلك يقتضي التشابه بجامع الاشتراك في الاسم فكيف يفهم المعطل هذا في حق الله تعالى الذي ليس كمثل شيء ، وكيف يزعم أن إثبات الوجه يقتضي تشبيهه بخلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهذه طائفة من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة فيها البيان الكافي لإبطال التأويلات الفاسدة والآراء الكاسدة :

أولاً : الآيات القرآنية :

قال الله تعالى : ﴿ كَلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا اتِّفَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَثَمَّ وَجْهُ

أَ لِلَّهِ ﴾ ^(٥) .

ففي هذه الآيات يخبرنا الرب تبارك وتعالى بأن له وجهاً أعلى موصوفاً بالجلال والإكرام ، وهذه الآية الأخيرة وإن ذهب بعض السلف كمجاهد والشافعي إلى تفسيرها بقبلة الله فإنما قالوه في هذه الآية فقط ، فهب أن هذا كذلك في هذا الموضوع فهل يصح أن يقال ذلك في بقية الآيات ، على أن الصحيح في قوله ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أنه كقوله في سائر الآيات التي ذكر فيها الوجه فإنه قد اطرده مجيئه في القرآن والسنة مضافاً إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ومعنى واحد وسيأتي مزيد بيان

(١) القصص : ٨٨ .

(٢) الرحمن : ٢٧ .

(٣) الإنسان : ٩ .

(٤) الليل : ٢٠ .

(٥) البقرة : ١١٥ .

إن شاء الله ، على أنه لا يتعين حمل الآية على أن المراد بها
القبلة (١) .

ثانياً : الأحاديث النبوية :

والأحاديث التي تثبت هذه الصفة كثيرة جداً منها :

١- ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « لما
نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ
فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، وقال : ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ : أعوذ بوجهك ، قال : ﴿ أَوْ لِبَسَاتِكُمْ
شَيْعًا ﴾ فقال النبي ﷺ : هذا أيسر » (٢) .

٢- وحديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : النظر إلى وجه ربهم عز وجل » (٣) .

٣- وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« جتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجتان من ذهب آتيتهما وما
فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكرياء على
وجهه في جنة عدن » (٤) .

(١) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي : ١٠٧/٢ ، ومختصر الصواعق
المرسلة : ٣٩٦ / ٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٣٨٨/١٣ .

(٣) أخرجه مسلم : ١٦٣/١ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٢٣/١٣ ، ومسلم : ١٦٣/١ ،
والترمذي : ٦٧٣/٤ .

٤- وعنه أيضاً قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (١) .

٥- وحديث عبد الله بن مسعود ؓ : « لما قسم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين وقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله » (٢) .

٦- وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حبسوا في الغار فقال كل واحد منهم : « اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه » (٣) .

٧- وحديث سعد بن أبي وقاص ؓ عند ما قال له الرسول ﷺ : « لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ... » (٤) .

٨- وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد : « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم » (٥) .

(١) أخرجه مسلم : ١٦١/١ ، وابن ماجه : ٧٠/١ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢٥١/٦ ، ومسلم : ٧٣٩/٢ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٤٤٩/٤ ، ومسلم : ٢١٠٣/٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ١٤/١٢ ، ومسلم : ١٢٥١/٣ .

(٥) أخرجه أبو داود : ٣١٨/١ .

وسيتبين لنا إن شاء الله تعالى من خلال هذه الأحاديث بطلان ما ذهب إليه النفاة لصفة الوجه .

مناقشة النفاة فيما ذهبوا إليه من التأويلات الفاسدة :

يجاب على ما ذهب إليه النفاة من تلك التأويلات المتقدمة التي جرهم إليها القياس الفاسد من وجوه :

أولاً : يقال لهم : أنه لا يعرف في لغة من لغت الأمم أن وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه وغاية ما تتعلقون به أيها المعطلة أن تقولوا : وجه الأمر ووجه الحائط ووجه الثوب ووجه النهار .

فيقال لكم : ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات بل هذا مبطل لقولكم فإن الوجه في اللغة مستقبل كل شيء وأول ما يواجه منه فهو وجه حقيقة ولكنه بحسب المضاف إليه ، فوجه الأمر والرأي ما ينظر أنه صواب ووجه النهار أوله ولا يقال لجميع النهار وجهاً ، فإن أضيف الوجه إلى زمن كان الوجه زمناً ، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه ، وإن أضيف إلى من ليس كمثلته شيء كان وجهه تعالى كذلك ^(١) .

ثانياً : يقال لهؤلاء النفاة ممن يثبت الرؤية لقد تقدم حديث صحيح صحيحه الذي جاء فيه تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى وقد اتفق على هذا الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم ، فإن أنكروا حقيقة الوجه لم يكن

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة : ٥٦/١ ، ومختصر الصواعق المرسله : ٣٨٨/٢ .

للنظر عندكم حقيقة ولا سيما إذا أنكرتم الوجه والعلو فيعود النظر عندكم إلى خيال مجرد .

ثالثاً : يقال لهم : تأملوا في الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، فإنه تعالى أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه حيث ذكره مرفوعاً فقال ذو الجلال والإكرام .

فلو كان المراد بالوجه الذات لكان مجروراً نعتاً للرب تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فدل على أن المنعوت في الآية الأولى هو الوجه ^(١) .

رابعاً : يقال لهذا النافي إن كان ممن يثبت لله سبع صفات لم لا تقول في السمع والبصر والقدرة والإرادة مثل قولك في هذه الصفة بأن إثباتها يستلزم التشبيه ، فإن قال : له سمع وبصر وقدرة وإرادة تليق به قلنا هذا حق قلته في هذه الصفات فقل مثله في صفة الوجه ولا يلزمك ما تخشاه من التشبيه فله وجه سبحانه وتعالى يليق به فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

وإن كان من المعتزلة قلنا له هل لله وجود فإن نفى فقد كفر وإن أقر قلنا له وللإنسان وجود فإذا قال لله وجود يليق بجلاله ليس كوجود المخلوقين ، قلنا هذا حق قلته هنا فقله في صفة الوجه وفي بقية الصفات ولا يلزمك ما تخشاه من التشبيه .

خامساً : يقال لهم : إن حمل الوجه على الثواب المنفصل من أبطل الباطل فإنه لا يعرف في اللغة ولا في عرف الناس أن الجزاء يسمى وجهاً .

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة : ٥٢/١ .

ثم إن الثواب مخلوق وقد تقدم حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بوجه الله ، وكذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المتقدم ففيه استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه الكريم ، فهل يقول عاقل أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ بمخلوق .

سادساً : ويقال لهم أيضاً : إن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المتقدم الذي جاء فيه « حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » يطل المعاني المجازية لأنه أضاف السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه وأضاف البصر إليه فهذا يبين أن المراد وجه الرب تبارك وتعالى ^(١) .

سابعاً : يقال لهم : إن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المتقدم يطل ما ذهبت إليه من أن المراد بالوجه الذات ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ أولاً بإله العظيم ، ثم استعاذ ثانياً بوجهه الكريم ، والعطف يقتضي المغايرة .

ثامناً : يقال لهم : إن تفسير وجه الله في قوله تعالى : ﴿ فَثُمَّ وَجَّهْ أَلَّهُ ﴾ بأن المراد به الجهة أو القبلة لا يعرف لغة ولا شرعاً إذ لكل منهما اسم يخصه .

فالقبلة قال الله عنها ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهٍ مِّن مَّوْلِيَّهَا ﴾ ^(٢) ، والوجهه والجهة غير الوجه ومن المعروف أن القبلة التي أمر الله المصلين بالتوجه إليها قبلة واحدة فلو كان المراد بوجه الله تعالى في قوله ﴿ فَثُمَّ وَجَّهْ أَلَّهُ ﴾ جهة القبلة كما تقولون : لكان كل جهة يولى إليها العبد وجهة

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلات : ٣٩٠/٢ .

(٢) البقرة : ١٤٨ .

فهي قبله له وهذا لا يصح إذا كيف يقول الله لعباده ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ويخص الاتجاه إلى هذا المكان ثم يقول لهم أي جهة توجهتم إليها فهي جهة القبلة .

تاسعاً : يقال لهم : إن قوله تعالى : ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ليس فيه تعرض للقبلة ولا لجهتها بل تدل الآية بسياقها وسباقها على بيان عظمة الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء وأعظم من كل مخلوق وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ فبها بذلك على ملكه لما بينهما ثم ذكر عظمته سبحانه وأنه أكبر وأعظم من كل شيء فأينما ولي العبد وجهه فثم وجه الله ثم ختم سبحانه كلامه في هذه الآية باسمين دالين على السعة والإحاطة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ تقريراً للمعنى السابق وتبياناً له على أتم وجه .

عاشرأ : يقال لهم : لو قلنا نزولاً على رغبتكم أن قوله تعالى : ﴿ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ يراد بها الجهة والقبلة كما قال بذلك بعض أهل العلم فيكون ظاهر الآية الذي هو لفظ الوجه لفظاً مشتركاً قد استعمل في الجهة تارة وفي الصفة تارة فمن أين يلزم من ذلك أن يكون وجه الرب ذو الجلال والإكرام مجازاً وأن لا يكون له وجه حقيقة كما تقولون بخلاف ما يقوله بعض أهل العلم الذين فسروا هذه الآية بالجهة فإنهم يثبتون لله وجهها يليق بجلاله من غير تشبيه ^(١) .

وهذه الوجوه كافية في بطلان ما ذهب إليه النفاة . وبالله تعالى

التوفيق .

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله : ٣١٥/٢ .

المبحث التاسع : أثر القياس الفاسد على نفاذ القدر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد .

المطلب الأول : أثر القياس الفاسد

المعطل والممثل كل منها جامع بين التعطيل والتمثيل فأما تعطيل المعطل فواضح فهو نفيه للصفات وأما تمثيله فهو اعتقاده أن النصوص التي تثبت الصفات للرب تبارك وتعالى يقتضي ظاهرها التشبيه فنفاها بناءً على هذا الاعتقاد فشبه أولاً وعطل ثانياً وتلاعب بالنصوص حيث أخرجها عن معانيها الصحيحة وأما تشبيه المشبة وتعطيله فله موضع آخر .

فحصل للنفاة هنا قياس فاسد لأنهم لم يفهموا من القدم إلا ما فهموه من صفات المخلوقين .

ونتيجة لهذا القياس حصل ما حصل من التأويلات الفاسدة للقدم ونفي حقيقتها فقليل في معنى القدم : أنهم الكفار الذين سبق في علم الله تعالى أنهم من أهل النار وحمل معنى القدم على أنه هو المتقدم .

وقال بعضهم : القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ويضيفه إليه من طريق الفعل والمملك يضعه في النار فتمتلئ منه ^(١) .

وقيل المراد : إذلال جهنم ، فإنها بالفت في الطغيان وطلب المزيد فأذها الله فوضعها تحت القدم وليس المراد حقيقة القدم .

وقيل المراد بالقدم : قدم صدق وهو محمد والإشارة بذلك إلى شفاعته وهو المقام المحمود فيخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان ^(٢) .

(١) انظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك : ١٢٦-١٢٧ .

(٢) انظر فتح الباري : ٥٩٦/٨ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ومن التأويل البعيد قول من قال المراد بالقدم قدم إبليس وأخذه من قوله : حتى يضع الجبار فيها قدمه ، وإبليس أول من تكبر فاستحق أن يسمى متجبراً وجباراً وظهور بعد هذا يعني عن تكلف الرد عليه ^(١) .

وهذا القياس الفاسد يظهر في قول بشر المريسي الذي حكاه عنه عثمان بن سعيد الدارمي : يقال : هؤلاء المشبهة - ويعني بهم أهل السنة والجماعة - أليس من قال : أن الله يخلف وعده كافر ، فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : من زعم أن جهنم تمتلئ من غير الجن والإنس فقد كفر ، لأن الله قال ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٢) ^(٣) .

فقول بشر - يقال هؤلاء المشبهة : دليل على القياس الفاسد المستكن في نفسه لأنه ظن أن ظاهر النصوص التي ثبتت صفة القدم يفهم منها التشبيه فقياس الخالق على المخلوق بناءً على هذا الفهم ونفى من أجله حقيقة القدم بل كفر من قال : إن جهنم تمتلئ من غير الجن والإنس ، غير ناظر إلى أن الذي قال : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ هو الذي قال ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ ^(٤) .

وسياتي إن شاء الله رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي في قوله هذا وهنا أيضاً قياس فاسد آخر ، وهو أنه يستحيل وضع القدم في

(١) المصدر السابق : ٥٩٦/٨ .

(٢) المسجدة : ١٣ .

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ٦٨ .

(٤) ق : ٣٠ .

النار لأن المعهود عند نفاة الصفات أن المخلوق لا يضع قدمه في النار
فقاسوا الخالق على المخلوق^(١) .

(١) انظر ابن حزم وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد بن ناصر الحمد : ٣٣٣ .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد

لقد جاء القياس الفاسد هنا في معارضة النصوص التي تثبت صفة القدم لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته .

فلا اعتبار لهذا القياس مع وجود هذه النصوص الصحيحة فقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باب : ﴿ وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾^(١) .

وساق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يلقى في

النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول : قط ، قط »^(٢) .

مفسراً به هذه الآية وعلماء السلف متفقون على أنه يفسر القرآن بالقرآن ثم يفسر بعد ذلك بالسنة فإنها مبينة للقرآن .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « فظاهر أحاديث الباب أن هذا القول منها لطلب المزيد »^(٣) .

وما قيل بأن الاستفهام للإنكار ، وكأنها تقول ما بقي في موضع لزيادة غير صحيح .

لأن الأحاديث المرفوعة في هذا الباب تدل على أنها تطلب زيادة وإلا لما وضع الله عليها رجله أو قدمه حتى ينزوي بعضها إلى بعض فكأنها تطلب بشوق إلى من يلقي فيها زيادة على ما فيها^(٤) .

(١) ق : ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٥٩٤/٨ ، واللفظ له ،
ومسلم : ٢١٨٧/٤ .

(٣) فتح الباري : ٥٩٥/٨ .

(٤) انظر المصدر نفسه : ٥٩٥/٨ ، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٣١/٢ .

ومن الأحاديث في هذا الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وقال رسول الله ﷺ : « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتحجرين ، وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ، وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكم ملوها ، فأما النار فلا تمتلي فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلي ويزوي بعضها إلى بعض » ^(١) .

٢- وحديثه أيضاً الطويل عن الرسول الله ﷺ وفيه : « ... ويضع السراط فيمرون عليه مثل جراد الخيل والركاب ، وقولهم عليه سلم سلم ، ويقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ثم يقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ ثم يطرح فيها فوج فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثم قال : قط ، قالت : قط قط ... » ^(٢) .

قال الترمذي رحمه الله بعد سياقه لهذا الحديث : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس وابن المبارك ، وابن عينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ، ونؤمن بها ولا يقال كيف ؟ وهذا الذي

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٥٩٥/٨ ، ومسلم واللفظ له : ٢١٨٦/٤ .

(٢) أخرجه الترمذي : ٦٩٢/٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد : ٢١٦/١ .

اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه ^(١) .

٣- ومن الآثار أيضاً :

مارواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره » ^(٢) .

وهذا الأثر له حكم الرفع لأنه أمر غيبي لا مجال للاجتهاد فيه ، فإن قال قائل لعل ابن عباس أخذه عن أهل الكتاب ، فيقال هذا غير صحيح لأن ابن عباس رضي الله عنه كان ينهي عن مسألة أهل الكتاب .

فقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِيهِ تَمَنَّا قَلِيلاً ﴾ ^(٣) ، أفلا نهاكم بما جاءكم

(١) سنن الترمذي : ٦٩٢/٤ .

(٢) رواه الإمام الدارمي في الرد على بشر المريسي : ٦٧ وقال عنه صحيح مشهور ، وابن خزيمة في التوحيد ٢٤٨/١ ، وابن أبي شيبة في كتاب العرش وما روي فيه : ٧٩ ، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة : ٣٠١/١ ، والحاكم في المستدرک : ٢٨٢/٢ ، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في مختصر العلو : ١٠٢ .

(٣) البقرة : ٧٩ .

من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن
الذي أنزل عليكم» (١) .

فالأحاديث والآثار صريحة بأن الله متصف بصفة القدمين على
الوجه اللائق بجلاله وعظمته وهي صريحة أيضاً بأن الرب تبارك وتعالى
يضع رجله أو قدمه في النار وهذا ما يعد حملها على تأويل ذلك بالأمة أو
الجماعة التي سبق في علمه تعالى أنه يملأ جهنم بها ، لأنه مر في معنى
الأحاديث « أنه ينزوي بعض النار إلى بعض » أي يقرب بعضها إلى بعض
يقال : انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا ، والمعنى في
الأحاديث أن النار بعد هذا الفعل من الله تعالى تجمع وتضيق على من فيها
فتمتلئ بهم ، ولو أن المقصود بوضع القدم أو الرجل الجماعة لقال في تلك
الأحاديث يلقي فيها حتى تمتلئ لأن الجماعة تلقى فيها إلقاء ولم يقل
يزوى بعضها إلى بعض .

وفي معنى الزوي الجمع والتضييق ولا يحتاج إلى هذا مع زيادة فيها
غير الموجودين لأن الله قادر على ملئها من غير تضيق (٢) .

وهكذا يتضح لنا فساد قياس القوم ، وصحة ما ذهب إليه السلف
في هذه الصفة وأمثالها استناداً إلى دلالة الوحي الذي يجب أن يدين له كل
مسلم ، وسيوضح ذلك بجلاء أكبر في المبحث التالي .

(١) أخرجه البخاري ، انظر مع الشرح فتح الباري : ٢١١/٥ .

(٢) ابن حزم وموقفه من الإلهيات : ٣٣١-٣٣٢ .

مناقشة النفاة فيما ذهبوا إليه من التأويلات الفاسدة التي دفعتهم إلى القياس

الفاسد .

ويحسن أن يكون الجواب عن هذا من وجوه :

أولاً : يقال لهؤلاء النفاة لقد وقعتم في أربعة محاذير :

١ : أنكم فهمتم من النصوص التي تثبت صفة القدم صفة تماثل صفة المخلوق وظننتم أن ذلك هو مدلول النص وهذا فهم خاطئ فإن الصفة التي دلت عليها النصوص تناسب موصوفها وتليق به .

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال لأنه تكذيب لقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١) ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص الكفر

والضلال ، لقوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾^(٣) .

٢- أنكم جنيتم على النصوص من وجهين :

أ- نفيتم ما تدل عليه من المعاني الإلهية .

ب- ثم أثبتتم لها معاني من عند أنفسكم لا يدل عليها ظاهر

اللفظ .

٣- أنكم نفيتم حقيقة القدم الذي دلت عليه النصوص بغير علم

وهذا محرم بالنص والإجماع .

(١) الشورى : ١١ .

(٢) النساء : ٢٦ .

(٣) النساء : ١٧٦ .

٤- أنكم عندما نفيتم عن الله صفة القدم لزمكم أن يكون الله متصفاً بنقيضها من صفات النقص ، فاعلموا أنه ليس في إثبات القدم أو الرجل نقص في حقه سبحانه ، وقد عاب سبحانه على من يعبد الأصنام بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِرِجْلِ الْمَشْجُونِ بِهَا ﴾ فجعل عبادتهم لأصنام ليس لها أرجل محل ذم هم^(١) .

ثانياً : يقال للنفاة : إن وضع الرب تبارك وتعالى قدمه أو رجله في النار لا استحالة فيه بالنسبة للرب تعالى وقياس ذلك على الخلق باستحالة وضع القدم منهم هو عين التشبيه الذي تفرون منه معشر النفاة فوقعتهم بهذا القياس في محذورين :

١- شبهتم أولاً ، ٢- وعظمتم ثانياً .

ثم إن دعوى استحالة وضع القدم في النار غير صحيحة حتى بالنسبة للمخلوق ، فللنار خزنة يدخلونها ويخرجون منها من أمرهم الله بإخراجهم وهم غير معذبين بها .

قال الله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَتَّصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٣) .

فإذا كانت جهنم لا تضر الخزنة الذين يدخلونها ويقومون عليها فكيف تضر الذي سخرها لهم ؟

(١) انظر التدمرية : ٧٩-٨٠ ، ومجموع فتاوى ابن عثيمين : ٤/١٦٨-١٦٩ .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) المدثر : ٣٠-٣١ .

ثم أنه ورد أيضاً أنه يوجد في النار الحيات والعقارب وهي مخلوقات فلا يجوز أن تقاس أحوال الآخرة الغائبة على أحوال الدنيا المشاهدة فيما هو بين المخلوق والمخلوق فالله أولى وأعظم وأجل من أن يقاس بمخلوق^(١) .

ثالثاً : يقال لكبير النفاة بشر المريسي الذي كفر من قال إن جهنم تمتلئ من غير الجن والإنس : ما قاله الإمام الدارمي في الرد عليه ، في فهمه هذه الآية ﴿ لَا مَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

قال الدارمي رحمه الله : ويلك أيها المريسي ، إنما أنزل هذه من أنزل التي في سورة ق : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ لُجَّهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ ويجوز في الكلام أن يقال لمتلئ استتراد .

كما يمتلئ الرجل من الطعام والشراب فيقول : قد امتلأت وشبعت وهو يقدر أن يزداد ، كما يقال : امتلأ المسجد من الناس وفيه فضل وسعة للرجال بعد ، امتلأ الوادي ماءً وهو محتمل لأكثر منه ...

فتمتلئ جهنم مما يلقي الله فيها مما وعدنا من الجنة والناس ، وتقول : هل من مزيد ؟ لفضل فيها غضباً لله على الكفار حتى يفعل الجبار بها ما أحرر رسول الله ﷺ كما يشاء ، وكما عنى رسول الله ﷺ فحينئذ تقول : حسبي ، حسبي ، وكيف يستحيل أيها المريسي ما وصف رسول الله ﷺ من وضع القدم في جهنم ؟ وأنت تزعم أن الله بكماله في جهنم قبل أن يملأها وبعد ما ملأها ، لأنك تزعم أنه لا يخلو منه مكان ، فجهنم من أعظم الأمكنة .

(١) انظر رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ٦٩ .

فأنت أول من كذب بالآية ، إذ تدعي أن جهنم مملوكة من الجبار
تبارك وتعالى وعز وجل عن وصفك بما وصفته به ... فأنت أول من جعله
من الجنة والناس ... (١) .

رابعاً : يرد على تأويل النفاة : بأن المراد بالقدم - قدم صدق وهو
محمد والإشارة بذلك إلى شفاعته وهو المقام المحمود فيخرج من النار من
كان في قلبه شيء من الإيمان بما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله :
وتعقب بأن هذا منابذ لنص الحديث لأن فيه يضع قدمه بعد أن
قالت هل من مزيد والذي قاله (أي النافي) مقتضاه أنه ينقص منها
وصريح الخبر أنها تنزوي بما يجعل فيها لا يخرج منها (٢) .
ويرد أيضاً على قولهم بأن المراد بالقدم قدم إبليس وأخذه من قوله
« حتى يضع الجبار فيها قدمه » وإبليس أول من تكبر فاستحق أن يسمى
متجبراً وجباراً .

بقول الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرسي رحمه الله :
قلت : وربما يرد هذا التأويل حديث : « حتى يضع الله رجله »
وحديث : « يضع الرب قدمه » فيكون تعالى هو المراد بالجبار في الحديث
الآخر ، لكن الخلف - خصوصاً المتكلمين - تجد عندهم التأويل في مثل
هذا بالمجازفة ولا يراعون ألفاظ الحديث ، إما لعدم معرفة ألفاظ طرقه
كلها أو لمسارعتهم بلا تأمل (٣) .

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ٦٨-٦٩ .

(٢) فتح الباري : ٥٩٦/٨ .

(٣) أقاويل الثقات : ١٨١ .

ويرد أيضاً على قولهم : بأن المراد بالقدم أنهم الكفار الذين سبق في علم الله تعالى أنهم من أهل النار وأن القدم معناه المتقدم بقول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله : في رده على بشر المريسي : وكيف تدعي أنها لا تمتلئ حتى يلقي الله فيها الأشقياء الذين هم قدم الجبار عندك ، فتمتلئ بهم في دعواك ، وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها ، وإلقاء الله إياهم فيها ؟ فاستزادت بعد ذلك ، أفيلقيهم فيها ثانية وقد ألقاهم فيها قبل فلم تمتلئ ؟ كأنه في دعواك حبس عنها الأشقياء ، والقي فيها السعداء فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعد حتى ملأها^(١) .

فما أقبح هذا القياس الذي زلت به أقدام ، وقد كانت أنوار النبوة - لو اهتمدوا بهديها - خير منقذ لهم من هذا التيه والضلال ، ولكن غلبت عليهم شقوتهم فحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ٦٧ .

الخطبة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، لقد توصلت بفضل الله وتوفيقه من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية .

أولاً : إن القياس الفاسد هو من باب الشبهات التي تعارض بها النصوص .

وأول من عارض النص بقياسه الفاسد إبليس ، وهذه محنة جرت له بسبب عيبه الحكمة بعقله ، ولو فكر لعلم أن واهب العقل أعلى من العقل.

ثانياً : المنكرون لرسالة البشر وقعوا في قياس فاسد عارضوا به النص ، كما حصل لإبليس تماماً ، فما أشبه قوله : ﴿ أَبَشْرٍ يَلِدُونَ ﴾ بقوله : ﴿ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ في ما حكاه الله عنهم ! فقد قاس هؤلاء الأنبياء على أنفسهم بجماع البشرية في كل ، ولم يفهموا الفارق الذي هو امتتان الله على من يشاء من عباده بالوحي والرسالة .

ثالثاً : الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر هم أيضاً نسوا الفارق أو تناسوه بين الخالق والمخلوق ، فاتخذوا الوسائط الباطلة ، وقاسوا أرحم الراحمين ، وخالق المخلوقين ، وقيوم السماوات والأرضين ، الغني الحميد ، التقدير على كل شيء ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، على المخلوقين الذين هم عن هذه الصفات مجردين .

وعارضوا النصوص التي تأمرهم بعبادة الله وحده بهذا القياس
الفاسد المستلزم لأنواع الكفر .

رابعاً : المتبركون بالقبور - بدعاء أصحابها وطلب الخواتج منهم ،
أو التمسح بها ، وتقبيلها ، وإسراجها ، والعكوف عندها والمجاورة لها ،
وسدانتها ، وتعليق الستور عليها وبناء المساجد والقباب عليها - وقعوا في
محنة القياس الفاسد ومعارضة نصوص الشريعة .

خامساً : المنكرون للبعث وقعوا في شبك القياس الفاسد الذي نتج
عن معارضة عقولهم السخيفة لما أخبر الله به من تحقق وقوعه ، فقاوسوا
قدرة الله على قدرتهم القاصرة العاجزة .

سادساً : لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يخضع الأمور الغيبية
لعقله البشري القاصر ، لكن أبى المنكرون لعذاب القبر إلا أن يخضعوا
للقياس الفاسد معارضين به النصوص من الكتاب والسنة المثبتة لعذاب
القبر .

سابعاً : في مسألة خلق الجنة والنار الآن ، ومسألة القول بفنائهما
تبين لي من خلال بحث هاتين المسألتين وقوع الجهم وأتباعه في قياس فاسد
إذ قاسوا أفعال الرب تبارك وتعالى على أفعال العباد .

وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبثاً فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة
ليس فيها سكانها ، وقاسوا هذا على أفعال ملوك الدنيا فقالوا : لو أن
ملكاً اتخذ داراً وأعدَّ فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعظلمها من
الناس قروناً متطاولة لم يكن فعله واقفاً على وجه الحكمة ، فلأجل هذا

القياس الفاسد ردّوا من النصوص ما خالفه ، وقالوا أيضاً بفناء الجنة والنار قياساً على فناء الدنيا معارضين بهذا القياس نصوص الشريعة .

ثامناً : تبين لي وقوع القدرية - في قولهم : بأن العباد يخلقون أفعالهم - في قياس فاسد ؛ إذ قالوا : كيف يخلق الكافر في الكافر ثم يعذبه عليه ؟ ففاسوا عدل الله تعالى على عدل الإنسان ، وقد جرّهم هذا القياس إلى التأويلات المستكرهة والمخارج البعيدة كما هو مسطرّ في ثنايا البحث.

تاسعاً : وقوع بعض الصوفية الاتحادية والصوفية القبورية في القياس الفاسد .

عاشراً : إن القياس الصحيح من العدل الذي بعث الله به رسوله ﷺ فالشريعة جاءت بالجمع بين التماثلات والتفريق بين المختلفات فليس في شريعة الله ما يخالف قياساً صحيحاً وقد ضرب الله الأمثال بالمقاييس العقلية ليبين الحقائق ، والرسول ﷺ ضرب الأمثال كذلك . فالقياس لا يجري في التوحيد إن أدى إلى تشبيه الخالق بالمخلوق وتعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وإنما يصح القياس في باب التوحيد إذا استدل به على معرفة الخالق وتوحيده ويستخدم في ذلك قياس الأولى . وقد استدلت بهذا القياس « قياس الأولى » على أحقية البعث ، فإننا ندرك بالبداهة العقلية أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، فالقادر على ذلك قادر على خلق الناس خلقاً جديداً من باب أولى .

وكذلك القادر على أن يخلق من الشجر الأخضر ناراً أولى بالقدرة من أن يخلق من التراب حيواناً .

وكذلك في التوحيد يبين سبحانه وتعالى بهذا القياس أن المخلوق لا يكون مملوكة شريكه في ماله ، فمن باب أولى أن يمتنع أن يكون المملوك نظيراً للرب ، فالله لا يرضى أن يكون المخلوق شريكاً يدعى ويعبد كما يدعى الله ويعبد .

الحادي عشر : من الأقيسة الصحيحة ما يلي :

١ - القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر ، فإذا أثبت الخالق الإرادة مثلاً ونفى المحبة يقال له : لا فرق بين ما أثبتته وبين ما نفيت فالقول في أحدهما كالقول في الآخر ، فإن قال : له إرادة تليق به ، أوجب بأن له محبة تليق به وهكذا في بقية الصفات .

٢ - القول في الصفات كالقول في الذات .

فيقاس القول في الصفات على القول في الذات ، فكما أن له ذاتاً لا تشبه الذوات فله صفات لا تشبه الصفات ، فإذا قال المخالف : كيف يتنزل ؟ فإنه يقال له : كيف ذاته ؟ فإنه لا يستطيع جواباً .

٣ - الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم الاشتراك في المسميات والموصوفات قياساً على الاشتراك الموجود بين أسماء ما في الدنيا وما في الجنة مع الاختلاف في الحقيقة .

٤ - عندما أثبت أهل السنة صفة الكلام لله ونازعهم في ذلك النافي لصفة الكلام بحجة أنه يلزم من ذلك القم واللسان والمخارج فيقال له : لقد أخبر الله سبحانه أن الجلود تشهد على أصحابها يوم القيامة ، وقد ثبت أيضاً أن الحصى تسبح وأن الحجر سلم على الرسول ﷺ ، وكل

ذلك بلا فم ولا لسان ، فإذا كان المخلوق لم يلزم منه ذلك فإله أعلى وأجلّ .

وبعد فهذه أبرز النتائج التي تضمنها هذا البحث ، أسأل الله العلي العظيم ، أن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً لعباده ، إنه جواد كريم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



الفهارس

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث .
- ٣- فهرس المراجع .
- ٤- فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الآيات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة البقرة</u>
٣٧٨	١٨٧	أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
١١٨	٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
١١٨	٢٥٩	أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
٣١٤	٢٢٢	إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
٢٣٠	٨٥	افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
١١٨	٥٦	ثم بعثناكم من بعد موتكم
٢٣١	٢٣٥	علم الله أنكم ستذكرونهن
١٤٩	٢٤	فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
١١٨	٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها
٢٢٠	٢٢	فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون
٢١٢	٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم
١٧٥	٢٧٢	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء
٢٨٣ - ٦٤	٢٥٥	من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
٤٠٥	٧٩	هذا من عندنا الله ليشتروا به ثمناً قليلاً
٢٧٨	٢٩	هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء
١١٨	٢٦٠	وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى
١١٨	٧٢	وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها
١١٧	٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن تومن لك حتى نرى الله

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية والسورة
٢٢٧	٢٤٤	وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم
٢٢٣	٣٣٠	واقفوا لله واعلموا أنكم ملاقوه
١٩٥	٣١٤	واحسنوا إن الله يحب المحسنين
١٥٢	١٨٢	واشكروا لي ولا تكفرون
٣٥	١٥٠	وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة
١٤٨	٣٩٧	ولكل وجهة هو موليها
١١٥	٣٩٢	و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
٩٥	٣٣٩	ولن يتمنوه أبداً
٢٥٥	٢٨٤	وهو العلى العظيم
٢٥٤	٦٦	يأياها الذين ءامنوا افقوا مما رزقناكم
<u>سورة آل عمران</u>		
٤١	٣٥٤	آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا
٥	٢٣٢	إن الله لا يحق عليه شئ في الأرض ولا في السماء
٣١	٣١٤	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
١٦٤	٥٤ - ٥٦	لقد منّا الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
١٣١	١٤٩	واقفوا النار التي أعدت للكافرين
١٣٣	١٤٨	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
١٦٩	١٨٩	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
٨٠	٦٠	ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً
٧٧	٣٣٣	ولا ينظر إليهم

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
٨٢	٢٦٥	أفلا يتدبرون القرآن
١٦٦	٢٤١	أذله بعلمه
١٦٨	١٥٦	إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم
١٠٢	١٤٩	إن الله أعدل للكافرين عذاباً مهيناً
٤٨	١٨٥	إن الله لا يغفر أن يشرك به
٥٨	٢٣١	إن الله نعماً يعظكم به
١٥٨	٢٨٢	بل رفعه الله إليه
١٤٨	٣١٤	لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم
٥٧	١٥٤	والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
١٢٢	١٥٤	والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
١٧٦	٤٠٧	يبين الله لكم أن تضلوا
٢٦	٤٠٧	يريدا لله ليبين لكم
		<u>سورة المائدة</u>
٦٤	٣٦٤ ، ٣٦٦	بل يدها مبسوطتان
٧٦	٧٣	قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً
١١٩	١٥٥	هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
٥٤	٣١٤	فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
٦٤	٣٧٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦١	وقالت اليهود يدا الله مغلولة

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة الأنعام</u>
١٠٣	٣٣٤ ، ٣٢٥	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
١٢٤	٥٧	وإذا جاءتهم آية قلوا لن تؤمن
٨	٥٣	وقالوا لولا أنزل عليه ملك
١١١	٥٥	ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى
٩٣	١٢٧	ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت
٩	٥٣	ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً
١٨	٢٨٢	وهو القاهر فوق عباده
		<u>سورة الأعراف</u>
١٣٨	٣٣٨ ، ٩٠	أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون
١٩١	٧٤	أبشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون
٥٤	٢٧٤	إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام
١٤٣	٣٣٦ ، ٣٢٦	قال رب أرني أنظر إليك
٢٩	١٠٨	كما بدأكم تعودون
١٢	٣٠	ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك
١٨٦	١٧٦	من يضل الله فلا هادي له
١٤٨	٢٣٤	واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار
٢٠٥	٣٥٤	واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة
١١	٣٠	ولقد خلقناكم ثم صورناكم
٤٢	١٥٩	ونودوا أن تكونم الجنة

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
١٠٤	٥٧	وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته
١٥٠	١٩	وينادم اسكن أنت وزوجك الجنة
١٥٠	٢٧	يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان
		<u>سورة التوبة</u>
١٤٨	٨٩	أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
١٥٥	٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
٣١٥	١٠٨	فيه رجال يحبون أن يتطهروا
١٥٥ ، ١٤٨	١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
١٤٠	٢٢-٢١	يُبشِّرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم ﴿٦٦﴾ خالدون فيها أبداً
		<u>سورة يونس</u>
٢٧٤	٣	ثم استوى على العرش يدبر الأمر
٣٢٩	٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
٦٤	٣	ما من شفيع إلا من بعد إذنه
١١٥	٦٧	هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
٦٠	١٨	ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم
		<u>سورة هود</u>
٣٣٧	٤٦	إني اعظك أن تكون من الجاهلين
١٤٦	١٠٨	عطاء غير مجذوذ
١٩٦	٥٦	ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها
٤٦	٢٧	ما ذراك إلا بشراً مثلنا
٢٧٨	٤٤	واستوت على الجودى

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٣٧٨ ، ٣٧٦	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا
٥٢	٢٨	يا قوم أرأيتم أن كنت على بينة من ربي
		<u>سورة يوسف</u>
٣٣٩	٨٠	فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أُنبي
		<u>سورة الرعد</u>
١٤٦	٣٥	أكلها دائم وظلها
١٦٩	١٦	أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
٣٣٠	٢	لعلمكم بلقاء ربكم توقنون
٢٧٤	٢	الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
		<u>سورة إبراهيم</u>
٤٦ ، ٤٥	٩	ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
٤٦	١٠	إن أنتم إلا بشر مثلنا
٤٨	١١	إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمين على من يشاء
٣٧٨	٣٤	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
٥١	١٣	وقال الذين كفروا والنخر حنكم من أرضنا
١٢٥	٢٧	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
		<u>سورة الحجر</u>
٣٠	٢٩	فإذا سويته وفجعت فيه من روحى
٣٠	٣١-٣٠	فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس
٣٠	٣٢	قال يا إبليس مالك إلا تكون مع الساجدين
٥٣	٨	ما ننزل الملائكة إلا بالحق

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٣٠	٢٨	وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصل

سورة النحل

٧٤	٧٥	ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء
١٧٦	٣٧	فإن الله لا يهدي من يضل
٢٢٠	٧٤	فلا تضربوا لله الأمثال
٢٠٩	٦٠	للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
٧٤	٧٦	وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم
٣٧٨	١٨	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
١٧٠	٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكناً
١٧٠	٨١	وجعل لكم سراويل تقيكم الحر
٢٦٧	٥٠	يخافون ربهم من فوقهم

سورة الإسراء

١١٧	٩٩	أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض
٧٣	٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
٣٥٢	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
٥٤	٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين
١٠٠	٩٧	مأواهم جهنم كل ما خبث زدناهم سعيراً

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
٦١	٤٤، ٣١	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
٩٨-٩٩	١١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨	وقالوا أإذا كنا عظامًا ورفاتًا
٨٥	٢	وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا
٩٤	٢٣٢	وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا ...
٨٢	٤٨	ونزل من القرآن ما هو شفاء
<u>سورة الكهف</u>		
١١٠	٢٨٧	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إليه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
١٠٩	٣٥٠	قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي
٢٨	٣٨٩	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
<u>سورة مريم</u>		
١٠	٣٥٤	إيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا
٦٧	١١١	أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
٢٦	٣٣٩	فلن أكلم اليوم إنسيًا
٦٦	١١١	ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حيا
٤٢	٢٣٤	يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
<u>سورة طه</u>		
٥	٢٥٨ ، ٢٧٤	الرحمن على العرش استوى
١٣	٣٥٧	وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى
٩٨	٢٣٢	وسع كل شيء علمًا
٣٩	٣٧٦ ، ٣٧٨	ولتصنع على عيني
١٠٩	٦٤	يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً
<u>سورة الأنبياء</u>		
٩٨	٢٣	إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم
١٠٤	١٠٨	كما بدأنا أول خلق نعيده
٢٣	١٨٠	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
٩٩	٢٣	لو كان هؤلاء الهة ما وردوها
٢٨	٦٥	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى
١٠٧	٥٥	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
<u>سورة الحج</u>		
٥	١٠٩	يأبىها الناس إن كنتم فى ريب من البعث
<u>سورة المؤمنون</u>		
٤٧	٤٧	أقومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
٨١-٨٣	١٠١	بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴿٨١﴾ قالوا إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا إنا لمبعوثون ﴿٨٢﴾ لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٤٧	٣٢-٣١	ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴿٣١﴾ فأرسلنا فيهم رسولاً
٤٦	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم
١٠٠، ٩٨	٣٦	هيهات هيهات لما توعدون
٢٩٠	١٨	وأزّلنا من السماء ماءً بقدر
٤٧	٣٣	وقال الملأ من قوم الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
١٠٠	٣٤	ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون
		<u>سورة النور</u>
٢١٠	٣٥	١ لله نور السموات والأرض
		<u>سورة الفرقان</u>
٢٧٤	٥٩	ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً
٧٣	٣	واخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
٨٣	٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً
١١٦	٤٧	وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً
٥٣	٢٢	يوم ترون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
		<u>سورة الشعراء</u>
٣٣٥	٦٢-٦١	فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴿٦١﴾ قال كلا
٦٦	١٠١-١٠٠	فما لنا من شافعين ﴿٦٢﴾ ولا صديق حميم

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٤٧	١٨٦-١٨٥	قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿١٨٥﴾ وما أنت إلا بشر مثلنا
٤٧	١٥٤-١٥٣	قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿١٥٣﴾ ما أنت إلا بشر مثلنا
٢٣٤	٧٣-٧٢	هل يسمعونكم إذ تدعون ﴿٧٢﴾ أو ينفعونكم أو يضرون

سورة النمل

١٠١	٦٨	لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
١٠١	٦٧	وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وءآباؤنا أينا لمخرجون

سورة القصص

١٧٦ ، ١٧٥	٥٦	إليك لا تهدي من أحببت
٣٥١	٣٠	فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الأيمن
٣٩٢ ، ٣٨٩	٨٨	كل شيء هالك إلا وجهه
٢٧٧	١٤	ولما بلغ أشده واستوى
١١٦	٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
		ولتبتغوا من فضله
١٨٠	٦٨	يخلق ما يشاء ويختار

سورة العنكبوت

١٠٩	٢٠	قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق
٣٣٠	٥	من كان يرحو لقاء الله فإن أجل الله لآت

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة الروم</u>
٢٨	٧٦	ضرب لكم مثلاً من أفسدكم
٥٠	١٠٧	فانظر إلى آثار رحمة الله
٤٨	١٠٧	١ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً
٤٩	١٠٧	وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم
٢٦	٢١١	وله من في السموات والأرض كل له
٢٣	١١٤	ومن آياته منامكم بالليل والنهار
٢٧	٢٠٩ ، ١٠٨	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
١٩	١٠٧	يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
		<u>سورة لقمان</u>
١٤	١٨٢	أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير
١٨	٣١٤	إن الله لا يحب كل مختار فخور
٢٧	٣٥٠	ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام
		<u>سورة السجدة</u>
١٣	٤٠١	لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
٤	٢٧٥	١ الله الذي خلق السموات والأرض وما
		بينهما في ستة أيام
١٠	١٠١	وقالوا إذا ضللنا في الأرض
٢١	١٢٨	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب
		الأكبر
		<u>سورة الأحزاب</u>
٦٤	١٥٦ ، ١٤٩	إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٣٣٢ ، ٣٣٠	٤٤	نحيبتهم يوم يلقونه سلام
١٤٩	٨	وأعد للكافرين عذاباً أليماً
١٩	٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً

سورة سبأ

٢٢	٣٦	قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
٧٢	٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
١٠٢	٨-٧	وقال الذين كفروا هل نملك على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفسى خلق جديد ﴿٧﴾ افتري على الله كذباً أم به جنة
٢٢	٣٥	وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً
٧١	٢٣	ولا نتفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له
٢٢	٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرىكم
٢٨٣	٢٣	وهو العلى الكبير

سورة فاطر

٢٨٢	١٠	إليه يصعد الكلم الطيب
٧٣	١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
٧٣	١٣	ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير
١٠٧	٩	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً
٢٤١	١١	وما تحمل من أذى ولا تضع إلا يعلمه
٨٦	٢٢	وما يستوى الأحياء ولا الموات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة يس</u>
٣٧٩	٧١	أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا
١١٠	٧٧	أولم يرى الإنسان أنا خلقناه
١١٣	٨١	أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
٥٢	١٨	إننا تطيرنا بكم
١٠٠ ، ٩٨	٧٩-٧٨	قال من يحيى العظام وهي رميم ﴿٧٨﴾ قل يحييها
٥٢	١٦	قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون
٤٧	١٥	قالوا ما أتمم إلا بشر مثلنا
٣٣٣	٤٩	ما ينظرون إلا لصيحة واحدة
١٧٠	٤١	وءاية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك
		<u>سورة الصافات</u>
١٠٢	١٨-١٦	أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ﴿١٦﴾
		أوءاباؤنا الأولون ﴿١٧﴾ قل نعم وأتمم داخرون
١٠٣	٥٦-٥٥	فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴿٥٥﴾ قال تا لله إن كدت لتردين
١٠٢	٥٣-٥١	قال قائل منهم إني كان لى قرين ﴿٥٣﴾ يقول إلهك لمن المصدقين ﴿٥٢﴾ أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون
		<u>سورة ص</u>
٣٧٢	٤٥	أولى الأيدي والأبصار

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٣١	٧٢-٧١	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ
١٤٦	٥٤	إِن هٰذَا الرِّزْقُنَا مَالهٖ مِّن فَادٍ
٣١	٧٤-٧٣	فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلهٖمْ إِلَّا إِبْلِيسَ
٣١	٧٦	قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ
٣٦٢، ٣٦١، ٢٥٨	٧٥	قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي
٢٦٥	٢٩	كِتَابٍ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
٣٣٣	١٥	وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوْقَ
<u>سورة الزمر</u>		
٢٨٣	١	تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ
٣٥٣	٢٨	قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ
١٧٤ ، ١٦٩	٦٢	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
٢٩٩	٦	وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا
٥٩	٣	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا عْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
٣٦٢ ، ٣٠٧	٦٧	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِقَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
<u>سورة غافر</u>		
٢٨٣	٢	تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
١٦٩	٦٢	ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
٢٨٣	١٢	فَلِحُكْمِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
١١٢	٥٧	خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
١١٦	٦١	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مبصرًا
٦٦	١٨	ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطلق
١٢٦ ، ١٢٢	٤٦	النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا
		<u>سورة فصلت</u>
٣٥٢	٢١	أنطقنا الله
٢٨٣	٢	تنزيل من الرحمن الرحيم
٢٧٨	١١	ثم استوى إلى السماء وهي دخان
٣٥٣	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
٢٣٣	٢٢-٢٣	ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون
١٠٦	٣٩	ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة
		<u>سورة الشورى</u>
١٢٤ ، ٨٣	٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
٢٨٣	٥١	إِذْ عَلَّمَ الْحَقِيمِ
٢٣١ ، ٢٢٠ ، ٢٣١	١١	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
٣٠٧ ، ٢٩٦ ، ٢٦١		
٤٠٧ ، ٣٥٨		
		<u>سورة الزخرف</u>
٥٧	٥٢	أم أأخبر من هذا الذي هو مهين
٥٧	٥٣	فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب
٢٧٨	١٣	لنستووا على ظهوره

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
٥٧	٣١	وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرنين عظيم
٣٣٩	٧٧	ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
٥٧	٥١	ونادى فرعون في قومه
		<u>سورة الجاثية</u>
١٧٦	٢٣	وأضله الله على علم
		<u>سورة الأحقاف</u>
١١٣	٣٣	أولم يسروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يبعث خالقهن
		<u>سورة محمد</u>
٢٦٥	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
٣٣٣	٢٠	ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت
		<u>سورة الفتح</u>
٢٣٣	٦	ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
٣٦٢	١٠	يدا لله فوق أيديهم
		<u>سورة ق</u>
١١١	١٥	أفعمينا بالخلق الأول
١١٤	٦	أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم
١١٤	٨	تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
١٨٥	٢٩-٢٨	قال لا تخصصوا لى وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴿٢٨﴾ ما يبذل القول لى
٣٢٩	٣٥	لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
٧	١١٤	والأرض مددناها
٣٠	٤٠١، ٤٠٣	وتقول هل من مزيد
١١، ٩	١٠٥	ونزلنا من السماء ماءء مباركا فأنبتنا به جنات
<u>سورة الذاريات</u>		
٥٨	٢٤١	إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين
<u>سورة الطور</u>		
٤٥	١٢٩	فذرهم حتى يلاقوا يومهم
٤٧	١٢٩	وإن للذين ظلموا عذابا
٤٨	٣٧٨	واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
٤٦	١٢٩	يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا
<u>سورة النجم</u>		
٤٥-٤٧	١٠٩	وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴿٤٥﴾ من نطفة إذا تمنى ﴿٤٦﴾ وأن عليه النشأة الأخرى
٢٦	٦٤	وكم من ملك في السموات
١٣-١٥	١٥٠	ولقد رآه نزلة أخرى ﴿١٣﴾ عند سدرة المنتهى ﴿١٤﴾ عندها جنة المأوى
<u>سورة القمر</u>		
٢٤	٤٧	أبشرا منا واحداً تتبعه
١٤	٣٧٨	تجرى بأعيننا
<u>سورة الرحمن</u>		
٢٧	٣٩٢	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام
<u>سورة الواقعة</u>		

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
١٤٦	٣٣	لا مقطوعة ولا ممنوعة
١٠٨	٦٢	ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون
		<u>سورة الحديد</u>
١٤٨	٢١	سابقوا إلى مغفرة من ربكم
٢٩٩	٢٥	وأنزّلنا الحديد
٢٧٥	٤	وهو الذي خلق السموات والأرض
		<u>سورة المجادلة</u>
١٩٧	٢٢	لا تجحد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
٣٥٤	٨	ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
		<u>سورة الممتحنة</u>
٢٣١	١٠	فإن علمتموهن مؤمنات
١٩٧	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم
		<u>سورة الصف</u>
٣١٤	٤	إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً
		<u>سورة المنافقين</u>
٣٧٣	٤	قاتلهم الله أنى يؤفكون
		<u>سورة التغابن</u>
٤٤	٦	ابشر يهودنا
١٥٥	٩	ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته
		<u>سورة الطلاق</u>
١٢٥	١٢	لتعلموا أن الله على شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة التحريم</u>
٤	٣٧٩	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما
٦	٤٠٨	عليها ملئكة غلاظ شداد
		<u>سورة الملك</u>
١٣	٣٥٤ ، ١٧١	وأسروا قولكم أو جهروا به
		<u>سورة القلم</u>
٤٤	٣٥٣	فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
		<u>سورة الحاقة</u>
١٧	٢٧٥	ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
		<u>سورة المعارج</u>
٤	٢٨٢	تعرج الملئكة والروح إليه
		<u>سورة الجن</u>
٢٣	١٥٦	ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً
		<u>سورة المدثر</u>
٣١-٣٠	٤٠٨	عليها تسعة عشر ﴿٣٠﴾ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملئكة
٤٨	٦٦	فما تنفعهم شفاعة الشافعين
٣٣	١١٥	والليل إذ أدبر
٥-١	٨٩	يبأبها المدثر ﴿١﴾ قم فأنذر ﴿٢﴾ وربك فكبر ﴿٣﴾ وثيابك فطهر

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
		<u>سورة القيامة</u>
٣٣٢ ، ٣٢٦	٢٣-٢٢	وجوه يومئذ ناضرة ﴿٣٢﴾ إلى ربها ناظرة
		<u>سورة الإنسان</u>
٢٣١	٢	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج
٣٩٢	٩	إنما نطعمكم لوجه الله
١٤٩	٣١	يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً
		<u>سورة النازعات</u>
٣٥١	٢٤	أنا ربكم الأعلى
		<u>سورة عبس</u>
٣٧٣	١٧	قتل الإنسان ما أكره
		<u>سورة المطففين</u>
٣٢٨	٢٢	إن الأبرار لفي نعيم
٣٢٩	٢٤	تعرف في وجوههم نضرة النعيم
٣٢٨	٢٣	على الأرائك ينظرون
٣٢٨	٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
٣٢٨	١٥	كلا إهم عن ربهم يومئذ لججويون
		<u>سورة الانشقاق</u>
٣٣٠	٦	يسأها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه
		<u>سورة الطارق</u>
١٠٩	٨	أده على رجعه لقادر

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية والسورة</u>
١٠٩	٦	خلق من ماء دافق
١٠٩	٥	فلينظر الإنسان بما خلق
١٠٩	٧	يخرج من بين الصلب والترائب
		<u>سورة الفاشية</u>
٣٣٣	١٧	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت
		<u>سورة الفجر</u>
٢٥٨	٢٢	وجاء ربك
		<u>سورة الليل</u>
٣٩٢	٢٠	إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
		<u>سورة البينة</u>
١٥٦	٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية
١٥٧	٨	جزاءهم عند ربهم

٢- فهرس الأحاديث والآثار

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الحديث والآثر</u>
١٥٣	أبردوا بالصلاة
٣١٧	أحب الكلام إلى الله أربع
٣١٨	أخبروه أن الله يحب
١٥٢	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
٣٩٤	أعوذ بالله العظيم
٣٩٣	أعوذ بوجهك
٢٨٤	ألا تؤمنوني وأنا أمين من في السماء
٢٨٥	ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها
٢٨٥	ألا هل بلغت
٨٤	ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم
٢٠٠	أول من تنشق عنه الأرض
٣٦٣	احتج آدم وموسى
٣٢٩	إذا دخل أهل الجنة الجنة
١٧٥	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة
١٣٣	إذا قبر الميت أتاه ملكان
١٢٦	إذا قعد المؤمن في قبره
١٥٢	إذا مات أحدكم
٢٩٨	إذا مضى ثلث الليل
٣٨١	إلا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور
٨٤	إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الحديث والأثر</u>
١٣١	إن العبد إذا وضع في قبره
٧٦	إن الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً
٣١٧، ٣٠٧، ٣٠٦	إن الله إذا أحب عبداً
٣٥٥	إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها
١٩٩	إن الله تعالى حرم على الأرض
٢٨٨	إن الله تعالى كان على عرشه
٣٦١	إن الله خلق آدم من قبضته
٣٦٤	إن الله عز وجل ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
٣٦٤	إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة
٣٠٧	إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول
٣٩٤	إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
٢٨٤	إن الله لما قضى الخلق
٣١٧	إن الله يحب العبد التقي
٣٦٥	إن الله يقتض يوم القيامة الأرض
٣٦٤	إن الله يمسك السماوات على إصبع
٨٩	إن الله ينهاكم أن تخلفوا بأبائكم
٣١٨	إن فيك خصلتان يحبهما الله
٣٦٤ ، ٣٦٠	إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن
٣٤٠ ، ٣٢٧	إنكم سترون ربكم
٥٥	إنما أنا رحمة مهداة
١٥٣	اشتكت النار إلى ربها
٣٤١	اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الحديث والأثر</u>
١٥٢	اطلعت في الجنة فرأيت
٢٩٠	بما نعرف ربنا
١٥٣	بينما أنا نائم رأيتني في الجنة
١٣٢	بينما النبي ﷺ في حائط النبي النجار
٣٥٦	بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ
٤٠٤	تحتاج الجنة والنار
٣٦٣	تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة
١٥١	ثم أدخلت الجنة فإذا فيها
٢٨٦	ثم عرج بنا إلى السماء
٣٩٣ ، ٣٤١	جنتان من فضة آنتهما وما فيهما
١١٥	الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا
١٥٤	الحمى من فيح جهنم
١٣٣	خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس
٢٨٤	زوجكن أهاليكن وزوجني الله
٣٥٤	زورت في نفسي مقالة
٢٩٠	سئل عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض
١٣١	صدقنا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم
٨٢	الطيرة شرك
٢٨٨	علم الله فوق عرشه أنني لم أحب قتله
٣٨١	فإن ربكم ليس بأعور
٣٤٠	فإنكم ترونه كذلك
٢٨٨	فخرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ

رقم الصفحة

الحديث والأثر

٢٨٥	فقال لها أين الله ؟
٣٨١	فوضع إبهامه على أذنه
٣٩٣	قال النظر إلى وجه ربهم عز وجل
٢٨٩	قالت بنو إسرائيل يا رب
٢٨٩	كان داود <small>عليه السلام</small> يطيل الصلاة
٤٠٥	الكرسي موضع القدمين
٣١٧	كلمتان خفيفتان على اللسان
٢٩٠	كنا والتابعون متوافرون
٣١٧	لأعطين هذه الراية رجلاً
٨٤	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
٢٠٧	لا يزال الناس يستفتون
٨٥	لعن رسول الله <small>ﷺ</small> زائرات القبور
٣٩٤	لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله
٢٩١	الله فوق السماء السابعة على عرشه
٢٩١	الله في السماء وعلمه في كل مكان
١٧٢	اللهم أعني على ذكرك وشكرك
٣٠٥	اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء
٣٩٤	اللهم إن كنت فعلت ذلك
٣١٩	اللهم إني أحبه
٣١٩	اللهم إني أحبهما
١٧١	اللهم اهدني فيمن هديت
١٧٣	اللهم لا مانع لما أعطيت

رقم الصفحة

الحديث والأثر

١٣٤	لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي
١٣٤	لو نجح أحد من ضمة القبر لنجح سعد بن معاذ
١٣٤	لو نجح أحد من ضمة القبر لنجح هذا الصبي
٣٦٥	ما تصدق أحد بصدقه من طيب
٢٩٩	ما من يوم أكثر من يعتق الله فيه عبداً من النار
١٣٢	مر النبي ﷺ بجائط
٣٦٥	المقسطون في يوم القيامة على منابر من نور
٣٤١ ، ٣١٨	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٨٣	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
٣٦٥	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
٩٠	من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله
٢٠١	من رآني في المنام
٣١٨	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
٣٥٧	من قرأ حرفاً من كتاب الله
٢٨٨	من كان يعبد محمداً
٣٤٢	من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة
٣٤٢	من لقيني بقراب الأرض خطيئة
١٥٨	من يدخل الجنة ينعم
٢٩٨	نعم اليوم يوم عرفة ينزل فيه رب العزة
٢٨٨	هذه امرأة سمع الله شكاها
٤٠٤	هل امتلأت؟ فتقول هل من مزيد؟
٣٤٠	هل نرى ربنا يوم القيامة؟

رقم الصفحة

الحديث والأثر

٨٩	هو العبادة
٢٩١	وأن الله على عرشه في سمائه
٣٩٤	والله إن هذه القسمة ما عدل فيها
٣٤٢	ولقاؤك حق
٤٠٥	يا معاشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب
٢٨٤	يتعاقبون فيكم ملائكة بالنهار
١٥٧	يجاء بالموت يوم القيامة
٣٦٣	يجمع المؤمنون يوم القيامة
٣٥٨	يحشر الله العباد
٣٦٤	يقبض الله الأرض يوم القيامة
٣٥٧	يقول الله تبارك وتعالى يا آدم
٤٠٣	يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟
١٣٨	ينادي مناد إن لكم
٢٨٦	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة

٣- فهرس المراجع

- أ -

- ١- الأحاديث الصحيحة ، للشيخ الألباني ، من منشورات المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٢- آداب البحث والمناظرة ، للإمام محمد الأمين الشنقيطي ، دار ابن تيمية ، القاهرة .
- ٣- أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها ، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ، طبع في مطابع الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٤- الأربعين في أصول الدين للغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت : ط ٤ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٥- الأربعين في صفات رب العالمين ، للإمام الذهبي ، تحقيق عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٦- أساس التقديس ، للفخر الرازي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٤هـ .
- ٧- أسرار التكرار في القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، ط ٢ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٨- الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة ، د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- ٩- أصول الدين ، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، (ت: ٤٢٩هـ) ،
 طبع ونشر مدرسة الإلهيات ، بدار الفنون باستيبول ، ط ١ ،
 ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
- ١٠- أصول السنة ، لابن أبي زنين بن عبد الله المالكي ، (ت: ٣٩٩هـ) ، تحقيق
 عبد الله البخاري ، مكتبة الغرباء بالمدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٥ .
- ١١- الأصول والفروع ، لابن حزم .
- ١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن ، للإمام محمد الأمين المختار الشنقيطي ،
 بيروت ، عالم الكتب .
- ١٣- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ،
 لمربي بن يوسف الكرمي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،
 بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- ١٤- الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام ، لناصر بن عبد الكريم العقل ،
 دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .
- ١٥- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، للحافظ زين الدين عبد الرحمن
 بن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار التراث ،
 المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ١٦- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، حققه وخرج أحاديثه
 عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ط ١ .
- اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، تحقيق عواد بن عبد الله
 المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط ١ ،
 ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- ١٧- الإحكام في أصول الأحكام ، للحافظ أبي محمد علي بن حزم الظاهري ، تحقيق محمد بن أحمد عبد العزيز ، مكتبة عاطف ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ١٨- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، للإمام ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٩- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني ، (ت: ٤٧٨هـ) تحقيق أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٢٠- الاعتصام للإمام الشاطبي ، وبه تعريف محمد رشيد رضا ، المكتبة النجارية الكبرى ، مصر .
- ٢١- الاعتقاد للبيهقي ، (ت: ٤٥٨هـ) ، صححه الشيخ أحمد محمد موسى ، طبع في المطبعة العربية .
- ٢٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم ، علق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مطابع الإسلام ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٢٣- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، للإمام ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقى .
- ٢٤- الإفادة من مفتاح دار السعادة ، لسليم بن عيد الهلالي ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ٢٥- الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ٢٦- الإحدادية دين ابن عربي ، لمصطفى بن محمد بن سلامة ، دار التقوى ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٧- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، د. محمد السيد الجليند ، مكتبة عكاظ ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٢٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر بن الطيب الباقلائي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخابجي ، ط ٢ ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
- ٢٩- ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، د. أحمد بن ناصر الحمد ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- ٣٠- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق ودراسة د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ٣١- أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الحكام ، لمحمد سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ .
- ٣٢- الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس ، للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، حققه مخرج أحاديثه عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ٣٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم .
- ٣٤- الاقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزاع ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

- ب -

٣٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه ووثقه وخرج أحاديثه يسرى السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٣٦- بدائع الفوائد للإمام ابن القيم ، مكتبة القاهرة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٣٧- البداية والنهاية في التاريخ ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، مكتبة الفلاح .

٣٨- بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم .

٣٩- البيهقي وموقفه من الإلهيات ، للدكتور : أحمد بن عطية الغامدي ، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية .

٤٠- البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهاية ، لمحمد حسن الموسوي الطباطبائي ، (ضمن مجموعة كتب) ، طهران ، إيران .

- ت -

٤١- تأسيس التقديس ، لأبي بطين .

٤٢- تبسيط العقائد الإسلامية ، لحسن محمد أيوب ، مكتبة الثقافة العربية الكويت ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٤٣- التبصير في الدين تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، للإمام أبي المظفر الإسفراييني ، عالم الكتب ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٤٤- التبيان في أقسام القرآن ، للإمام ابن القيم ، تحقيق محمد زهري النجار المؤسسة السعيدية ، بالرياض .

- ٤٥- تجريد التوحيد المفيد ، للإمام أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ ،
(ت: ٨٤٥هـ) تحقيق علي حسن علي عبد الحميد ، دار عمار ، ط: ١ ،
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٤٦- تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال ، للشيخ بكر بن
عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٤٧- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ فالح بن مهدي ، تصحيح
وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، مكتبة الحرمين ، الرياض ،
ط ٢ ، ١٤٠٥هـ .
- ٤٨- التدمرية : تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر
والشرع ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق محمد بن عودة
السعوي ، شركة العيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ ،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٤٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد
القرطبي ، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات
الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٥٠- تفسير ابن الجوزي : « زاد المسير » للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٥١- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ، د. عبد العزيز بن
عبد الله الحميدي ، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي ،
جامعة أم القرى ، طبع بشركة العيكان ، الرياض .
- ٥٢- تفسير الألوسي : « روح المعاني » شهاب الدين محمود الألوسي ،
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- ٥٣- تفسير البغوي : « معالم التنزيل » تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ٥٤- تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي ، والسيوطي ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ، شركة الشمري .
- ٥٥- تفسير الخازن : « لباب التأويل في معاني التنزيل » لعلاء الدين علي بن محمد الشهر بالخازن ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة .
- ٥٦- تفسير الدوسري : « صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم » للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ، مكتبة دار الأرقم ، الكويت ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٧- تفسير السعدي : « تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ١٣٩٨ هـ .
- ٥٨- تفسير الشوكاني : « فتح القدير » للإمام الشوكاني ، حققه سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٥٩- تفسير القاسمي : « محاسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- ٦٠- تفسير القرطبي : « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ .
- ٦١- تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، إحياء التراث ، بيروت .
- ٦٢- تفسير بن كثير : « تفسير القرآن العظيم » للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٦٣- تفسير سورة الإخلاص : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٣ ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- ٦٤- تفسير عمود حجازي : « التفسير الواضح » مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٦٥- تفلين إبليس ، لعز الدين بن عبد السلام المقدسي ، تحقيق سليم الهلالي ، مكتبة ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٦٦- تقريب التدمرية ، لشيخ محمد بن صالح العثيمين ، خرج أحاديثه سيد بن عباس بن علي الجليمي ، مكتبة السنة ، المدار السلفية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٦٧- تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٦٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد ، لإمام الحافظ ابن عبد البر النمر القرطبي ، تحقيق عبد الله بن الصديق ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب .
- ٦٩- التنبيهات في إثبات بعثة الرسل واليوم الآخر وحاجة الناس إليها ، لرحمة الله بن خليل الرحمن ، بعناية بسام عبد الوهاب الجابري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٧٠- تهذيب لسان العرب ، تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب ، إشراف مبدأ علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧١- تهذيب وترتيب الإقتان في علوم القرآن ، لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ، دار الهجرة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٧٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٧٣- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ، للإمام سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دار طيبة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٧٤- التيجانية ، لعلي بن محمد الدخيل الله ، دار طيبة ، الرياض .

٧٥- تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، خرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفان العشّا ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- ج -

٧٦- جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٧٧- الجرح والتعديل ، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، (ت: ٣٢٧هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بميدان أباد ، الدكن ، الهند ، ط ١ .

- ح -

٧٨- الحجّة في بيان المحجة ، للإمام قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي ، دار الراية ، الرياض ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٧٩- الحكمة والتعليل في أفعال الله ، د. محمد بن ربيع المدخلي ، مكتبة لينة ، للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .

٨٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- ٨١- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، للشوكاني ، ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد عبد اللطيف السبع العليمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٨٢- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .
- ٨٣- الدرر السنّية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم النجدي ، (ت: ١٣٩٢هـ) ، ط ٥ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٨٤- دعوة الرسل إلى الله تعالى ، لمحمد أحمد العدوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- ٨٥- دفع إيهام الاضطراب ضمن تمة أضواء البيان ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، مطبعة المدني ، مصر .
- ٨٦- دفع شبه التشبيه بألف التنزيه ، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ، حققه حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، عمان ، ط ٣ .
- ٨٧- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٨٨- الدين الخالص ، لمحمد صديق حسن ، مكتبة الفرقان ، تحقيق محمد زهري النجار .
- ٨٩- ديوان بشار .

- ٩٠- الرؤية ، للإمام الحافظ الدارقطني ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه ، إبراهيم محمد العلي ، وأحمد فخري الرفاعي ، مكتبة المنار - الأردن ، الزرقاء ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ٩١- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٣٥٨هـ .
- ٩٢- الرد على الجهمية ، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تخريج وتعليق بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٩٣- الرد على الجهمية والزنادقة ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار اللواء ، الرياض ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٩٤- الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ط ٢ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٩٥- الرد على من أنكروا الحرف والصوت ، للإمام الحافظ أبي نصر عبد الله بن سعيد السَّجَزي ، تحقيق ودراسة محمد باكريم باعبد الله ، دار الراية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- ٩٦- الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، د. عبد الإله بن سليمان الأحمد ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ٩٧- رسالة إلى أهل الثغر ، للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق ودراسة ، عبد الله شاكر محمد الجندي ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٩٨- رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر ، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، (ت:١٠٣٣هـ) تحقيق محمد أسعد المغربي ، دار حراء ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .

٩٩- الروح ، للإمام ابن القيم ، دراسة وتحقيق د. بسام علي سلامة العموش ، دار ابن تيمية ، الرياض ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- س -

١٠٠- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي ، (ت:٢٧٥هـ) تعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص ، ط ١ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

١٠١- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت:٢٧٥هـ) ، اعتنى به محمد فواد عبد الباقي ، دار الفكر .

١٠٢- سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٠٣- سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، (ت:٢٥٥هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

١٠٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، (ت:١٣٧٤هـ) ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ش -

- ١٠٥- شرح أسماء الله الحسنى ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ،
(ت:٦٠٦هـ) ، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات
الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ١٠٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام أبي القاسم هبة الله بن
الحسن الألكائي ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغاوي ، دار طيبة ،
الرياض .
- ١٠٧- شرح الأصول الخمسة ، لقاضي عبد الجبار بن حمد الهمداني ، مكتبة
وهبة ، مصر ، ط١ ، ١٣٨٤هـ .
- ١٠٨- شرح السنة ، لإمام أهل السنة أبي محمد الحسن بن علي بن خلف
الربيهاري ، (ت:٣٢٩هـ) ، دراسة وتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم
الردادي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ١٠٩- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، لجلال الدين السيوطي ،
مطابع الرشيد ، بالمدينة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١١٠- شرح الطحاوية ، للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز ،
(ت:٧٢٢هـ) ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب
الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ١١١- شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ محمد الصالح العثيمين ، خرج أحاديثه
سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .
- ١١٢- شرح العقيدة الواسطية ، للعلامة محمد خليل هراس ، ضبطه وخرج
أحاديثه علوي السقاف ، دار الهجرة ، الرياض ط١ ،
١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١١٣- شرح جوهرة التوحيد ، لإبراهيم بن محمد البيجوري ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ١١٤- شرح حديث النزول ، لشيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق وتعليق محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ١١٥- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة الدار بالمدينة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ١١٦- شرح كتاب الفقه الأكبر ، الملا علي القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .
- ١١٧- شرح مسائل الجاهلية ، لمحمود شكري الألوسي ، دار المجد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ١١٨- الشريعة ، لمحمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١١٩- شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ، أصدرته دار الإفتاء العامة في المملكة العربية السعودية ، تحقيق عبد السلام بن برجس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ١٢٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، للإمام ابن القيم ، تخريج وتعليق مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٢١- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، ليوسف بن إسماعيل النبھاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- ص -
- ١٢٢- الصارم المنكي في الرد على السبكي ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- ١٢٣- صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى العظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ١٢٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .
- ١٢٥- صحيح سنن أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ١٢٦- صحيح سنن ابن ماجه ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
- ١٢٧- صحيح سنن الترمذي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٢٨- صحيح سنن النسائي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ١٢٩- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- ١٣٠- الصراع بين الإسلام والوثنية ، لعبد الله بن علي القصيمي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ١٣١- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ، د. محمد أمان بن علي الجامي ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ١٣٢- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد ، للإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني ، (ت: ١٢٥٠هـ) دراسة وتحقيق وتعليق ،

د. محمد بن ربيع المدخلتي ، دار الحريري للطباعة ، القاهرة ، ط ١ ،
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

١٣٣- الصواعق المرسله الشهائيه على الشبه الداخضه الشاميه ، للعلامه سليمان
بن سحمان ، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ،
دار العاصمه ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .

١٣٤- الصواعق المرسله على الجهيمه والمعطله ، للإمام ابن القيم ، تحقيق د. علي
بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمه ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

١٣٥- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، لمحمد بشير السهسواني
الهندي ، المطبعة السلفية ومكبتها ، ط ٣ ، ١٣٧٨ هـ .

- ض -

١٣٦- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، لعبد الرحمن حسن جنبكة
الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٣٧- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ، للشيخ سليمان بن
سحمان ، (ت: ١٣٤٩ هـ) تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل
عبد الكريم ، دار العاصمه ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- ط -

١٣٨- طريق المهجرتين وباب السعادتين ، للإمام ابن القيم ، (ت: ٧٥١ هـ) راجعه
واعتنى به السيد محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكبتها ، القاهرة ،
ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .

- ع -

١٣٩- العرش وما روي فيه للحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي
(ت: ٢٩٧ هـ) تحقيق محمد بن حمد المحمود ، مكتبة المعلا - الكويت ،
ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

١٤٠- عقد المرجان ، المسمى آكام المرجان ، في أحكام الجاني ، للعلامة بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق إبراهيم محمد الجمل ، مكتبة الخدمات الحديثة ، جدة .

١٤١- عقيدة السلف أصحاب ، لشيخ الإسلام عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، تحقيق بدر البدر .

١٤٢- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية ، لعبد الله بن يوسف الجدمع ، مطابع دار السياسة ، الكويت ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٤٣- علم التوحيد ، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٤٤- العلو ، إثبات صفة العلو ، للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، حققه وعلق عليه ، د. أحمد بن عطية الغامدي ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

١٤٥- علو الله على خلقه ، (إثبات علو الله على خلقه) ، لأسامة بن توفيق القصاص ، حققه وعلق عليه عبد الرزاق بن خليفة الشامي ، دار الهجرة ، المملكة العربية السعودية ط ١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٤٦- علو الله على خلقه ، د. موسى بن سليمان الدويش ، عالم الكتب ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

- ف -

١٤٧- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ ، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم .

- ١٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ،
(ت: ٨٥٢هـ) ، دار الفكر .
- ١٤٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، لأحمد
عبد الرحمن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة .
- ١٥٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن
آل الشيخ ، (ت: ١٢٨٥هـ) حققه وخرج أحاديثه أشرف بن
عبد المقصود ، مؤسسة قرطبة .
- ١٥١- فتح رب البرية ، ضمن فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ،
دار الوطن ، ط الأخيرة ، ١٤١٣هـ .
- ١٥٢- الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق شريف محمد
فؤاد هزاع ، دار فجر للتراث ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١٥٣- الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق ،
الجميل صدقي الزهاوي ، مكتبة المليحي ، مصر ، ١٣٢٣هـ .
- ١٥٤- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ،
(ت: ٤٢٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٥٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام ابن حزم الظاهري ، تحقيق
د. محمد إبراهيم نصر ، و د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٥٦- فضل علم السلف على علم الخلف ، للحافظ ابن رجب الحنبلي .
- ١٥٧- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٨ ،
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- ق -

- ١٥٨- قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي ، د. محمد السيد الجليند ، طبع
بمطبعة الحلبي ، بمصر ، ط ٢ ، ١٩٨١ م .
- ١٥٩- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، د. إبراهيم البريكان ،
دار الهجرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ١٦٠- القواعد المثلى ، للعلامة محمد بن صالح العثيمين .
- ١٦١- القول المفيد على كتاب التوحيد ، للعلامة محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى
به وخرج أحاديثه ، د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل و د. خالد بن علي
المشيقيح ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٦٢- القياس في الشرع الإسلامي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ،
نشرها قصي محي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبها ، ط ٣ ،
١٣٨٥ هـ .

- ك -

- ١٦٣- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للإمام الذهبي ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٦٤- كبرى اليقينيّات الكونية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ،
ط ٥ ، ١٣٩٧ هـ .
- ١٦٥- كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم ، للإمام ناصح الدين
عبد الرحمن بن نجم ، المعروف : بابن الحنبلي ، (ت: ٦٣٤ هـ) ، تحقيق
د. زاهر بن عواظ الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط ٢ ،
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- ١٦٦- كتاب الأسماء والصفات ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ، حققه وخرج أحاديثه عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ١٦٧- كتاب التوحيد ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة ، (ت: ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق وخرج أحاديثه د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ١٦٨- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، للإمام ابن خزيمة ، (ت: ٣١١هـ) دراسة وتحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهران ، دار الرشيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٦٩- كتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٧٠- كتاب الضعفاء والمتروكين .
- ١٧١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التنزيل ، محمود الزمخشري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- ١٧٢- كشف الارتباب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب ، لمحسن الأمين العاملي ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٤٦هـ .
- ١٧٣- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ، للعلامة سليمان بن سحمان ، مطابع الرياض ، ط ١ ، ١٣٧٦هـ .
- ١٧٤- كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ، للإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الزيد آل حمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .

- ل -

١٧٥- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ، أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاطي ، تحقيق فوقية محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٧ م .

١٧٦- لقيط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، لأبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٧٧- الله ذاتاً وموضوعاً ، لعبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١٧٨- لوائح الأنوار السنية ، للعلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاديني الحنبلي ، (ت: ١١٨٨ هـ) ، دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد بن سليمان البصري ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

- م -

١٧٩- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ، د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي : دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط (٣) ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٨١- مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي ، وابنه محمد . ط ١ ، ١٣٩٨ هـ .

- ١٨٢- مجموع فتاوى رسائل الشيخ ابن عثيمين ، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان ، دار الوطن للنشر ، ط الأخيرة ، ١٤١٣هـ .
- ١٨٣- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله ، اختصار محمد بن الموصلي ، وتحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ١٨٤- مختصر العلو للعلی الغفار ، اختصره وحققه وعلق عليه وخرج آثاره محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٨٥- مختلف الحديث وبيانه ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تصحيح محمد زهري النجار ، دار الجليل ، لبنان ، ١٣٩٣هـ .
- ١٨٦- مدارج السالكين ، للإمام ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ١٨٧- مذكرة التوحيد ، للشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ١٨٨- مذكرة في أصول الفقه ، لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، (ت: ١٣٩٣هـ) ، مكتبة ابن تيمية .
- ١٨٩- مسألة القضاء والقدر ، لعبد الحليم محمد قنيس ، راجعه وعلق عليه ، خالد عبد الرحمن العك ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- ١٩٠- مسائل الجاهلية ، ضمن مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب .
- ١٩١- مستدرک على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٩٢- مسند الإمام أحمد مع منتخب كنز العمال ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

- ١٩٣- مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، للعلامة الشيخ محمد الخضر الحكني الشنقيطي ، (ت:١٣٥٥هـ) دار البشير ، عمان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٩٤- مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك ، تحقيق وتعليق موسى محمد علي ، علم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٩٤م .
- ١٩٥- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، لصادق سليم صادق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ١٩٦- مصرع التصوف ، لبرهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ١٩٧- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ، للعلامة حسن بن مهدي النعمي ، (ت:١١٨٧هـ) حققه محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٩٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، (ت:١٣٧٧هـ) ، ضبط وتعليق وتخريج عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٩٩- معنى اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري ، (ت:٧٦١هـ) ، حققه وعلق عليه ، د. مازن المبارك و د. محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٧٢م .
- ٢٠٠- المعنى لابن قدامة المقدسي ، (ت:٦٢٠هـ) ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، و د. عبد الفتاح محمد الخلو ، هجر ، ط٢ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
- ٢٠١- المغني في أبواب العدل والتوحيد .

- ٢٠٢- مفاهيم يجب أن تصحح .
- ٢٠٣- مفتاح دار السعادة ، للإمام ابن القيم ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، دار ابن عفان ، الخبر ، ط١ ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ م .
- ٢٠٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، (ت: ٣٢٤هـ) ، النشرات الإسلامية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢٠٥- المقالات الوفية في الرد على الوهابية ، ضمن مجموعة كتب ، ط٢ ، مكتبة التهذيب ، القاهرة .
- ٢٠٦- الملل والنحل ، للشهرستاني ، (ت: ٥٤٨هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢٠٧- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر عواض الألعسي ، مطابع الفرزدق التجارية .
- ٢٠٨- مناهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم .
- ٢٠٩- منهج ودراسات آيات الأسماء والصفات ، للشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ، بالمدينة النبوية ، ١٤٠١هـ .
- ٢١٠- المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الأبيجي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٢١١- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ، لسليمان بن صالح الغصن - دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .
- ن -
- ٢١٢- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، للشيخ حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر ، (ت: ١٢٢٥هـ) ، تحقيق عبد السلام بن برجس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

- ٢١٣- نجات الخلف في اعتقاد السلف ، للعلامة عثمان بن عثمان بن حمد بن سعيد النحدي ، (ت:١٠٩٧هـ) ، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢١٤- النزول للدارقطني ، حققه د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ه -

- ٢١٥- هذه مفاهيمنا ، لصالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ، مطابع القصيم ، ١٤٠٦هـ .
- ٢١٦- هذه هي الصوفية ، لعبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤- فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

الموضوع

١.....	المقدمة وتشتمل على
٤.....	أهمية البحث
٥.....	أسباب اختيار البحث
٦.....	منهج البحث
٧.....	خطة البحث
١٦.....	تمهيد :
١٦.....	ما المراد بالقياس الفاسد؟
١٨	ثانياً : القياس الصحيح مطلوب شرعاً
٢٢	ثالثاً : وهذه أمثلة من غلطهم في القياس :
٢٥	رابعاً : معنى الانحراف في العقيدة :
	الباب الأول : القياس الفاسد وأثره على أصحابه في غير مبحث الأسماء
٢٧.....	والصفات
٢٨.....	الفصل الأول : أثر القياس الفاسد على المتقدمين
٢٩.....	البحث الأول : أثر القياس الفاسد على إبليس
٣٠.....	المطلب الأول : أثر القياس الفاسد
٣٠.....	ما جاء في القرآن عن قياسه وبيانه
٣٣.....	تعريف القياس الحملي ومثاله
٣٣.....	هل كان بإمكان إبليس أن يقيس قياساً صحيحاً

الموضوع

رقم الصفحة

- كلام العلماء عن قياس إبليس : ٣٥
- المطلب الثاني : الرد على قياسه الفاسد ٣٨
- قياس إبليس ظاهر الفساد من عدة وجوه : ٣٩
- المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على المنكرين للنبوات ٤٣
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٤٤
- صفة قياسهم ٤٥
- مشابھتهم لإبليس ٤٥
- حديث العلماء عن قياسهم ٤٥
- ما جاء في القرآن عن قياسهم ٤٦
- هل كان بإمكانهم أن يقيسوا قياساً صحيحاً ٤٨
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٥٠
- المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المشركين ٥٨
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٥٩
- الفرق بين قياسهم والقياس السابق ٥٩
- ما جاء في القرآن عن قياسهم ٥٩
- بما سماه القرآن ٦٠
- كلام العلماء حول قياس المشركين ٦٠
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٦٤
- أولاً : الآيات التي تنفي إثبات الشفعاء والوسطاء ٦٤
- ثانياً : البراهين العقلية لإثبات ألوهية الله : ٧٢
- ثالثاً : ضرب الأمثال : ٧٤
- المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على القبورين ٧٨

الموضوع

رقم الصفحة

- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٧٩
- مظاهر التبرك التي وقع فيها قياس فاسد ٧٩
- تنوع أقيسة القبوريين ٨١
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٨٣
- الأدلة الشرعية التي عارضها القياس الفاسد ٨٤
- كلام لأهل العلم في إبطال هذه الأقيسة : ٨٥
- الفرق بين دعاء الميت والحلف به ٨٩
- الفرق بين دعاء غير الله وبين الطيرة ٩١
- رد قياسهم التمسح بالقبور على مسح الحجر الأسود ٩٠
- أو على التبرك بالنبي ﷺ ٩١
- رد قياسهم إسراج القبور على إسراج المساجد ٩٢
- المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المنكرين للبعث ٩٦
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٩٧
- كيف قاسوا ٩٧
- ذكر أهل العلم لأقيستهم الفاسدة ٩٧
- ما جاء في القرآن عن أقيستهم الفاسدة ٩٨
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ١٠٤
- الأقيسة الصحيحة رد عليهم ١٠٤
- قياس إحياء الناس بعد موتهم على إحياء الأرض بعد موتها ١٠٤
- قياس الإعادة على البداءة : ١٠٨
- قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض ١١٢

الموضوع

رقم الصفحة

- قياس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم ١١٤
- مسلك آخر في الرد على المنكرين للبعث ١١٧
- الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد على المتأخرين ١١٩
- المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المنكرين لعذاب القبر ١٢٠
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ١٢١
- من هم المنكرون لعذاب القبر ١٢١
- تصوير العلماء لقياسهم الفاسد ١٢٢
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ١٢٥
- الوجه الأول : أدلة القرآن : ١٢٥
- الأدلة من السنة : ١٢٩
- الوجه الثاني : من الرد على قياسهم الفاسد : ١٣٥
- المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على القائلين بعدم وجود الجنة والنار
الآن وأنهما تفتيان ١٤١
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ١٤٢
- المطلب الثاني : موقف السلف من هذا القياس ١٤٥
- المطلب الثالث : الرد على قياسهم الفاسد ١٤٨
- من القرآن : ١٤٨
- الأدلة من السنة ١٥١
- المسألة الثانية : وهي القول بفنائهما : ١٥٤
- من القرآن الكريم : ١٥٤
- من السنة الشريفة : ١٥٧

الموضوع

رقم الصفحة

- المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على القدرية ١٥٩
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ١٦٠
- المطلب الثاني: الرد على قياسهم الفاسد ١٦٤
- أولاً : أقوال العلماء في الرد على قياسهم الفاسد ١٦٥
- ثانياً : وأما الآيات فنذكر بعضها منها : ١٦٩
- ثالثاً : الرد على تأويل القدرية لبعض الآيات ١٧٤
- المطلب الثالث : أمور أوجبها المعتزلة بالقياس الفاسد ١٧٨
- المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الصوفية ١٨٦
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد على الصوفية ١٨٧
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ١٩١
- وأما الرد على الصوفية القبورية ومن وافقهم : ١٩٨
- الباب الثاني : القياس الفاسد وأثره في مبحث الأسماء والصفات ٢٠٤
- تمهيد ويشتمل على ما يلي : ٢٠٥
- معنى القياس في اللغة وفي الاصطلاح ٢٠٦
- كلام للحافظ ابن منده حول القياس الفاسد ٢٠٧
- أنواع الأقيسة ٢٠٨
- الفصل الأول : أثر القياس الفاسد في مبحث الأسماء والصفات إجمالاً ٢١٦
- المبحث الأول : أثر القياس الفاسد على المشبهة ٢١٧
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢١٨
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٢٠
- المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على الجهمية ٢٢٥

الموضوع

رقم الصفحة

- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢٢٦
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٣٠
- المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على المعتزلة ٢٣
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد على المعتزلة ٢٣٧
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٤٠
- المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على الأشاعرة ٢٤٥
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢٤٦
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٤٩
- المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على المفوضة ٢٥٤
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢٥٥
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٦٠
- الفصل الثاني : أثر القياس الفاسد في مبحث الأسماء والصفات تفصيلاً ٢٦٩
- المبحث الأول : أثره على نفاة الإستواء والعلو ٢٧٠
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢٧١
- المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٧٤
- المبحث الثاني : أثر القياس الفاسد على نفاة النزول ٢٩٣
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٢٩٤
- المبحث الثاني : الرد على قياسهم الفاسد ٢٩٧
- المبحث الثالث : أثر القياس الفاسد على نفاة المحبة ٣١١
- المطلب الأول : أثر القياس الفاسد ٣١٢

الموضوع

رقم الصفحة

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣١٤
المبحث الرابع : أثر القياس الفاسد على نفاة الرؤية.....	٣٢٣
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٣٢٤
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣٢٨
المبحث الخامس : أثر القياس الفاسد على نفاة الكلام.....	٣٤٥
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٣٤٦
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣٥٠
المبحث السادس : أثر القياس الفاسد على نفاة اليدين.....	٣٥٩
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٣٦٠
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣٦٢
المبحث السابع : أثر القياس الفاسد على نفاة العينين.....	٣٧٥
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٣٧٦
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣٧٨
المبحث الثامن : أثر القياس الفاسد على نفاة الوجه.....	٣٨٨
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٣٨٩
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٣٩١
المبحث التاسع : أثر القياس الفاسد على نفاة القدم.....	٣٩٩
المطلب الأول : أثر القياس الفاسد.....	٤٠٠
المطلب الثاني : الرد على قياسهم الفاسد.....	٤٠٣
الخاتمة.....	٤١٢

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
الفهارس	٤١٦.....
فهرس الآيات	٤١٧.....
فهرس الأحاديث والآثار	٤٣٩.....
فهرس المراجع	٤٤٥.....
فهرس الموضوعات	٤٧٠.....

